الجمهورية العربية السورية
جامعة دمشق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

الحزبية السياسية في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية حكم عبد الرحمن الداخل

92-172هـ/711-788م

مخطط بحث لنيل شهادة الماجستير في تاريخ العرب والإسلام

بإشراف
الدكتورة: فايزة الكلاس

إعداد
بهيج شهلا

1430-1431هـ/2009-2010م

الفهرس

المقدمة	**5-1**
دراسة نقدية لأهم والمصادر والمراجع	12-6
مدخل تاريخي	**18-13**
الفصل الأول: الحياة العامة في عصر الولاة وعصر عبد الرحمن	**37-19**
شرائح السكان عند نزول العرب في الأندلس	19
فئات السكان في عصر الولاة	21
الحياة السياسية والإدارية	27
الحياة الاجتماعية	28
الحياة الأدبية والفكرية	29
الحياة الدينية	32
التنظيم الديني عند النصارى	35
الفصل الثاني: الحزبيات السياسية في الخلافة الأموية	**45-38**
آ- أرضية عرب الشام وحزبياتهم	38
الحزبية اليمانية	39
الحزبية القيسية	41
ب- صراع الحزبيات وموقفها من الأمويين - معركة مرج راهط	42
معركة مرج راهط 64هـ/684م	43
ج- موقف الأمويين من الحزبيات	44
الفصل الثالث: ظهور الحزبيات في الأندلس ودورها حتى ولاية عبد الملك بن قطن	**61-46**
توافد الحزبيات إلى الأندلس	46
السياسة الأموية في الأندلس	48
الاضطرابات السياسية	49
الفتوحات - معركة بواتييه (بلاط الشهداء)	51
معركة بلاط الشهداء	53
توقف الفتوحات	57
علاقة الأندلس بدار الخلافة	59
ولاية عبد الملك بن قطن الأولى	61

الفصل الرابع: الحزبيات السياسية في الأندلس منذ ولاية عبد الملك بن قطن حتى قيام الإمارة الأموية	**92-62**
الفتن والنزاعات الداخلية	62
1. صراع العرب والأمازيغ	62
ثورة الأمازيغ في الأندلس	64
2- الصراع بين الشاميين والبلديين	67
ولاية عبد الملك بن قطن الثانية	67
ولاية بلج على الأندلس وصراعه مع ابن قطن	69
ولاية أبي الخطار وتفريق جند الشام	75
3- الصراع بين الحزبيات	78
التنازع القبلي	78
الصميل بن حاتم وعودة الحزب القيسي إلى الحكم	80
نشوب الحزبية	82
الصميل يولّي يوسف بن عبد الرحمن الفهري على الأندلس	85
حالة الدولة الأموية في المشرق	88
الفصل الخامس: عبد الرحمن الداخل ودور الحزبيات في وصوله إلى السلطة	**133-93**
أ- الحالة السياسية في الأندلس قبل مجيء عبد الرحمن	93
تنازع الحزبيات	94
موقف حزبيات الأندلس من عبد الرحمن	95
موالي بني أمية	98
موقف الحزبية القيسية	100
موقف الحزبية اليمانية	101
عبد الرحمن أميراً على الأندلس	102
ب- عبد الرحمن وتعامله مع الحزبيات	108
1- القضاء على الزعامة القيسية	110
2- صراع عبد الرحمن مع الحزبيات اليمانية	112
ثورات اليمانية في الجنوب الغربي	113
ثورة العلاء بن مغيث	113
ثورة سعيد اليحصبي (المطري)	114
ثورة أبي الصباح بن يحيى اليحصبي	114
ثورة حيوة بن ملامس	115

حركات اليمانية في الثغر	116
3- عبد الرحمن والحزبية الأمازيغية	120
4- عبد الرحمن وحزبه الخاص	122
إدارة عبد الرحمن	126
سياسة عبد الرحمن ومفهومه للحكم	129
دولة عبد الرحمن	131
الخاتمة	**137-134**
الملاحق	**146-138**
المصادر العربية	**153-147**
المراجع التاريخية	**160-154**
ملخص البحث باللغة الإنكليزية	**163-161**

المقدمة

(نتعامل مع القبائل البربرية (صنهاجة – زناتة – لمتونة....) على أنها قبائل عربية).

إن من يبحث في تاريخ أمتنا العربية, ويطيل النظر في أعماقه ليدهشه ما كان للحزبية من آثار سلبية على مسار تاريخ تلك الأمة في جاهليتها وحتى بعد أن أشرق عليها فجر الإسلام الذي احتوى أمراضها, وعمل على توحيد قبائلها, بتخليصها من الحزازات والأحقاد والثارات, وصهرها في بوتقة الدين الجديد. وما أن غبرت سنون قلال حتى أفاقت الحزبيات القبلية من جديد في العصر الأموي, فكان لها تأثير كبير في حياة الأمة العربية, ليس فقط في حياتها السياسية, بل جاوزتها إلى جوانب أخرى اجتماعية وأدبية وفكرية وعسكرية, ولذلك أجدني أمام رغبة ملحة تدفعني لدراسة هذه الظاهرة الخطيرة سياسياً وحضارياً وقومياً والتي من شأنها أن تمدنا بما يقينا من شرها وآثارها على وحدة الأمة حيث أن نشوب الحزبيات واستفحال أمرها في العصر الأموي, في المشرق والأندلس, أحبط المشاعر القومية, وأغلق المنافذ المؤدية إلى نموها وازدهارها.

لقد قامت دولة الأمويين في الشام على أساس السيادة العربية وتفوق العنصر العربي, ذلك لأن العرب كانوا يشكلون الأمة الفاتحة صاحبة الحق في الحكم ومكتسباته, فمنهم الجند والقادة والحكام والولاة, وعلى الرغم من قوة هذه الدولة فقد رافقت تاريخها نزاعات قبلية أفرزتها حزبية القبائل العربية من يمانية وقيسية, وانغمس الخلفاء الأمويون في الشأن القبلي وراحوا يثيرون النعرات الحزبية, ويعملون على ضرب القبائل ببعضها واصطناع زعمائها لكسب تأييدها. وحين دخل العرب المسلمون الأندلس فاتحين, وليس غازين ليجمعوا الغنائم والأسلاب ثم يعودوا من حيث أتوا كما تصور القوطيون, وإنما ليقيموا هناك وينشروا راية العروبة على النصف الغربي من الأرض كما انتشاره على نصفها الشرقي, كانوا قد اصطحبوا معهم هوياتهم الحزبية على شكل حزازات ونعرات قبلية فترسخت هناك, ودخلت حلبة الصراع السياسي, وشغلت دوراً كبيراً في اضطراب عصر الولاية الذي تعاقب عليه عشرون والياً خلال اثنتين وأربعين سنة 95–138هـ/714–756م حتى أن معركة بلاط الشهداء 114هـ/732م لم تكن بمنأى عنها.

كتب الأسبان تاريخ بلادهم باللغة اللاتينية أولاً وباللغة الأسبانية فيما بعد. فلا بد لمن يكتب في هذا التاريخ, باعتباره شراكة بين العرب الفاتحين وبين الإيبيريين أصحاب الأرض, لا بد له من الوقوف على رأي المؤرخين الأسبان في تاريخ الأندلس الأسباني, فالعائق الأكبر الذي يصادف الباحث العربي هو جهله اللغة الأسبانية, لغة الكثير من المصادر والمراجع الضرورية

وهذه قضية هامة[1], والقضية الهامة الأخرى التي يجب التنبه إليها تكمن في أن معظم المؤرخين الأسبان, والغربيين أيضاً, تميزوا بتحاملهم على العرب وتجاهلهم لما قدموه للحضارة الإنسانية في أسبانية وفي أوربا بشكل عام, على أن جيلاً جديداً من مؤرخي الأسبان أخذ يتفهم تاريخ الوجود العربي على حقيقته في أسبانيا, ويعي الدور الحضاري لذلك الوجود خلال العصور الوسطى.

كانت الحقبة التي درستها من تاريخ الأندلس, من الفتح حتى نهاية عصر عبد الرحمن الداخل, مدة حرب وقتال وصراعات دائمة محورها الإنسان, صانع التاريخ (فرداً ومجموعاً – غالباً ومغلوباً) ضمن معطيات وظروف سياسية واجتماعية واقتصادية. فلا بد من ربط تلك الأحداث بسلسلة من الحلقات المتماسكة وتعليلها على ضوء مسبباتها, والمقارنة بينها لأن التاريخ لا يقوم إلاّ على تعليل الحوادث إذ هو علم قائم بذاته لا قصة من القصص الشعبي تروى بالسرد الآلي, وهذا لا يعني إن التاريخ لا يتعاطى أسلوب السرد أو الوصف في تسجيل أحداثه, فقد نحتاج أحياناً إلى مثل ذلك الأسلوب. لكن صناعة التأريخ, باعتبارها علماً, يجب أن تعالج معالجة علمية تقتضي تعليل الحوادث ونقد الروايات التي هي طريقنا إلى الماضي لاستخراج حقيقته, وعلى هذا فقد اعتمدت المنهج العلمي في بحثي, مخضعاً الروايات للشك والنقد دون مبالغة, وبالتعليل المبني على الواقع لا المبني على تصور بعض الغربيين الذين تناولوا تاريخنا بنزعة تشوبها الأهواء والمطامع, وبروح علمية محضة, كنت أعمل بمبدأ الإنصاف والتجرد من الهوى, والأمانة, والموضوعية المطلقة لا سيما وأن موضوع هذا العلم يتأثر, أكثر من سواه من العلوم الأخرى, "بالأهواء الفردية والنزعات الاجتماعية".

تألفت رسالتي من مدخل تاريخي وخمسة فصول ومقدمة وخاتمة, وقد شملت المقدمة أهمية الموضوع ودواعي اختياره وإشكاليته والمعوّقات التي صادفته, والمنهج العلمي الذي قام عليه البحث, مع دراسة نقدية لأهم المصادر والمراجع. وتضمنت الخاتمة ما توصلت إليه من نتائج.

تحدثت في المدخل التاريخي عن العصبية كرابطة اجتماعية تقوم على وحدة الأصل والنسب بقصد التضامن والتكافل وهذا يصب في بوتقة الحزبية التي يتبناها جماعة من الناس للغاية نفسها. وتحدثت عن تعريف العصبية, وعن العصبية في الجاهلية ثم عن موقف الإسلام منها.

تحدثت في الفصل الأول عن الحياة العامة في عصر الولاة وعصر عبد الرحمن.

---

1 لقد فتشت عن كتاب دوزي "تاريخ مسلمي إسبانيا" باللغة الانكليزية, في كل من الولايات المتحدة وإسبانيا, فلم أعثر إلا على نسخ منه باللغة الكاتالونية في إحدى مكتبات برشلونة, حاضرة إقليم كاتالونيا.

لقد جعلت الجوانب السياسية والعسكرية للرسالة من اختصاص الفصول الأربعة الأخيرة, ولذلك فقد أردت لهذا الفصل أن يختص بالجانب الحضاري الذي تميزت فيه هذه المرحلة من تاريخ الأندلس, فتحدثت عن شرائح السكان وأصولهم عند دخول العرب إلى الأندلس وكيف كانت فئاتهم في عصر الولاة حيث ظهرت شرائح اجتماعية جديدة طرأت على المجتمع الأندلسي كالمسالمة والمولدين نتيجة اعتناق الأسبان للدين الإسلامي وزواج العرب بنساء أسبانيات فظهر جيل جديد هجين يتكلم لغة هجينة أفرزت عجمية أهل الأندلس, هذا وقد تطرقت للحديث عن أهل الذمة ووضعهم في ظل الحكم الإسلامي كما تحدثت عن الحياة السياسية والإدارية والاجتماعية وعلاقة الأندلس بإفريقية ودار الخلافة, ثم انتقلت إلى الحديث عن الحياة الأدبية والفكرية, ورغم ضعف هذا الجانب فقد حفل هذا العصر بشعراء أتيت على ذكر بعض أشعارهم كأبي الخطار والصميل بن حاتم وعبد الرحمن الداخل, وكان للحياة الدينية مكان مهم في هذا الفصل, فقد تناولت بالبحث انتشار الإسلام في الأندلس وتحوله إلى دين الأكثرية من السكان على مذهب الاوزاعي, مذهب أهل الشام, وعندما دخل موطأ مالك في آخر العصر تحول أهل الأندلس إلى المذهب المالكي, وفي آخر الفصل تحدثت عن التنظيم الديني عند النصارى حيث ترك لهم المسلمون حريتهم الكاملة في تنظيم شؤونهم الدينية والمدنية لا بل حتى القضائية وبينت أنهم حفلوا بمعاملة سمحة جداً من حاكميهم المسلمين لا كما يدعي بعض الغربيين من أنهم تعرضوا لعسف المسلمين واضطهادهم وأثبتُ ذلك بما رواه مؤرخون نصارى من المشرق العربي ومن الغرب الأوربي.

وتناولت في الفصل الثاني الحزبيات السياسية في الخلافة الأموية وأقصد بذلك الحزبية اليمانية والقيسية وموقف كل منها من الحكم الأموي الذي تجلى في معركة مرج راهط التي أسفرت عن نصر للحزبية اليمانية بزعامة الكلبيين, ومن ثم انتقال الخلافة من الفرع السفياني إلى الفرع المرواني, كما تحدثت عن المواقف المختلفة والمتناقضة لخلفاء بني أمية من الحزبيات مما أدى إلى نشوبها وبالتالي إلى إضعاف الدولة الأموية ثم انهيارها.

وتناولت في الفصل الثالث, ظهور الحزبيات في الأندلس, ودورها في الحياة السياسية حتى ولاية عبد الملك بن قطن 95-114هـ/714-732م وتشمل هذه المدة توافد الحزبيات إلى الأندلس ودورها في الاضطرابات والفتن الداخلية, والفتوحات في غاليا وأسباب توقفها وما كان من معركة بلاط الشهداء وأسباب عدم نجاح العرب فيها ونتائجها, وعلاقة الأندلس بدار الخلافة ثم ينتهي الفصل بالحديث عن ولاية عبد الملك بن قطن الأولى 114-116هـ/732-734م وأسباب عزله من قبل والي إفريقية عبيد الله بن الحبحاب.

وحمل الفصل الرابع عنوان الحزبيات السياسية في الأندلس منذ ولاية عبد الملك بن قطن حتى قيام الإمارة الأموية 114–138هـ/732 – 756م. وتتميز هذه المرحلة بكثرة الفتن الداخلية والصراعات بين مختلف الفئات الحزبية كالصراع بين العرب والأمازيغ وأسبابه, كما بحثت ثورة الأمازيغ في شمال إفريقية وأسبابها ونتائجها وامتدادها إلى الأندلس, واستنجاد عبد الملك بن قطن, والي الأندلس حينذاك, بجيش الشام لقمعها, وتحوُّل صراع العرب مع الأمازيغ إلى صراع بين البلديين والشاميين, ودور التطرف الحزبي لدى كل من والي الأندلس وقائد جيش الشام في ذلك الصراع الذي انتهى إلى مقتل الوالي عبد الملك والقائد بلج بن بشر, ومجيء والٍ جديد هو أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي الذي سعى كثيراً لإحلال التوازن العادل بين الأطراف المتنازعة وذلك بتفريق جيش الشام على الكور المجندة, وتحدثت عن ثورة القيسية بزعامة الصميل بن حاتم على أبي الخطار وأسبابها والقضاء عليه وتولية يوسف بن عبد الرحمن الفهري على الأندلس 129هـ وهنا ينتهي الفصل بالحديث عن حالة الدولة الأموية في المشرق التي كانت تتداعى نحو نهايتها سنة 132هـ – 750م.

أما الفصل الخامس فقد تحدثت فيه عن عبد الرحمن الداخل ودور الحزبيات في وصوله إلى السلطة, والفوضى السياسية في الأندلس من صراعات بين الحزبيات وموقف كل منها من عبد الرحمن ثم موقفه تجاهها. وكيف تعامل مع كل منها بقضائه عليها واحدة بعد أخرى, فقضى على الحزبية القيسية أولاً وبعدها أطاح بزعماء اليمانية الثائرين وأخمد ثوراتهم: ثورة العلاء بن مغيث داعية العباسيين, وثورة سعيد اليحصبي المطري وثورة كل من أبي الصباح ابن يحيى اليحصبي وحيَوة بن ملامس الحضرمي وتحدثت أيضاً عن ثورة اليمانية في الثغر الأعلى (سرقسطة) وهي ثورة خطيرة جداً قامت نتيجة مؤامرة حبك خيوطها حاكم الإقليم ابن الأنصاري وحليفه ابن يقظان الأعرابي الذي استنجد بالملك الكارولنجي شارلمان لاحتلال سرقسطة والإطاحة بنظام عبد الرحمن فأخفقت المؤامرة وتراجع شارلمان خائباً وقُتلَ الثائران, كما تحدثت عن تعامل عبد الرحمن مع الحزبية الأمازيغية وثورة شاقية بن عبد الواحد المكناسي ومحاولته إقامة دولة شيعية في الأندلس لكنه قتل بعد ثماني سنوات من الثورة. ثم تحدثت عن تصدي عبد الرحمن لمؤامرات دبرها أفراد من آل بيته ومن المقربين إليه من مواليه مثل عبيد الله بن عثمان الذي تبنى دعوة عبد الرحمن في الأندلس, والمولى بدر الذي تعرض لأقسى العقوبات من سيده, وفي آخر الفصل تحدثت عن طريقة عبد الرحمن في إدارة شؤون الدولة وسياسته, وعن مفهومه للحكم, وإنجازه الكبير في تأسيسه دولة عربية أندلسية: قوية متماسكة مرهوبة الجانب اعترفت بها الدول المعاصرة وأقامت معها علاقات ودية.

وعرضت في الخاتمة ما توصلت إليه من نتائج وملاحظات من خلال تلك الدراسة, وأخيراً اختتمت الرسالة بعدد من الملاحق تتضمن صورة عن كتاب الصلح الذي كتبه عبد العزيز بن موسى بن نصير لتُدمير بن غبدوش ملك تدمير. وجدولين: الأول للقبائل العربية وأماكن استقرارها في الأندلس.

والثاني للقبائل الأمازيغية وأماكن استقرارها في الأندلس.

ومصوراً لشبه الجزيرة الإيبيرية بحسب التسميات العربية والحالية.

وصورة لجامع قرطبة وصورة لناعورة لرفع المياه.

وصورة مستوحاة للأمير عبد الرحمن الداخل.

كانت محبتي للحقيقة وتمسكي بها حافزاً كي أبذل كل جهد ممكن للوصول إليها, كما أن شعوري بالمسؤولية دفعني إلى تقديم المزيد من المجالدة يشدني إلى ذلك نبل العمل وحسن الصنيع مما أشاع في نفسي إحساسي بضآلة ما قدمت حيث لا فضل لي فيه ولا ادعاء, فإذا كنت أصبت فتوفيق من عند الله وبفضل توجيه أستاذي الدكتور سهيل زكار وإشراف الدكتورة فايزة الكلاس, وإذا كنت قد قصّرت فحسبي إني اجتهدت وأنا وحدي الملوم.

تلك هي رسالتي أضعها بين أيدي الدكاترة أعضاء لجنة الحكم الأفاضل لتقويمها مع فائق الاحترام والتقدير لكل منهم.

ولله الحمد ومنه التوفيق.

دراسة نقدية لأهم المصادر والمراجع

فتوح مصر وأخبارها لـ عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم المتوفي 257هـ:

عني ابن عبد الحكم بجمع الأحاديث المروية عن محدثي مصر إذ كان أبوه أحدهم, ويعد كتابه هذا أهم كتبه وفيه يتحدث عن تاريخ مصر في القديم والفتح الإسلامي لها وفتح شمال إفريقية والأندلس, والأحاديث التي رواها الصحابة الذين قدموا إلى مصر. وُصف المؤرخ ببراعته في جمع الأخبار لكنه لم يهتم بنقدها. أخذ عنه مؤرخو مصر المتقدمون كما اعتمدت عليه المؤلفات المتأخرة. كانت فائدتي منه جمة للغاية فلقد استفدت منه في الحديث عن أحداث إفريقية وسياسة ولاتها وثورة الأمازيغ فيها, وفتح الأندلس وعلاقته بها وانتقال الثورة إليه.

الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة عبد الله بن مسلم الدينوري المتوفي 276هـ/889م وكتاب المعارف الصحيح النسبة إليه: يتحدث المؤرخ في كتابه الأول عن فتح الأندلس من قبل طارق بن زياد وموسى بن نصير, وعن محنة موسى وأولاده وينفي ما قيل عن سليمان بن عبد الملك من إنزاله أقسى العقاب بحق موسى, ثم يتحدث المؤلف عن ولاية عبد العزيز بن موسى ومقتله, ويذكر أسماء الولاة الذين تعاقبوا على حكم الأندلس حتى مجيء عبد الرحمن الداخل. يقول بعض المؤرخين الذين شككوا بصحة نسبه لابن قتيبة أن مادته عن الأندلس تعود إلى واحد من أحفاد موسى بن نصير.

استفدت من هذا الكتاب في الحديث عن قفول موسى إلى المشرق وما اصطحب معه من السبي, وما كان من تغريمه على يد الخليفة سليمان, كما أفدت من كتاب المعارف عما يتعلق بالأنساب العربية, العدنانية والقحطانية, والقبائل التي انحدرت منها, وأيضاً السِّير الذاتية لخلفاء بني أمية وكيفية توليهم للحكم.

الأخبار الطوال لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري المتوفي 282هـ هو مصدر هام لتاريخ أحداث الدولة العربية منذ ظهور الإسلام وحتى عصر الخليفة العباسي المعتصم. مؤلف الكتاب مؤرخ محقق عاصر بعضاً من حوادثه وحقق فيما سمعه من الرواة. أفدت منه بما يتعلق بتأسيس معاوية بن أبي سفيان للدولة الأموية.

تاريخ الرسل والملوك للطبري محمد بن جرير المتوفي 310هـ – 922م. يعد الطبري من أعظم المؤرخين. فكان صادقاً, ثقة, ومحققاً, وكان جامعاً لشتى أنواع المعارف في علوم القرآن والحديث والفقه والشعر والأدب, فجاء كتابه "تاريخ الرسل والملوك" متأثراً بعلم الحديث من حيث النقل من دون نقد الرواية نفسها وهذا مأخذ على مؤرخي تلك المرحلة. لقد استفدت من الكتاب في الحديث عن تاريخ الأمويين في العصر السفياني وانتقال الخلافة إلى الفرع المرواني, وأيضاً في الحديث عن منازل بعض القبائل العربية.

التنبيه والإشراف وكتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر لعلي بن الحسين بن علي المسعودي المتوفي 345هـ- 956م. المسعودي هو مؤرخ وإخباري من الدرجة الأولى وفي الوقت نفسه جغرافي كبير بسبب أسفاره الكثيرة لأقطار نائية, ولذلك فهو مؤرخ خبير في الجغرافية الطبيعية والبشرية, ويمتاز المسعودي عن غيره من مؤرخي المشرق بأنه أرّخ للأندلس. لقد أفدت من الكتابيين مما ورد فيهما عن تاريخ خلفاء بني أمية وآثار الحزبيات القبلية على الحكم الأموي.

أخبار مجموعة لمؤلف مجهول من رجال القرن الرابع الهجري. يعد الكتاب من المصادر الموثوقة والمختصرة التي تتحدث عن تاريخ الأندلس منذ الفتح وحتى بداية عصر عبد الرحمن الناصر. لدى المؤرخ إلمام واسع عن تاريخ تلك الحقبة على الجانب الأندلسي, ولم يكن كذلك من جانب المشرق العربي إذ كان يجهل أن بغداد لم تكن مشادة في عهد السفّاح. وقد أظهر المؤلف, خلافاً لابن القوطية, أنه عربي صميم متعصب لقومه العرب ولسيادتهم في الأندلس. لقد رافقني الكتاب من أول الرسالة حتى نهايتها, فأخذت منه الكثير في كل موضوع من مواضيعها.

قضاة قرطبة لـ محمد بن حارث بن أسد القيرواني الخشني المتوفى 361هـ/972م. وُصف الخشني بأنه كان من أهل العلم والفضل, فقيهاً محدثاً, وعالماً في الفتيا. كان يعتمد على الروايات المتوازنة. ولم يكن مدققاً في تقصي الأخبار أو دراستها, فهو ناقل للأخبار, مسجل لها دون تغيير أو إضافات, وهناك من المؤرخين من لا يأخذ برواياته, وكتابه "قضاة قرطبة" يترجم للقضاة الذين تولوا قضاء قرطبة منذ أيام عبد الرحمن الداخل إلى وفاة المؤلف, فاستفدت منه في التعرف على قضاة قرطبة أيام عبد الرحمن وموقفه منهم.

تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية القرطبي محمد بن عمر بن عبد العزيز المتوفي 367هـ/977م. يبحث الكتاب في أحداث المدة ما بين فتح العرب للأندلس ونهاية إمارة عبد الله بن محمد 300هـ/912م. يعد ابن القوطية مؤرخاً ثقة, ذا مكانة علمية مرموقة وسابقة لأهل عصره, لكن كتابته تأثرت بنزعته إلى قومه القوط, وتعصبه ضد العرب وسيادتهم على الأندلس. تمتع ابن القوطية بموهبة شعرية ومقدرة لغوية وأسلوب كتابي سليم متين بينما يظهر لنا كتابه كمجموعة من الأخبار المتفرقة عن أحداث لا تسير على نهج تاريخي حولي, بالإضافة إلى سرده للكثير من الأساطير المثيرة التي لا تدخل في موضوعية التاريخ. واستفدت من الكتاب في الحديث عن فتح الأندلس والأحداث البارزة في عهد الولاة, وقصة عبد الرحمن بن معاوية حول دخول الأندلس وتمكنه من الوصول إلى السلطة.

تاريخ علماء الأندلس لـ عبد الرحمن بن محمد بن يوسف بن نصير الأزدي المعروف بابن الفرضي المتوفي 403هـ/1013م. هو من أهم الكتب التي وضعت لعلماء الأندلس وأهل العلم فيه. لقد خصص ابن الفرضي جهده لعلماء الفقه ورواة الحديث الذين استوطنوا الأندلس أو رحلوا

عنه أو وفدوا إليه, كما ترجم لعدد من أهل الأدب والشعر ممن لهم شهرة كبيرة في الفقه ورواية الحديث وجعل كتابه مرتباً على حروف المعجم. اقتصرت فائدتي منه على ترجمة بعض رجال الحكم وأهل العلم في الاندلس.

جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي علي بن أحمد المتوفي 456هـ /1064م. ولد في قرطبة, ونشأ في بيت علم ودين وأخذ العلم عن عدة علماء أندلسيين ومنهم والده أحمد, وزير المنصور بن أبي عامر, الذي كان أديباً وعالماً. ألف ابن حزم في الأدب والشعر والتاريخ والفلسفة والفقه وعلوم الدين. يتحدث في كتابه"جمهرة أنساب العرب" عن أنساب القبائل العربية والبربرية وأصول كل منها, وأسماء القبائل العربية التي هاجرت إلى الأندلس ومنازلها هناك. وقد روى ابن بسام الشنتريني في كتابه "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" عن ابن حيان, أن علوم ابن حزم لم تخلُ من الغلط والسقط فزل فيها وضل في مسالكها, ولم يكن بالسليم من اضطراب الرأي هذا ناهيك عن تشيعه لأمراء بني أمية. ومن جهة أخرى أفدت من الكتاب في التحدث عن نسب بعض القبائل العربية وكذلك أنساب عدد من ولاة الأندلس.

جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس لـ محمد بن نصر فتوح بن عبد الله الأزدي الحُميدي المتوفي 488هـ/1095م. والحميدي أندلسي الموطن ارتحل إلى العراق بسبب اضطهاد الظاهرية, وفيه وضع كتابه المذكور, وهو من كتب التراجم لأصحاب الحديث والفقه والأدب رتبه على حروف المعجم. أخذ الحميدي العلم عن شيوخ عصره ولا سيما ابن حزم وغيره من علماء الأندلس فأصبح من ثقات المحدثين ولذلك فقد جاء مؤلفه مشتملاً على عدد كبير منهم, وكانت ترجماته لكل من هؤلاء صادقة الدلالة خالية من المبالغة والإفراط. كانت فائدتي من الكتاب كما هي في كتاب بغية الملتمس للضبي.

تاريخ مار ميخائيل السرياني للبطريرك مار ميخائيل السرياني الكبير بطريرك أنطاكية (1166–1199م / 595هـ). يبدأ كتابه في التاريخ الديني المدني العام من أول الخليقة حتى سنة 1193م وهي نهاية حكم صلاح الدين الأيوبي. ويعد هذا المؤرخ أحد أعلام الكنيسة السريانية ومن كبار مؤرخيها الثقات, وقد أردت من كتابه هذا الاطلاع على موقف العرب والمسلمين تجاه رعاياهم النصارى من وجهة نظر الكنيسة السريانية. فنجد عند المؤلف شيئاً من التحامل على المسلمين ولا سيما الزنكيين ومع ذلك فهو يعترف أخيراً بتسامح العرب ورحمتهم بقومه النصارى.

بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس لأحمد بن يحيى بن أحمد بن عُميرة الضبي المتوفي 599هـ. وهو من كتب التراجم مرتب على طريقة حروف المعجم. ويعد هذا الكتاب ذيلاً على كتاب الحميدي "جذوة المقتبس" حيث نقل عنه كثيراً من الترجمات وسار على نهجه. تناول

الضبي ترجمة رواة الحديث وأهل الفقه والأدب, والمشهورين بالعلم لكل من دخل الأندلس أو خرج منه. وللزعماء ممن اشتهروا بالرئاسة والحرب في المدة التي تمتد ما بين فتح الأندلس حتى عصره في القرن السادس الهجري.

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي محمد من أهل القرن السابع الهجري, بينما لا يعرف تاريخ ولادته ولا تاريخ وفاته, كان قد أنهى تاريخه عن المغرب بحوالي سنة 602هـ. كان ابن عذاري قد وضع كتابه في جزأين:

يتناول الأول منهما أخبار المغرب من حين فتحت إفريقية حتى آخر أيام دولة بني زيري الصنهاجية.

ويتناول الثاني أخبار الأندلس من حين فتحه حتى قيام الفتنة والطوائف وقد أنجز دوزي طبع الكتاب في ليدن الأول 1848م والثاني 1849م, ثم عثر المحققون على جزء آخر للكتاب يشتمل على أخبار الأندلس من حين انقراض الدولة العامرية حتى آخر أيام عصر الطوائف. ويختص الجزء الرابع بعصر المرابطين في المغرب والأندلس قام بتحقيقه إحساس عباس. أما الأجزاء الأولى فهي من تحقيق ج.س. كولان و أ. ليفي بروفنسال, وقيل أنه ظهر للكتاب جزء خامس يبحث في تاريخ الموحدين. كان الكتاب معيناً عظيماً بالنسبة لي فقد أمدني بكثير من المعلومات المتعلقة بتاريخ المغرب والأندلس حيث لازمني في معظم أبحاث الرسالة.

المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد بن علي المراكشي المتوفي 621هـ/1224م. كتاب يبحث في تاريخ الأندلس منذ فتحه 92هـ/711م حتى سنة 621هـ وهي سنة وفاته, وينهي المؤلف كتابه بلمحة سريعة عن أقاليم المغرب والأندلس وذكر ما تحتوي أراضي المغرب من أنواع المعادن وذكر أشهر أنهاره كما يتطرق المؤلف للحديث عن جزيرة الأندلس وأسماء أنهارها ومدنها. أفادني الكتاب في الحديث عن فتح جزيرة الأندلس وقصة دخول عبد الرحمن الداخل إليها.

الكامل في التاريخ لـ علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير المتوفي 630هـ/1233م. أرخ ابن الأثير للمشرق والاندلس, وكان قد جمع في كتابه خلاصة ما كتبه سابقوه فهذبها ونقحها وزاد عليها, فأضاف إلى تاريخ الطبري أحداث قرون أربعة أخرى. ورتبه وجمع حوادثه كل في موضع واحد فجاء كلاً متناسقاً. يبحث ابن الاثير في كتابه تاريخ العالم منذ أول الخليقة إلى آخر سنة 628هـ وضمّنه معلومات هامة جداً عن تاريخ مصر وتاريخ الأندلس استفدت من الجزء الرابع للكتاب في الحديث عن المدة الأخيرة من عصر الولاة السابقة لعصر عبد الرحمن الداخل.

الحُلة السّيَراء لـ محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المتوفي 658هـ /1260م. نبغ ابن الأبار في علوم كثيرة كالتاريخ والأدب وعلوم الدين, وظهرت براعته ودقته وضبطه في التأريخ

للإسلام والتراجم في كتابه "الحُلة السِّيَراء" الذي يقدم ترجمات للشعراء والأمراء من الفتح حتى عهده, كما يشتمل على سيّر وترجمات للعديد من رجال السياسة والحكم, وللعلماء والأدباء من المائة الأولى حتى نهاية المائة الرابعة للهجرة. ولذلك فقد عُدّ هذا الكتاب مرجعاً ضافياً لا غنى عنه لكل من يؤرخ للأندلس في كل ناحية من نواحيه. أفدت منه في الحديث عن عصر عبد الرحمن الداخل وعن ترجمات له ولعدد من أفراد حاشيته من الأمويين وغيرهم من الإداريين وقادة الجيش.

صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار لـ محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري المتوفي 710هـ/1311م. وهو معجم جغرافي تأريخي تضمن صفة جزيرة الأندلس وذكر كوَرِها وثغورها ومدنها وأقاليمها وما اشتهر فيها من الآثار والعجائب والأخبار. استعنت بالكتاب في ضبط مواقع بعض مدن الأندلس وآثارها وأخبار من نزل فيها.

الإحاطة في أخبار غرناطة لـ لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني ابن الخطيب المتوفي سنة 776هـ/1379م. يعد الكتاب موسوعة شاملة لكل ما يتعلق بمدينة غرناطة من حيث أوصافها ومعالمها وتاريخها والحياة الأدبية فيها. اقتصرت فائدتي من الكتاب حول محنة بدر مولى عبد الرحمن الداخل.

مقدمة ابن خلدون لـ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المتوفي 808هـ/1405م. جعل ابن خلدون كتابه هذا مقدمة لكتابه التاريخي الشهير "**كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**" لتكون شرحاً وتمهيداً له لفهم حوادث التاريخ ونقده وتحليله وتعليل الظواهر الاجتماعية وقد وصف ابن خلدون التاريخ بأنه علم مستقل بذاته ذو موضوع خاص. يبحث في العمران البشري والاجتماع الإنساني. أفدت من المقدمة في الحديث عن الحزبيات السياسية (العصبيات القبلية) ودورها في قيام الدول وسقوطها, كما وأفدت من مواد ابن خلدون في تاريخه (كتاب العبر).

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب للمقري أحمد بن محمد التلسماني المتوفي 1041هـ/1632م. وضع المؤلف كتابه "نفخ الطيب" عندما كان يقيم في القاهرة وقبل في دمشق, بين عامي 1628 و 1630م, ويحتوي الكتاب على معلومات قيمة تاريخية وجغرافية وأدبية واجتماعية جمعها المؤلف من مصادر عديدة ومتنوعة حتى أضحى مرجعاً لكل راغب في دراسة تاريخ الأندلس, فهو بحق دائرة معارف في موضوع الأندلس. خصص المؤلف قسماً من كتابه لدراسة تاريخ الأندلس منذ الفتح حتى زوال الوجود العربي في شبه الجزيرة الإيبيرية, وخصص قسمه الثاني للتعريف بلسان الدين بن الخطيب حيث كان معجباً بشخصية ابن الخطيب ومكانته العلمية. يلاحظ عند المؤرخ الكثير من الاستطرادات فيخرج عن

موضوع لم يكمله إلى آخر يشبهه أو يتصل به بسبب ازدحام مخزونه من المتشابهات, كما يكثر من التكرار للفكرة نفسها أو العبارة أكثر من مرة. أفدت من الكتاب, ولا سيما الجزء الأول منه, في الحديث عن عصري الولاة والإمارة.

المراجع الحديثة

إن المراجع العربية وغير العربية التي تتحدث عن تاريخ الأندلس كثيرة جداً, فهي تقدم للدارس ما افتقرت إليه المصادر القديمة, ومن المراجع العربية التي أفادتني كثيراً مؤلف الدكتور حسين مؤنس الشهير "فجر الأندلس" والكتاب على غاية من الشمول والدقة وغزارة المعلومات التي استقاها المؤلف من مصادر ومراجع عربية وأخرى أجنبية كثيرة أخضعها للنقد والتحقيق. يبحث الكتاب في تاريخ الأندلس منذ الفتح حتى بداية عصر عبد الرحمن الداخل ولذلك فقد كانت فائدتي منه كبيرة جداً.

ومن المراجع المهمة أيضاً مؤلفات الدكتور أحمد بدر "دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها" وكتاب "صقر قريش" وكتاب "تاريخ المغرب والأندلس" وقد اتخذت من كتابه الأول معيناً ومرشداً في تحديد بعض الخطوات على مسار الرسالة. كما استعنت بكتابه "صقر قريش" في الحديث عن صاحب اللقب عبد الرحمن الداخل.

وأفدت أيضاً من مؤلفات الدكتور عمر فروخ "العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط" وكتاب "تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية" وكتاب "تحديث التاريخ وتدوينه" لقد أفادتني هذه المراجع في كافة مراحل الرسالة بدءاً من تاريخ الشرق الأموي حتى غربه في المغرب والأندلس.

كانت فائدتي قيمة أيضاً من مؤلف الدكتور إحسان النص "العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي" والكتاب غزير بمعلوماته حول أنساب العرب وقبائلهم وحزبياتهم السياسية وما أدت إليه من اقتتال وصراعات طيلة العصر الأموي.

ومن المراجع الأجنبية المترجمة كتاب "تاريخ مسلمي أسبانيا" للمستشرق الهولندي رينهارت دوزي. ويعد الكتاب مرجعاً مهماً لكل دارس في تاريخ المسلمين في أسبانيا حضارياً وسياسياً. لقد استفدت من الكتاب في الحديث عن الحزبيات السياسية في المشرق والمغرب والأندلس وموقف خلفاء بني أمية وولاتهم منها. وعن ثورة الأمازيغ في المغرب وامتدادها إلى الأندلس, والصراعات بين الشاميين والبلديين التي انتهت بمقدم عبد الرحمن الداخل.

ومن المراجع الأجنبية غير المعربة كتاب "تاريخ فتح العرب المسلمين لأسبانيا" لمؤلفه "هنري كوبيه" وقد استفدت من الجزء الثاني للكتاب في الحديث عن الفتوحات العربية في غاليا, ونشوب الحزبيات القبلية والفوضى السياسية في عصر الولاة.

ويضاف إلى هذا وذاك من المصادر والمراجع ما أصبته من فائدة لدى اطلاعي على مجلات عربية ومواقع على الانترنت بالعربية والانكليزية.

مدخل تاريخي

عصبية أم حزبية:

شغلت العصبية القبلية Clan patriotism حيزاً واسعاً من عمر الدولة الأموية, وكانت سبباً رئيساً في ذلك الصراع الذي نشب في المشرق الأموي, بين القبائل العربية, من قيسية ويمانية, أي بين الذين ينتمون إلى عرب الشمال والذين ينتمون إلى عرب الجنوب, مما جعل تلك القبائل تقتتل وتتنازع في جميع الأقاليم ومن ثم تعرض حياة الدولة الأموية للأخطار الداخلية الممثلة بحركات الموالي والخوارج, ثم الأخطار الخارجية الممثلة بهجمات الخزر والروم.

وقاد كل هذا إلى انشغال الأمويين, ذوي العصبية العربية, عن توطيد حكمهم في الأندلس حيث كانت العصبيات قد رحلت إلى هناك مع جنود الفتح على شكل انتماءات قبلية مختلفة وأهواء سياسية متضاربة لعبت دوراً كبيراً في أحداث عصر الولاة.

لقد ذهب بعض الباحثين في تفسيرهم هذه الإحداث إلى أن العصبية القبلية كانت الدافع الأول في حدوث صراعات ونزاعات حادة ميّزت تلك المرحلة من التاريخ الإسلامي وطبعته بطابعها الخاص[1] وبالغوا في جعل الصراع يعود إلى الخلاف في الانتماء القبلي فحسب بينما أغفلوا الأسباب الأخرى من اقتصادية واجتماعية وغيرها[2].

لقد شهد الأندلس, فعلاً, عداوة بين قيس ويمن أخذت شكل صراع, بين الفاتحين, على الحكم وعلى المغانم أيضاً, وبعد أن استقر الفاتحون, ومن جاء بعدهم, على أرض الأندلس تحولت العصبية القبلية, عند هؤلاء, بفعل المصلحة والعيش المشترك إلى حزبية سياسية, إذ لم تعد عصبية القبيلة, بعد الآن, المحرك الرئيس لها[3] فكثير منها تناسى عصبياته من أجل مصلحة ما أو مكاسب مادية, كما أن قبائل أخرى عديدة عدت محايدة, لا تنتمي إلى أي من قيس ويمن, كانت تدخل في صف هذا الفريق أو ذاك وفقاً لما يتفق مع مصالحها[4] وعليه لم يعد في الأندلس كتلة أو كتل عصبية ذات انتماء قبلي خالص بل تكتلات حزبية أو أحزاب سياسية صار كل منها خليطاً من فرعي عدنان وقحطان, أصبحت معها هذه العصبيات – الأحزاب عاملاً مهماً في سياسة أهل الأندلس بعد عام 740 م (خلال ولايتي بَلج بن بِشر القُشيري وثعلبة بن سلامة العاملي) لدرجة أن ما كان يحدث في الأندلس ما هو إلاّ صدى لما كان يحدث في الشام حيث القيسيون واليمانيون كانوا يتعاملون كما تتعامل الأحزاب في الدول الحديثة.

---

1 رينهارت دوزي- تاريخ مسلمي اسبانيا, ترجمة عربية, ط. القاهرة 1963, ج1, ص 109-119

2 رياض عيسى – الحزبية السياسية في العصر الأموي, رسالة لنيل درجة الدكتوراة بتاريخ العرب والإسلام, دمشق 1990, ص 236.

3 حسين مؤنس- فجر الأندلس, ط. بيروت 2002, ص406.

4 حسين مؤنس- فجر الأندلس, ص 279.

وبعد, فإذا كانت العصبية القبلية تعني الشعور بالانتماء إلى قبيلة معينة, والترابط والتلاحم بين أبنائها, وبضرورة التضامن والتكافل فيما بينهم[1] فإن الحزبية لا تخرج كثيراً عن هذا المعنى, إذ هي أن يتبنى جماعة من الناس مبدأً معيناً أو إيديولوجية تنطوي على أهداف سياسية واقتصادية وقيم اجتماعية, يعملون على تحقيقها ونشرها, وغالباً ما تذهب الحزبية كثيراً في انغماسها في الشأن السياسي, بحملها لواء المعارضة ما يقابل العقيدة الشوفينية chauvinism التي تقوم عليها القبيلة من حيث تعصبها لكرم أصلها وافتخارها بنبل محتدها[2].

إذن ليست الحزبية السياسية Political Factionalism إلاّ عصبية قبلية Clan patriotism تحللت من تراثها القومي وتفككت روابطها ثم أصابها التفسخ لتحل محلها عصبية من نوع جديد تقوم على المبادئ والمصالح الاقتصادية المشتركة[3] وكان ابن خلدون قد أشار في مقدمته إلى أن الهدف الذي تسعى إليه العصبيات هو الملك والسلطان[4] وما كانت نزاعاتها إلاّ بدافع الزعامة وحب شديد للسيطرة[5].

نرى مما تقدم أن ما كان يرويه مؤرخو الأندلس عن صراع واقتتال, مرتبط بعصبيات قبلية, ينأى بعيداً عن الحقيقة التاريخية, لأن هذا يعني وجود تناقض كبير في البيئة الاجتماعية في حين أنه لم يكن هكذا وإنما حزبية سياسية في المجتمع الأندلسي.

العصبية وتعريفها:

العصبية في اللغة هي: "أن يدعوَ الرجلُ إلى نُصرة عَصَبته والتألب معهم على من يناوئهم ظالمين كانوا أو مظلومين"[6]. وهو من التعصب أن يناصر الرجل قومه ويدفع عنهم الأذى فهم عَصَبته أي أقاربه وذووه من جهة أبيه[7] فالعصبية في هذا المعنى, هي شعور القبيلة برباط النسب يجعل أفرادها يداً واحدة على أية قبيلة أخرى بالحق أم بالظلم والعدوان[8]. ويعبر التعريف التالي للعصبية تعبيراً دقيقاً لمفهومها الشائع و "هي أن يرى الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين" [9]أما مفهوم العصبية عند ابن خلدون فنتعرف عليه من خلال الدراسات العديدة التي

---

1 إحسان النُّص, العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي, ط. بيروت 1964, ص107.

2 إحسان النص, العصبية القبلية, ص106.

3 شكران خربوطلي, سطور منسية في تاريخ الحجاز, ط. دمشق, ص 119.

4 عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون, المقدمة, ط. بيروت 2000, ص 109.

5 عمر فروخ, تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية, ط. بيروت 1979, ص97.

6 جمال الدين محمود بن مكرم الأنصاري (ابن منظور), لسان العرب, ط. القاهرة, ج2 , ص96.

7 اسماعيل بن حماد الجوهري , الصحاح, ط. القاهرة 1956, ج1, 189.

8 عمر فروخ, الدولة الأموية, ص 41.

9 أورده الشيخ محمد الهويدي في كتابه: التفسير المعين للواعظين والمتعظين, ط. دمشق 2004, ص 493, عن كتاب الكافي, ج2, ص 308 , الذي ينسب هذا التعريف للإمام علي بن الحسين.

ظهرت في القرن التاسع عشر حول نظريته في الدين والدولة. يقول ابن خلدون أن العصبية تقوم على صلة الرحم ووحدة النسب, وهي نزعة طبيعية عند بني البشر مذ كانوا, ويضيف أنها ضرورية للملة ولا غنى عنها في كل أمر تُحمل عليه الكافة حتى في دعوات الأنبياء وهم أولى الناس بمعونة الله في إقامة دينه[1]. ويرد على ذلك نفر من الدارسين بالقول أن ابن خلدون إنما يتحدث عن الدعوات الدينية التي لا تستند على أمر إلهي إذ هي دينية بالمعنى الظاهري فقط[2]. بينما يرى أحد الباحثين أن ابن خلدون لم يستخدم مصطلح العصبية بمعناه الشائع والمألوف في الجاهلية, أي التعصب للأنساب, بل يذهب كعالم اجتماعي واقعي, إلى ما هو أبعد من ذلك وأعمق, إلى مفهوم يُعرف بلغة هذا العصر على أنه رابطة اجتماعية طبيعية تؤلف بين جماعة متجانسة من البشر وتدفعهم إلى عمل الخير والبناء ومدافعة العدوان. ثم يمضي الباحث نفسه موضحاً مفهوم هذه الرابطة البشرية ليخلص إلى القول أن العصبية هي ذاك الشعور بالولاء الذي يربط بين المجموعات البشرية المتجانسة والمعروف في حاضرنا: بـ "الرابطة القومية"[3] ومهما قيل في العصبية, وأن لها مدلولات مختلفة, أكانت رابطة اجتماعية, أم قومية, أم عقائدية, أم حزبية سياسية, فإن جميعها يصب في مجرى العمل المشترك الذي يقود إلى التضامن والوحدة والنفع العام لجماعة منتظمة من البشر.

العصبية في الجاهلية:

كان مجتمع الجاهلية مجتمعاً قبلياً, والقبيلة فيه أساس الحياة الاجتماعية وهي, في حد ذاتها, أسرة كبيرة يربط بين أفرادها صلات من القرابة أو الزواج, ويشيع بينهم روح التعصب للأنساب والتباهي بالأحساب, وكانت كل قبيلة تشكل وحدة اجتماعية ووحدة قومية سياسية لا تلتصق بالأرض لأن البدوي لا يعرف الزراعة ولذلك لم يستمسك بالأرض ولم يحتجن منها موطئ قدم[4] بل كانت القبيلة تعتاش على الرحلة في طلب الماء والكلأ لمواشيها, وهما مشاعان للجميع في البادية, وعلى الغزو والغارات على القبائل الأخرى, أي أن القبيلة, بطبيعتها, مجتمع اشتراكي يقوم على التعاون والتآخي والتكتل فيجمع بين أفرادها ويجعلهم يداً واحدة على الأعداء وما أكثرهم من حولها, ولهذا تقتضي مصلحة القبيلة وجود قدر كبير من التضامن بين أبنائها وإلاّ تعرضت للتلاشي والاندثار مما يدفع كل فرد فيها للتضحية بحياته وبكل ما لديه في سبيل قبيلته التي رعته وحمته حتى أصبح رجلاً. لقد انتشر هذا النمط من الحياة البدوية في شبه

---

1 ابن خلدون , المقدمة ص 122

2 كامل عياد وأروين روزنتال في كتاب: دراسات في حضارات الإسلام لـ هاملتون جب, ترجمة عربية, ص 226.

3 د. محمد جابر الأنصاري, معنى العصبية عند ابن خلدون , مجلة العربي, العدد 249, آذار 1983 و إحسان النص, النص, العصبية القبلية يرى أن العصبية تنافي الشعور القومي, ص 106 والشعور الإنساني, ص 106.

4 د. دوزي, تاريخ مسلمي أسبانيا , ج1, ص 15.

الجزيرة العربية في الفترة التي سبقت ظهور الإسلام والتي أطلق عليها القرآن الكريم اسم الجاهلية.

لم تكن العصبية القبلية, بالمعنى المألوف والشامل, كالعصبية لعدنان أم لقحطان معروفة, بمفهومها الواسع, في العصر الجاهلي, بل كانت ضيقة الحدود وفي نطاقها الأدنى كالتعصب لقبيلة ما أو لبطن من بطونها[1] ولم يُروَ عن عرب الجاهلية وصدر الإسلام أنهم ينقسمون إلى عرب شمال وعرب جنوب وإنما ظهر ذاك التقسيم في العصر الأموي نتيجة لسياسة الأمويين القائمة, أحياناً, على إشغال القبائل عن معارضة الحكم[2]. جماع القول أن هذه الجماعة من البشر (القبيلة) التي تعيش نمط حياة بدوياً في الصحراء لم تجد سوى العصبية بديلاً ووسيلة تحتمي وراءها إذ هي ضرورة من ضرورات حياتها, ودستورها العرفي العام وسر بقائها[3] وباختصار هي الدين الحقيقي للصحراء[4].

تميزت عصبية القبيلة بالتماسك والتعاون بين أفرادها وانقيادهم لأولي الأمر فيها واعتزازهم بنسبها وتفاخرهم بكرم محتدها. ولقد أثر عن الإعرابي, ابن القبيلة, محامد كثار من جملتها النجدة والوفاء وقرى الضيف, كما عرفت عنه مساوئ كبار كالغزو والثأر و "الحمية في غير الحق"[5].

<u>الإسلام والعصبية القبلية</u>:

كان من الطبيعي أن يصطدم الإسلام بالعصبية القبلية التي جعلت من مجتمع الجاهلية مجموعات بشرية متناثرة تتقطعها الضغائن والأحقاد, وتعصف بها النزاعات والثارات وبذلك تساهم العصبية القبلية, مع طبيعة الأرض العربية الصحراوية والوعرة, في نشوء مجتمع عربي مفكك مقطع الأوصال يصعب على أفراده العيش في كيان سياسي يلم شملهم[6]. وعندما جاء الإسلام أراد أن يجمع القبائل العربية في إطار روحي جديد يحتوي عصبياتهم الموروثة لسببين كما يرى الدكتور عمر فروخ:

أولهما: كانت تتقسم العرب عصبيات قبلية مختلفة متعادية, ومن غير الممكن جمع هذه العصبيات على رأي واحد ولا تغليب أحداها على الأخريات.

---

1 إحسان النص, العصبية القبلية, ص 140-141

2 مؤنس, فجر الأندلس, ص 278

3 شكران خريطلي, سطور منسية في تاريخ الحجاز, ص 141-142

4 دوزي , تاريخ مسلمي أسبانيا ص 17

5 عمر فروخ, العرب والإسلام في الحوض الشرقي للمتوسط, ط. بيروت, 1981, ص 20.

6 مؤلف مجهول, المجتمع العربي, ط. دمشق 1964-1965, ص 27.

ثانيهما: وكان من المتعذر أيضاً حمل الشعوب الداخلة في الإسلام, من فرس وترك وروم وغيرهم, على التخلي عن قومياتهم واستبدالها بقومية أخرى جديدة[1]. لهذا نهى الإسلام عن العصبيات والدعوة إليها بل حاربها بضراوة فقال الرسول الكريم: "ليس منا من دعا إلى عصبية" وفي حديث آخر له أكثر تشدداً قال: "من كان في قلبه حبة خردل من عصبية بعثه الله يوم القيامة من أعراب الجاهلية"[2] .

لقد استطاع الإسلام أن يؤلف بين القبائل العربية و يوحدها تحت لوائه بأن تبدل بالعصبية القبلية عصبية أخرى دينية تبنى على التآخي والعدالة والمثل الأعلى, وبانتشار هذه التعاليم الإسلامية الجديدة أخذت العصبية تتقهقر أمام العقيدة الدينية, والإثرة والفردية تتلاشيان أمام روح الجماعة. لقد رفع الإسلام من شأن الإنسان وجعل التقوى معياراً لتقييم الناس في الحياة بصرف النظر عن أحسابهم وأنسابهم, وعلى هذا النهج سار خلفاء الرسول (ص), وكان أولهم, الخليفة أبو بكر, أكثرهم حزماً في محاربة العصبيات, فتصدى بقوة لحركة الردة التي كانت – في وجه من وجوهها– تعبيراً حياً على حنين القبائل العربية إلى عصبياتها القديمة, وإلى حياتها في الاستقلال والفردية.

تقوقعت العصبيات في عهد عمر بن الخطاب لصرامته وشدة بأسه ولتجاهله امتيازات أهل الجاه والشرف[3] وهذا ما جر عليه نقمة هؤلاء ومناصبتهم إياه العداء.

وتطل العصبية برأسها من جديد في عهد الخليفة عثمان, الضعيف في شخصه والمكثر في أخطائه في الحكم مما أسخط الناس عليه وقاده إلى حتفه في حادثة لا سابقة لها في تاريخ الإسلام (الفتنة الأولى).

بعد مقتل عثمان غرق المسلمون في مستنقع العصبيات وتصدعت وحدتهم الدينية والسياسية, وتمزقوا شيعاً وأحزاباً, ورغم محاولة آخر الراشدين, علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) اقتفاء خطى الرسول (ص) تجاه العصبيات إذ أثر عنه:" إذا كنتم لا محالة متعصبين فتعصبوا لنصرة الحق وإغاثة الملهوف"[4] وحرصه الشديد على رص صفوف الأمة بما قيل عنه في أمر وصيته: " – – عليكم بالتواضع والذل لله, وإياكم والتقاطع والتفرق والتدابر"[5], لكن

---

1 ابن خلدون, المقدمة, ص 126.

2 أورده الشيخ محمد الهويدي, التفسير المعين للواعظين والمتعظين, ص 493.

3 إحسان النص, العصبية القبلية ص 181

4 الدكتور محمد الهويدي, التفسير المعين, ص 393 , عن غرر الحكم

5 نبيه عاقل, محاضرات في تاريخ العرب والإسلام, ط. دمشق 1966-1967, ص 166.

المناخ السياسي العام المتلبد بغيوم العصبيات, اليمنية والقيسية, أعجزه عن الأخذ بيد الدولة ثم جره إلى حروب أهلية مع أعدائه وبالتالي إلى مقتله[1].

1 إحسان النص, العصبية القبلية ص 198 و 199.

الفصل الأول

الحياة العامة في عصر الولاة وعصر عبد الرحمن

شرائح السكان عند نزول العرب في الأندلس:

لا بد لنا من عود إلى الوراء من أجل إلمامة وجيزة بالأوضاع الاجتماعية والسياسية في شبه الجزيرة الإيبيرية قبل فتحها من قبل العرب المسلمين.

سكن الايبيريون Iberians, الذين قدموا من إفريقية, شبه الجزيرة الإيبيرية منذ العصور القديمة, وفي القرن الحادي عشر ق.م غزاها الكلتيون Celts وهم من الشعوب الهندية – الأوربية Indo – European ومن هذين الشعبين نشأ جيل جديد هو الشعب الإسباني. وفي الألف الأولى قبل الميلاد تعرضت السواحل الجنوبية والشرقية لإسبانيا لتأثيرات الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط, حيث بنى الفينيقيون وجيرانهم اليونانيون مدناً هناك, مثل قادس ومالقة, اتخذوها محطات تجارية على خطوط تجارتهم البحرية, وفي نهاية القرن الثالث ق.م تمكن الرومان من السيطرة على شبه الجزيرة بعد إقصائهم القرطاجيين Carthaginians, سكان قرطاجة Carthage[1], ففي العام 201 ق.م التقى القائدان هانيبال Hanibal القرطاجي وشيبيو Scipio الروماني في معركة زاما Zama على البر الإفريقي هُزم فيها هانيبال وفرّ إلى المشرق ثم خلا الجو للرومان عندما قضوا على قرطاجة عام 146 ق.م[2] فدامت سيطرتهم على إسبانيا حوالي سبعة قرون وهي مدة كافية لرَوْمنة إسبانيا اجتماعياً ولغوياً[3] ثم دينياً باعتناق السكان للديانة المسيحية. وعندما حلّ الضعف بالامبراطورية الرومانية أخذت برابرة شمال أوربا من الجرمن تكتسح الأراضي الرومانية ثم انحدرت نحو الغرب, إلى غاليا ومنها إلى اسبانيا, أقوام من السويف Suivi, والفاندال Vandal والآلان Alans وتقاسمت أراضيها منذ القرن الثالث الميلادي.

عندما احتلّ القوط الغربيون Visigoths شبه الجزيرة في مطلع القرن الخامس الميلادي اصطدموا بالفاندال وطردوهم منها فاتجه هؤلاء إلى شمال إفريقية 429م. وأخذ القوط الغربيون يمتدون شيئاً فشيئاً في أنحاء إسبانيا إلى أن بسطوا سلطانهم على باقي القبائل الجرمانية. وبعد زوال الامبراطورية الرومانية الغربية 476 م أسسوا لهم دولة مستقلة وجعلوا ماردة عاصمتها,

---

1 عبد العزيز عثمان, تاريخ الشرق الأدنى القديم, ط. بيروت 1966, ص411–412: قرطاجة مستعمرة فينيقية بناها تجار صور عند خليج تونس حوالي العام 814 ق.م وسيطرت على التجارة البحرية في غرب المتوسط وبنت لها مستعمرات في جزر الباليار Balear ونافست اليونانيين وخاضت معهم حروباً بحرية.

2 عمر فروخ, تجديد التاريخ, ص103.

3 أحمد بدر, دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها, ص3.

فظهرت كوحدة سياسية لأول مرة في إسبانيا مطلع القرن السادس الميلادي. ويُعد زعيمهم يوريك Euric الذي اتخذ لنفسه لقب ملك, غير تابع لأحد, المؤسس الأول لدولتهم[1].

تقودنا هذه المقدمة إلى أن العرب لما نزلوا في الأندلس وجدوا فيه أقواماً عدة: القوط والروم والايبيريين وغيرهم. وكانت حالة المجتمع الاسباني آنذاك سيئة جداً بفعل الانقسام الطبقي فيه, فقد سيطرت الطبقات بعضها على بعض لانعدام المساواة في البنية الاجتماعية[2] وأهم تلك الطبقات أو الشرائح هي:

1. **القوط:** ومنهم الملوك وحاشيتهم, والنبلاء, وكبار الملاك, وأصحاب الأراضي, ويلي هؤلاء طائفة رجال الدين وهم يتمتعون بمركز مرموق عند الحكام ولهم نفوذ كبير وامتيازات واسعة.
2. **الأسبان:** ويشكلون الكثرة المطلقة من السكان, وكانوا خليطاً من أقوام بشرية مختلفة يغلب عليها العنصر الكلتي – الايبيري, وكان أكثرهم زرّاعاً وأهل مهن, وكوّن بعضهم طبقة استعبدها الحكام ومن يتصل بهم من السادة[3]. ويلحق بهذه الطبقة:

المعمرون: وهم زرّاع الأرض, وقد عُرفت هذه الشريحة في العصر الروماني وحريتهم وهمية, ويبدو أن الطبقة الحرة الريفية كانت قليلة العدد[4].

3. **الأقليات السكانية:** كالروم وهم من بقايا البيزنطيين وكانوا يقيمون في مدن السواحل الشرقية والجنوبية, وإلى جانب هؤلاء هناك بقايا من الفاندال والسويف وهم من برابرة الجرمن كالقوط, ثم اليهود وقد عاشوا في المدن وسيطروا على اقتصاد البلاد كما هي عادتهم في كل مكان, وكانوا يعملون في شؤون المال كتقديم القروض, وتعاطي الربا, والاتجار بالرقيق.

لم يكتف القوط بالاحتفاظ بمساوئ النظام القديم, بل أضافوا إليه ما لديهم من مساوئ مما باعد ما بين شرائح السكان فصار القن والفقير أكثر فقراً, والغني أكثر غنىً[5] فتكاثر الأقنان من عبيد الأرض الزراعية, وبشكل عام لم تكن اسبانية, في الأصل, دولة إقطاعية ولكن, بتأثير غاليا, دخلت هذه الإقطاعية إلى اسبانيا في القرن الثاني عشر الميلادي[6]. نخلص إلى القول أن الأوضاع الاجتماعية في إسبانيا كانت ضعيفة جداً, بل هي امتداد للعصر الروماني البائد, فلم

---

1 حسين مؤنس, فجر الأندلس, ص17.

2 محمد سهيل طقوش, تاريخ المسلمين في الأندلس, ص23.

3 عمر فروخ, العرب والإسلام في الحوض الغربي من المتوسط, ص179.

4 نور الدين حاطوم, تاريخ العصر الوسيط في أوربة, ص18 و 438: كان هؤلاء في الأصل من برابرة الجرمن دخلوا أراضي الامبراطورية الرومانية سلماً ولم يجدوا مانعاً من أن يقدموا لها سواعدهم وسيوفهم.

5 حسين مؤنس, فجر الأندلس, ص37.

6 نور الدين حاطوم, تاريخ العصر الوسيط, ص439.

يكن للقوط ما يملكونه من أسس اجتماعية تعينهم على تنظيم مجتمع مكون من أخلاط من السكان ومن مشارب مختلفة.

فئات السكان في عصر الولاة:

تكونت الجيوش التي فتحت الأندلس من أقلية عربية ومن أكثرية أمازيغية, وكان جميع هؤلاء الفاتحين من المسلمين, وسرعان ما تدافع أهل البلاد لاعتناق الإسلام حتى عمّ شبه الجزيرة الايبيرية كلها, وبانتشار الإسلام جرت اللغة العربية على الألسن كغيرها من سائر اللغات التي يتكلمها الناس, فرافق ذلك انتشار واسع للحضارة الإسلامية التي حملها العرب بين أوساط السكان على اختلاف أجناسهم.

يكاد يتفق المؤرخون على أن المجتمع الأندلسي, في عصر الولاة, كان يتكون من عنصرين رئيسين هما: المسلمون والذميون:

أ- **المسلمون:** وهم فاتحو الأندلس من العرب والأمازيغ ومن دخل بالإسلام من أهل البلاد.

1. العرب: لقد دخل العرب الأندلس على دفعات مكونة من حزبيتين سياسيتين متناحرتين هما: القيسية واليمانية. ثم انقسم العرب فيما بعد, على أساس زمن نزولهم في الأندلس, إلى قسمين: البلديين أي أهل بلد الأندلس القدامى الذين جاءوا في حملات الفتح الأولى مع طارق بن زياد وموسى بن نصير. ثم الشاميين: وهم الذين جاؤوا في طالعة بلج بن بشر, وقد سُموا بهذا الاسم لأنهم كانوا يقطنون, قبل قدومهم إلى الأندلس, مناطق من بلاد الشام كحمص ودمشق وفلسطين والأردن, وقد استقر العرب, في الأغلب, على طول خطوط الفتح, وفي الشواطئ الشرقية والجنوبية الشرقية ذات المناخ المتوسطي الدافئ الذي يشبه مناخ البلاد التي جاءوا منها, كما امتدت منازل مجموعات منهم حتى Badajoz في غرب الأندلس وفي شماليها[1].

كانت غالبية القبائل من اليمانية وأقلها قيسية وبينهما خصومة شديدة. فكثرت النزاعات القبلية بين هاتين الحزبيتين, ثم تحولت إلى صراعات بين العرب القدامى (البلديين) والعرب الجدد (الشاميين).

كان العنصر العربي, في الأصل, أقلية بالنسبة لعناصر السكان ثم أخذ يزداد ويتقوى بمجيء عناصر عربية من إفريقية والمشرق, وبما نجم عن تزاوجهم بنساء من أهل البلاد[2]. وعندما أسس عبد الرحمن الداخل دولته استقدم كثيراً من أقاربه الأمويين, ولم يلبث هؤلاء أن كونوا طبقة خاصة بهم عرفت بطبقة القرشيين وكانت تتمتع بامتيازات كثيرة كالاعفاء من

---

1 أخبار مجموعة, ص38. ابن عذارى, البيان المغرب, ج2, ص30.

2 ح.س كولان, الأندلس, ص90.

الضرائب وتناول رواتب عالية. وأُنشئ لهم ديوان يهتم بشؤونهم سُمي ديوان قريش, ثم صار للقرشيين نقيب كما كان لطبقة الهاشميين في المشرق[1]

وعلى أية حال كان العرب يمثلون عنصراً عدوانياً كثير الشغب[2] ملأ عصر الأمير عبد الرحمن بالفتن والثورات دون أن يتمكن زعماؤه من شيء سوى الإخفاق والاندحار.

عندما نتكلم عن الأمويين يتبادر إلى الذهن موالي بني أمية, وكنا قد تعرضنا لهؤلاء في حديثنا عن حزبية عبد الرحمن الداخل التي ضمت طائفة, لا بأس بعددها, من موالي الأمويين الذين كان لهم دور هام في قيام دولة عبد الرحمن وكان منهم كبار موظفي البلاط.

عرف المجتمع الاسباني نظام الولاء في عصر الولاة وقد سار على نفس الأسس التي درج عليها في المشرق, فأنتج هذا النظام, في الأندلس, أعداداً من الموالي الإسبان الذين قبلوا الانتماء لغيرهم, من بني أمية على الأغلب, جراً لمنفعة اقتصادية أو وجاهة سياسية كموالي النعمة, أو التماساً للحماية والشرف كموالي الاصطناع, أو خلاصاً من العبودية كموالي العتاقة[3].

تمتع موالي الأندلس بوضع اجتماعي لا يقل عن وضع الأحرار بخلاف ما كانوا عليه في المشرق من وضع اجتماعي أقل من وضع الحر, وعندما جاء عبد الرحمن الداخل, وساندوه في إقامة الدولة, صار لهم مركز اجتماعي أعلى من مركز العرب[4].

2. البربر (الأمازيغ): دخل البربر اسبانيا في حملة طارق بن زياد, وعقب الفتح استمر سيل هجرتهم يتدفق إلى الأندلس بلا انقطاع, واستقروا في المناطق الشمالية الجبلية وفي الوسط والغرب لشبه تلك الأقاليم بمناطق سكنهم في جبال الأطلس حيث جاءوا منها على الأغلب, بينما استقر البربر المهاجرون من المغرب الأقصى في قرطبة وغرناطة, فارتفعت أعدادهم في الأندلس حتى أصبحوا أضعاف العرب قوةً وعدداً.

ينقسم البربر إلى فرعين كبيرين: البتر والبرانس, ولكن هذا الانقسام الحاد لم يكن معروفاً في عصر الولاة وإنما وقع فيما بعد عندما سرت عدوى الحزبية القبلية من العرب إلى البربر[5] فصار بين الفرعين من التحزب كالذي بين القيسية واليمانية دون أن يقاتل بعضهم بعضاً, وغالباً ما كانوا ينحازون إلى اليمانية ويحاربون, إلى جانبهم, القيسية.

اختلف النسابون والمؤرخون حول أصل البربر, فقد ذهب معظمهم, ومنهم ابن الكلبي والهمذاني, إلى أن صنهاجة, وهي من البتر ويتفرع عنها أكثر من سبعين قبيلة, ينتهي نسبها إلى

---

1 ابن حزم, الجمهرة, ص93, وفيها يقول إن معاوية بن محمد كان نقيب قريش في الأندلس.

2 ح.س كولان, الأندلس, ص90.

3 ذكر ابن الفرضي في كتابه تاريخ علماء الأندلس أسماء كثيرين من الموالي الاسبان.

4 حسين مؤنس, فجر الأندلس, ص445.

5 حسين مؤنس, فجر الأندلس, 421.

قبيلة حِميَر اليمنية, بينما يذهب آخرون, كالناصري, صاحب كتاب الاستسقاء, إن صنهاجة من البربر (الأمازيغ) ويرجع أصلها إلى كنعان بن حام[1]. ومهما يكن أصل صنهاجة حميرياً أم بربرياً فهي في نهاية المطاف تعود إلى أصل عربي إذا أخذنا بصحة الأصل العربي للبربر, وإن الصنهاجيين هم عرب جاءوا من شبه الجزيرة العربية واستقروا في المغرب وتزاوجوا مع سكانه حتى (تبربروا)[2]. وفي الحقيقة لا يتوفر يقين بالغ حد الكمال حول أصل البربر[3].

لقد تتبع المؤرخون, من خلال الشواهد المبعثرة على صفحات المصادر, أسماء القبائل البربرية التي استقرت في الأندلس وشاركت في أحداثه, فكان من بينها قبائل نفزة ومكناسة اللتان استقرتا في ما بين قرطبة وجليقية ثم هوارة ومديونة في شنتبرية وهذه قبائل زناتية, من البتر, وهناك تجمعات مصمودية, من البرانس, في ماردة[4] ومورور وتاكرنا وشنتبرية[5].

أطلق على البربر اسم آخر عرفوا به هو Imazighen (الرجال الأحرار) والمفرد Amazigh وهم عنصر بشري استوطن شمال غرب إفريقية, وبصورة خاصة في المغرب والجزائر وما زالوا حتى اليوم يعرفون بالبربر في مناطق إقامتهم, وينظر لهم كباقي فئات السكان من العرب وغيرهم دون أن يكون لانتمائهم العرقي ولغتهم الأم أي انعكاس على وضعهم السياسي والاجتماعي[6].

كانت لفظة بربر في القديم تؤذي مشاعرهم, أما اليوم فلا تدل إلا على أصلهم فحسب حتى أنهم أصبحوا لا يجدون فيها غضاضة بل هم يفخرون بها لما فيها من دلالة على شدة البأس والعنفوان.

3. المسالمة والمولدون: يطلق اسم المسالمة أو الأسالمة على الذين دخلوا في الدين الإسلامي من أهل البلاد, أما المولدون فهم أبناء المسالمة الاسبان الذين أسلموا منذ الفتح.

---

1 ابراهيم القادري بوتشيش, مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين, ص12-13.

2 نفس المرجع, ص41.

3 موقع على الانترنت http://en.wekipedia.org/wiki/Berber ويذكر الموقع نفسه إن هؤلاء البربر إنما أعانوا عبد الرحمن في دعوته لأن أمه كانت منهم.

4 ابراهيم القادري بوتشيش, مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين, ص36 عن ابن خلدون.

5 حسين مؤنس, فجر الأندلس, ص421-422.

6 تقلد بعض منهم وظائف عالية في الدولة التي عاشوا فيها مثل الأمين زروال رئيس الجمهورية الجزائرية وإدريس جيتو رئيس وزراء المغرب والجزائرية خالدة تومي الناشطة في مجال حقوق الإنسان ووزيرة المواصلات ومؤخراً قامت المملكة المغربية في نهاية عام 2009 بإطلاق قناة فضائية للبربر ناطقة بلغتهم الأمازيغية تقدم برامج من مختلف نواحي الحياة, وهذا ما أسعدهم كثيراً, لكنهم ما زالوا يخشون تهميش المكونات الثقافية واللغوية لهويتهم.

لقد أقبل أهل الجزيرة, من مختلف طبقاتهم على اعتناق الإسلام عندما لمسوا في رحابه ما ينشدونه من الرحمة والعدل والمساواة. فمن جماعاتهم الأولى دخل في الإسلام أفواج من الرقيق وعبيد الأرض, الذين وجدوا في الإسلام خلاصاً من شقائهم, والفلاحون, وسكان المدن بشتى فئاتهم, فأصبحوا متساوين وأخوة في الدين, فدخلوا الكتلة الإسلامية وانصهروا في بوتقة المجتمع الأندلسي, وتلاشى كل شيء يشير إلى أصلهم, بل نسوا ذلك الأصل الاسباني وخرج من حياتهم[1].

كان للعمال والولاة, بما لديهم من حنكة سياسية, أثر عظيم في احتضان هؤلاء المولدين الذين صاروا يؤلفون غالبية سكان الأندلس, وذلك بتشجيعهم وإطلاق حريتهم في أن يكسبوا المال بالعمل الشريف في كافة النشاطات البشرية, فتحسنت أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية حتى أن بعضهم أصاب غنىً بممارسة الأعمال التجارية والزراعية, وذهب بعض منهم إلى ادعاء نسب عربي يضفي عليهم شعوراً يسمح بالتباهي بأصولهم العربية مثل ابن حزم (من القرن الخامس الهجري)[2] وهناك منهم من احتفظوا بأسمائهم القديمة بعد إسلامهم, مثل ابن القوطية (من القرن الرابع الهجري وبعد الحقبة التي نتكلم عنها) ليفخروا بأنهم ينتمون إلى بيوت إسبانية (إيبيرية أو قوطية) ذات موقع اجتماعي مرموق. لقد اندمج هؤلاء الاسبان, عن طريق التعايش في ظل الإسلام الذي اعتنقوه, في المجتمع الأندلسي الجديد دون أن يفقدوا شخصيتهم الخاصة وهي عملية ساعد عليها وضع خاص للأندلس تميز به عن سائر بقية بلاد الإسلام في نواح عديدة من حياته السياسية ومثله الحضاري والثقافي الأعلى[3].

ب- الذميون (أهل الذمة):

لقد أطلق العرب على الاسبان الذين كان يسكنون خارج حدود الأندلس العربي نصارى, كما دعوهم قوطاً أو روماً أو فرنجة لأنهم يدينون بالنصرانية, وأيضاً سموهم العجم لكونهم يعجمون في الكلام, أما الذين كانوا يعيشون داخل حدود الأندلس العربي فقد سموا ذميين أو أهل الذمة, ومن كان لأحد منهم أو بعضهم عهد سموا معاهدين (معاهدة) بناءً على المعاهدات التي عقدها رؤساؤهم أيام الفتح[4], وأيضاً كانوا يدعون أهل الكتاب.

---

1 كولان, الأندلس, ص93.

2 ابراهيم القادري بوتشيش, مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس, ص44 نقلاً عن معجم الأدباء لياقوت الحموي, مونتغمري وات, في تاريخ إسبانيا الإسلامية, ص66, ادعى أنه منحدر من جد فارسي مستعرب.

3 حسين مؤنس, فجر الأندلس, ص466 عن ليفي بروفنسال في مؤلفه تاريخ اسبانيا الإسلامية, وج.س كولان, الأندلس, ص93.

4 عمر فروخ, الحوض الغربي من البحر المتوسط, ص182.

أطلقت عبارة أهل الذمة على (رعايا الدولة من غير المسلمين) وخاصةً **النصارى واليهود** لأنهم يعيشون في ذمة المسلمين وحمايتهم, فعندما انتهت موجة تحرير الشعوب العربية في المشرق, منح المسلمون الفاتحون لرعاياهم الحرية الكاملة في اعتناق الإسلام وعندها يسقط عنهم جميع ما يطلب منهم من التزامات, ويعاملون كسائر العرب المسلمين, أو دفع الجزية مقابل البقاء على دينهم وحماية العرب المسلمين لأرواحهم. والجزية مبلغ من المال يدفعه الذمي بحسب مقدرته ويقتصر على الرجل القادر على حمل السلاح ويعفى منها كل عاجز ومترهب وامرأة وطفل. وبموجب هذه الأحكام جرى التعامل مع نصارى الأندلس. فإذا كان هؤلاء يعيشون في الأندلس العربي ولا يتكلمون اللغة العربية فهم عجم الأندلس, أما إذا كانوا يتكلمونها فهم المستعربون Mozarabes وهم الذين رفضوا التخلي عن عقيدتهم الدينية زمن الفتح ليدخلوا في دين الفاتحين.

إن لفظ "مستعرب أو مستعربون" لم يعرف في الكتابات الرسمية إلا في وقت متأخر حيث أخذ يظهر في معاملات العقود الجارية بين الناس منذ القرن الحادي عشر الميلادي تمييزاً لهم عن نصارى الشمال من رعايا الممالك الاسبانية[1], أي أن نصارى الأندلس يتميزون عن نصارى الشمال بأنهم استعربوا ثقافة ولغة ونمط حياة.

كان الذميون في السنين القليلة الأولى التي أعقبت الفتح, يشكلون معظم سكان الأندلس, ثم أخذت أعدادهم تتناقص شيئاً فشيئاً, بتزايد المسالمة وأبنائهم من المولدين, إلى أن أصبحوا أقلية بالنسبة لسائر المسلمين على أنهم عاشوا بينهم في المدن والأرياف وبخاصة قرطبة وإشبيلية وطليطلة, وتعايشوا معهم في ظل نظام إسلامي متسامح فقامت بين الجانبين علاقات اجتماعية واقتصادية تقوم على الصداقة والمعاملة بالمثل. وتقول الروايات التاريخية, وهذا مما لا شك فيه, أن العرب أتاحوا للنصارى واليهود حريتهم كاملة, وجعلوهم في ذمتهم مقابل الجزية والخراج وفق ما تقتضيه الشريعة الإسلامية. واليهود, أيضاً, كانوا أهل ذمة كالنصارى, وقد علا شأنهم بعد الفتح العربي لما قدموه للعرب, أثناء الفتح, من مساعدة لا تنكر ولذلك فقد عاملهم العرب معاملة سمحة ولم يظلموهم في دينهم أو يغرموهم أموالاً بغير حق كما كان يفعل بهم القوط. وكانوا يعيشون في معظم المدن الأندلسية ولهم في كل منها حي خاص بهم.

ذهبت بعض المراجع الغربية إلى أن خلفاء عبد العزيز بن موسى بن نصير, وهم أوائل ولاة الأندلس, كانوا حاقدين على النصرانية بينما لا تشير الدلائل على شيء من هذا. فلربما عسف هؤلاء الولاة نصارى الشمال الاسباني فقط عندما ذهبوا لفتح بلادهم, فأشكل هذا على الرهبان المؤرخين بأن العرب فعلوا ذلك بالاسبان من سكان الأندلس, ومن المعروف تاريخياً عن

---

1 حسين مؤنس, فجر الأندلس, ص461.

الفاتحين العرب, في الأندلس وغيره, أنهم لم يتعرضوا لرعاياهم من أهل الذمة بشيء فيما إذا صالحوا على أنفسهم, ولذلك فقد انتعشت النصرانية الاسبانية بعد الفتح الإسلامي بشكل ملحوظ[1].

تؤكد المراجع النصرانية أن نصارى الأندلس تعرضوا للأذى الشديد على يد الواليين عبد الرحمن الغافقي وعبد الملك بن قطن الفهري, بينما لا تشير المصادر العربية ما يدعم ذلك أو يدحضه ولو أن روايات كثيرة تدل على أن الغافقي كان شديداً على نصارى الركن الشمالي الشرقي من شبه الجزيرة الايبيرية الذين أجاروا الثائر مونوسة, ويعرف عن الغافقي أنه رجل عسكري عنيف يتفانى في سبيل الإسلام, كما يؤكد المؤرخون الاسبان أن عبد الملك بن قطن عسف النصارى وظلمهم في ولايته الأولى 114-116هـ/732-734م ووضع يده على أراضي تُدمير صاحب مرسية الذي عقد معه عبد العزيز بن موسى معاهدة صلح, فكان من تُدمير أن مضى إلى المشرق حيث لقي الخليفة هشام بن عبد الملك وشكا إليه أمره, فأكرم هشام وفادته وأقره على أملاكه, ثم رجع إلى بلاده وعاش آمناً حتى توفي سنة 125هـ/743م[2].

وحول موقف عقبة بن الحجاج السلولي من النصارى, فإن المراجع تختلف فيما بينها فتقول الرواية المأخوذة عن الرازي أن عقبة جعل كل أموره في أيدي النصارى خلافاً لما رواه ايزيدور الباجي من أن عقبة أخذهم بالعنف لتأدية ما عليهم .... ويضيف بأنه لم يختص النصارى فقط بل والمسلمين أيضاً, فليس بمستبعد إذن أن يكون عقبة قد قرب أهل الأندلس وساوى بين النصارى وبين العرب في المعاملة[3], وجاء في المرجع نفسه أن أبا الخطار, عندما فرق جند الشام على الكور المجندة (كان إنزالهم على أموال أهل الذمة من العجم), (وجعل لهم ثلث أموال أهل الذمة طعمة) ففسر سيمونيت هذه العبارة بأن أبا الخطار زاد الضريبة بمقدار ثلث الأموال وهو تفسير خطأ فلم تزدد الضريبة على أهل الذمة وإنما يصيب الشاميين ثلث الجباية, إذن لا محل لما يدعيه سيمونيت بأن أحوال أهل الذمة ساءت في أيام أبي الخطار, ومهما قيل في هذا الشأن فإن العرب المسلمين تركوا النصارى من أهل الأندلس أحراراً في بناء ما يريدون من الأديرة والكنائس, وعندنا أن العرب المسلمين في الأندلس, وفي كل مكان وزمان, وفروا لرعاياهم النصارى من الحرية الكاملة والتسامح الجم أكثر بكثير مما وفرته, للنصارى, الدول النصرانية الكبرى كفرنسا وانكلترا أثناء احتلالهما للبلدان العربية.

الحياة السياسية والإدارية:

---

1 حسين مؤنس, فجر الأندلس, ص529 عن سيمونيت: المستعربون, ص160-162.

2 مؤنس, فجر الأندلس, ص531 عن سيمونيت: المستعربون, ص183.

3 مؤنس, نفس المرجع, ص533 عن سيمونيت: المستعربون, ص184-185.

تميز عصر الولاة في الأندلس بالفتوحات وهي أعمال جهادية قام بها بعض الولاة مثل عنبسة بن سُحيم وعبد الرحمن الغافقي, وبالنزاع بين أهل الحزبيات السياسية من قيسية ويمانية, ولذلك لم تحدث على مسرح الأندلس هزات سياسية أو حركات تستحق التأريخ. ولبعد هذه الولاية عن دمشق وحتى عن القيروان, فقد تمتع ولاة الأندلس بصلاحيات واسعة جداً إلا أنهم لم يكونوا طغاة Autocratics, حيث كان عليهم أحياناً أن يظهروا شيئاً من الاحترام لرأي زعماء العرب في الأندلس[1]. أما آراء دمشق وأوامرها فكانت لا تلزم الولاة بشيء لضعف سلطتها على الولاية. ومع أن تبعية الأندلس للقيروان كانت مباشرة, فإن كثيراً من أحداثه الكبرى كانت تجري دون علمها[2] ومن ذلك أيضاً أن عبد الملك بن قطن الفهري لم يستجب في البدء لنداءات بلج بن بشر وقواته الشاميين المحصورين وراء أسوار سبتة فتركهم يهلكون جوعاً مع أنه يعرف أن هؤلاء الشاميين هم الجناح المهزوم من جيش الشام الذي أرسله الخليفة هشام بن عبد الملك لقمع ثورة الأمازيغ في إفريقية, وما استنقذهم فيما بعد بإرساله سفناً لنقلهم إلى الأندلس إلا عندما شدد الأمازيغ الخناق عليه في قرطبة.

تحملنا هذه الأمثلة وغيرها على الاعتقاد بأن الأندلس, في عصر الولاة, كان بلداً شبه مستقل يرسم سياسته بنفسه كما تقتضيه ظروفه الخاصة, فلم يكن يُعرف له "حكومة" بالمعنى المألوف حديثاً ولا بالشكل المعروف في دولة الأمويين في ذلك الحين, أو في زمن عمر بن الخطاب الذي يعد أول من اهتم بتنظيم جهاز الدولة الجديدة[3] في المجال العسكري والمالي والإداري وسجلات الدولة. كانت "حكومة الأندلس في عصر الولاة" بشكل عام "حكومة عسكرية استبدادية" فكان الوالي حاكماً عاماً, وقائداً, وقاضياً بنفس الوقت, وكان هو الذي يعين مساعديه وعماله على المدن مسؤولين أمامه وحده, وكان جميع هؤلاء, على الأغلب, من أقاربه أو أصدقائه أو بعض خاصته[4].

عرف الأندلس نظام الأجناد (الكور المجندة) وهي ولايات عسكرية ينزلها "جند" ويحكمها قائد عسكري وتنزله قبيلة أو أكثر يكون لها خراج الناحية مقابل تقديمها الجند من خمس فرق محاربة[5]. وقد انتقل هذا النظام من الشام إلى الأندلس في عهد أبي الخطار الحسام بن ضرار

---

1 مونتغمري وات, في تاريخ اسبانيا الإسلامية, ص36.

2 اختلفت الأقوال حول مصير والي الأندلس عقبة بن الحجاج السلولي.

3 أنشأ الخليفة عمر بن الخطاب ديوانيين رئيسيين هما ديوان الجند لتنظيم أوضاع الجند ورواتبهم ثم ديوان الخراج لتنظيم واردات الدولة ونفقاتها. ومع تطور الدولة واتساعها استحدث الأمويون دووانين جديدة أخرى منها ديوان الخاتم وديوان الرسائل.

4 عمر فروخ, العرب والمسلمون في الحوض الغربي من المتوسط, ص184.

5 قسمها المسلمون إلى أجناد هي: قنسرين – حمص – دمشق – الأردن – فلسطين

الكلبي 125هـ/743م الذي فرّق جيش الشام (الأجناد) على الكور المجندة مقايل تمليكهم لقسم من أملاك العجم وأرزاقهم[1].

منح العرب المسلمون لأهل الذمة من النصارى واليهود حرية سياسية واسعة فكان لهم قضاء خاص بهم يتقاضون فيه بموجب أحكام القانون القوطي, وكان قاضيهم يدعى قاضي النصارى, وأيضاً كان لليهود تنظيم قضائي وإداري يماثل الذي للنصارى.

الحياة الاجتماعية:

لم تكن الحياة البدوية معروفة في الأندلس كما هي الحال في المشرق حيث أن ظاهرة البداوة منتشرة فيه بشكل واسع, ومع أن العرب حملوا معهم إلى الأندلس حزبياتهم وعاداتهم ومسلكهم البدوي في شكل الحكم الموروث عن الأمويين, فإن الرحالة والجغرافيين يشهدون بغلبة طابع التحضر على سكانه وبظرافتهم وأناقتهم وكياستهم ورقة أخلاقهم[2].

لقد تأثر المجتمع الأندلسي كثيراً بعادات النصارى[3], وكان أهل الأندلس يتزيون بزيّ النصارى المجاورين وقد اشتهروا بنظافة ما يلبسون وما يفرشون[4]. وفي الجانب الآخر كانت تنتشر بينهم بعض الأمراض الاجتماعية كشرب الخمر والتسول والسرقة, فكان انتشار هذه الأمراض أو انحسارها يرجع إلى شدة الوالي ولينه[5].

عندما فتح العرب المسلمون شبه الجزيرة دخلوها رجالاً من غير نساء, أي أنهم اتخذوا نساءهم من أهل البلد فأدى هذا إلى قيام حركة امتزاج واسعة بين عناصر السكان, وكثر تمازج الدماء باختلاط الأنساب في الأندلس, فظهر جيل جديد هجين من مسلمي اسبانيا يتكلم لغة هجينة نجمت عنها "عجمية أهل الأندلس", وعليه فإن الجيل الثاني من هؤلاء العرب لا يمكن عدهم عرباً من ناحية الدم, بل هم, في هذا السياق, مولدون, حتى أن "البيت الأموي" كان بيتاً مولّداً, إنما كانوا عرباً بإحساسهم ولغتهم, وكادت الدماء العربية الصريحة تتلاشى في عهد عبد الرحمن الداخل الذي كان, نفسه, هجيناً (أمه أمازيغية)[6].

---

1 ابن عذارى, البيان المغرب, ج2, ص33.

2 ابراهيم القادري بوتشيش, مباحيث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين, ص62 عن ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب, ص193.

3 عصمت عبد اللطيف دندش, الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين, ص316.

4 المقري, نفح الطيب, ص207-208.

5 المقري, نفس المصدر, ص204.

6 مؤنس, فجر الأندلس, ص418-419 و 526.

كانت العادة أن يتزوج العربي من بربرية أو مولدة أو نصرانية, بينما لم يكن مألوفاً أن تتزوج العربية مولّداً وذلك لقلة العرب نساءً ورجالاً في بلد الأندلس, أما زواجها من نصراني فمرفوض لدى الفقهاء.

كان عبد العزيز بن موسى بن نصير أول من تزوج بنصرانية وهي إيجيلونه Egilona أرملة لذريق ثم تبعه آخرون بزواجهم من نصرانيات, وقد وجدت في ذلك العهد المبكر أسر مكونة من مسلمين ونصارى كما هو حال بني ألمند بن غيطشة والد سارة القوطية التي تزوجت من عيسى بن مزاحم عندما جاءت إلى دمشق وقصدت باب الخليفة هشام بن عبد الملك في داره وشكت إليه ظلامتها من عمها أرطباس الذي احتجن أملاكها بعد موت أبيها[1], ولعيسى منها ولدان هما ابراهيم واسحق وكان لهما خال نصراني هو مطران إشبيلية[2] وعيسى هذا هو جد المؤرخ واللغوي المشهور ابن القوطية المتوفي في قرطبة 367هـ وصاحب كتاب تاريخ افتتاح الأندلس.

وهناك أمثلة كثيرة على هذا النوع من المصاهرات سواء مع الحكام أو مع الأفراد ولا سيما في العهود التي تلت مما ساعد على دخول الناس في الإسلام في وقت مبكر[3] وعلى نشوء شريحة كبيرة من المولدين, وكانوا فلاحين في الأكثر وأصحاب المهن والحرف, شكلوا غالبية سكان الأندلس وسرعان ما تعلم هؤلاء اللغة العربية وأخذوا بالعادات العربية.

الحياة الأدبية والفكرية:

لم يؤثر عن عصر الولاة أي نوع من أنواع الأدب ما خلا بعض أشعار قيلت على لسان والي الأندلس أبي الخطار والأمير عبد الرحمن الداخل, مع أن ألسنة العرب لا تسكت عن قرض الشعر أو الخطابة للتباهي بأنسابهم أو حزبياتهم على الأقل, ويشفع لعرب الأندلس في هذا التقصير أن معظمهم كانوا, في هذه الفترة, من الجنود الفاتحين والمجاهدين في الفتوحات وراء جبال البرتات حيث كان الأندلس حينذاك دار حرب وجهاد مستمر فلا ينتظر من هؤلاء العرب, غير المستقرين, شيءٌ تأتي به قرائحهم, وكل ما روي عن طارق بن زياد من خطبة طويلة له "أيها الناس, أين المفر, البحر من ورائكم والعدو أمامكم ...."[4] وما زعم من إحراقه للسفن ومن أبيات شعر له منها:

---

1 المقري, نفح الطيب, ج1, ص249-250.

2 ابن القوطية, تاريخ افتتاح الأندلس, ص74.

3 عبد الرحمن الحجي, التاريخ الأندلس, ص161.

4 المقري, نفح الطيب, ج1, ص225-226.

ركبنا سفينا بالمجاز مُقيَّرا عسى أن يكون الله منا قد اشترى
نفوساً وأموالاً وأهلاً بحنةٍ إذا ما اشتهينا الشيء فيها تيسرا[1]

فمنحول على الجملة[2].

أثر عن أبي الخطار, وكان فصيحاً بارعاً في الشعر, عدة أشعار قالها في مناسبات استدعته لذلك[3]. يروى عن أبي الخطار أبيات شعر قالها مخاطباً الصميل بن حاتم في ولاية يوسف الفهري:

إن ابن بكر كفاني كل معضلةٍ وحطّ عن غاربي ما كان يؤذيني
إذا اتخذت صديقاً أو هممت به فاعمد لذي حسبٍ إن شئت أو دينِ
ما يقدر الله في مالي وفي ولدي لا بد يدركني لو كنت بالصين[4]

---

1 المقري, نفح الطيب, ج1, ص248.

2 من غير المعقول أن يكون طارق قد أحرق السفن لأنها كانت ليوليان حاكم سبتة, ولأن طارقاً كان بحاجة ماسة لها لنقل جنده سبعة الآلاف, فلا يمكن لأربع سفن أن تنقل هذا العدد من الجند مع أسلحتهم وعتادهم دفعة واحدة فكيف لطارق أن يحرق السفن دون أن يضع في حسابه جدولاً للانسحاب, ولو أن طارقاً أقدم على إحراقها لكان في عمله ذاك "غفلة عسكرية" تمنعه من ذلك وتقطع عليه طريق رفده بمدد عسكري من إفريقية وهذا ما حدث له فعلاً, كما أنه ليس من تقاليد الحرب أن تتلف أعتدته وأدواته هي من أسباب النصر, إلا في حالة الهزيمة كي لا يستفيد منها العدو. وأما الخطبة التي تناولها الدارسون من عرب ومستشرقين فلا تعدو كونها وثيقة تؤرخ بعض جوانب الفتح, ولا يمكن أن يكون طارق قد تفوه بها. كان طارق بن زياد أمازيغياً من نفزة ومولى لموسى بن نصير الذي تولى إفريقية والمغرب سنة 86هـ, فلا يعقل أبداً أن يصدر عن أمازيغي, يعجم في الكلام, خطبة باللغة العربية بهذا القدر من البلاغة, ثم لماذا يلقي خطبته بالعربية وليس بالأمازيغية لغة جنده ومعظمهم من الأمازيغ؟!!!

3 عندما كان أبو الخطار في إفريقية تعرض لإهانة من واليها عبيدة بن عبد الرحمن السلمي فكتب قصيدة وأرسلها للخليفة هشام بن عبد الملك أتينا على ذكرها في فقرة ولاية بلج على الأندلس ص55 وفيها يذكر الخليفة بتضحيات الكلبيين في مرج راهط, فما كان من هشام إلا أن أمر بتعيين أبي الخطار والياً على الأندلس, ولأبي الخطار شعر قاله في رثاء صديقه اليماني سعد بن جواس أوردناه في فقرة التنازع القبلي, ص60.

4 ابن الآبار, الحلة السيراء, ج1, ص66. يبدو أن أبا الخطار قال هذه الأبيات بعد أن عزله خصومه القيسيون, بزعامة الصميل, عن الولاية سنة 128هـ/746م ثم حاول استرجاعها فأخفق.

عندما حوصر الصميل بن حاتم في سرقسطة هُرع قومه القيسيون لنجدته فاندس أحدهم في جملة المحاصرين للسور وألقى إليه بحجارة عليها بيتان من الشعر:

ألا ابشر بالسلامة يا جدار أتاك الغوث وانقطع الحصار
أتتك بنات أعوجَ ملجماتٍ عليها الأكرمون وهم نزار[1]

فجاء أحدهم بالحجارة وقرأ الأبيات للصميل فاستبشر خيراً, وقد روي عن الصميل أنه يقرض الشعر, فعندما هزم, والفهري, أمام عبد الرحمن الداخل يوم المصارة أغار الطائيون على داره بشقندة ونهبوها فقال:

ألا إن مالي عند طيٍّ وديعةٌ ولا بدَّ يوماً أن تُردَّ الودائعُ
سلوا يمناً عن فعل رمحي ومنصلي فإن سكتوا أثنت عليّ الوقائعُ[2]

نلاحظ من هذين البيتين أن الصميل يفتخر ببأسه ويتوعد الطائيين بأن يوماً لا بد أتٍ يسترد فيه أمواله. وفيما غير ذلك في الناحية الفكرية والعقلية, فلم يصلنا شيء من عصر الولاة.

ومع ظهور دولة الإمارة, ظهرت التأثيرات الحضارية الشامية في الأندلس, فحرص عبد الرحمن على إبراز ما كان لدولة بني أمية في المشرق من جوانب حضارية, فأصبحت الحياة الأدبية صدى لحياة الشام الأدبية, فكان الشعر الأندلسي (بعد هذه الفترة بقليل) شعراً كلاسيكياً يحاكي شعر الفرزدق والأخطل وجرير[3]. لقد أجمع كثير من الدارسين على أن الشعر في الأندلس كالشعر في الشام دار بادئ أمره على محور الحزبيات القبلية التقليدي, فكان في مجمله مدحاً وهجاءً. ومن أهم شعراء الأندلس في هذه الفترة عبد الرحمن الداخل وابنه هشام والقاضي الشاعر معاوية بن صالح الحضرمي (قاضي عبد الرحمن الداخل).

ومن شعر عبد الرحمن الداخل يتشوق معاهده بالشام:

أيها الراكب الميممُ أرضي أقرِ من بعضي السلام لبعضِ
إن جسمي كما علمت بأرضٍ وفؤادي ومالكيه بأرضِ
قدّر البين بيننا فافترقنا وطوى البينُ عن جفوني غُمضي
قد قضى الله بالفراق علينا فعسى باجتماعنا سوف يقضي[4]

---

1 ابن عذارى, البيان المغرب, ج2, ص43.

2 ابن الآبار, الحلة السيراء, ج1, ص68.

3 عبد القادر فلاتي, الدولة الإسلامية في الأندلس, ص152.

4 ابن الآبار, الحلة السيراء, ج1, ص36. الحميدي, جذوة المقتبس, ص16. الضبي, بغية الملتمس, ص19. ابن عذارى, البيان المغرب, ج2, ص60.

وروي عن عبد الرحمن أنه لما نزل منية الرُصافة بقرطبة نظر إلى نخلة مفردة فأثار منظرها في نفسه الحنين إلى مرابعه في الشام فقال:

تبدّت لنا وسط الرصافة نخلةٌ ... تناءت بأرض الغرب عن بلد النخلِ
فقلت شبيهي في التغرب والنوى ... وطول التنائي عن بنيّ وعن أهلي
نشأت بأرضٍ أنت فيها غريبةٌ ... فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثلي
سقتك غوادي المزن من صوبها الذي ... يَسحّ ويستمري السِّماكَيْن بالوبل[1]

ومن شعر عبد الرحمن البديع الرائق كما يقول صاحب البيان المغرب ما كتبه إلى من طرأ عليه من قريش يستعظم حقه عليه بالرحم ويسأله الزيادة له والتوسعة فرد عليه عبد الرحمن بهذه الأبيات:

شتان من قام ذا امتعاضٍ ... مُنتضي الشفرتين نصلا
فجاب قفراً وشق بحراً ... مسامياً لجةً ومَحلا
فشاد مجداً وبز ملكاً ... ومنبراً للخطاب فصلا
وجند الجند حين أودى ... ومصر المصر حين أخلى
ثم دعا أهله جميعاً ... حيث انتأوا, أن: هلمَّ أهلا
فجاء هذا طريد جوعٍ ... شريد سيفٍ أباد قتلا
فنال أمناً ونال شِبَعاً ... وحاز مالاً, وضم شملا
ألم يكن حق ذا على ذا ... أعظم من منعم ومولى[2]

الحياة الدينية:

في الوقت الذي دخل فيه العرب المسلمون شبه الجزيرة الايبيرية, كان أهل البلاد, بما فيهم القوط الحاكمون, يدينون بالنصرانية على المذهب الكاثوليكي وقبل ذلك كانت الآريوسية[3], مذهب القوط, منتشرة في إسبانيا قبل أن يتحول هؤلاء إلى الكاثوليكية عام 587م في عهد ملكهم ريكاريدو Recaredo. وقد ساعدت بقايا الآريوسية على اعتناق السكان للديانة الإسلامية فعمت البلاد في فترة وجيزة, فصار معتنقو النصرانية واليهودية أقلية في البلاد بالإضافة إلى طائفة من

---

1 ابن الآبار, الحلة السيراء, ج1, ص37. ابن عذارى, البيان المغرب, ج2, ص60.

2 ابن الآبار, الحلة السيراء, ج1, ص39-40. ابن عذارى, البيان المغرب, ج2, ص59. أخبار مجموعه, ص117

3 نسبة إلى آريوس أسقف الاسكندرية, وكان قد أوجد مذهبه عام 310م الذي يقول أن المسيح بشر وليس إلهاً, فقام مجمع نيقيه Necaea – في تركيا – عام 325م وقرر بطلان هذه الهرطقة.

السكان قليلة العدد من عبدة الأصنام (الكفار عند المسلمين) لا يعدون, ولا يعتبرهم المسلمون من أهل الذمة.

لقد كان هذا الشعب الايبيري الذي دخل في رحاب الإسلام شعباً أوربياً نصرانياً, مع أقلية يهودية, وكان ينضوي تحت راية البابوية ويدين بالولاء للكنيسة الكاثوليكية, ويدخل في نطاق الحضارة الغربية اللاتينية, فإذا به قد انفصل عن أرومته الغربية, وتحول إلى شعب آخر, ويدين بدين آخر, دين الفاتحين العرب.

كان إسلام الأندلس هو إسلام أهل السنة والجماعة, ومع أن مذهب الخوارج من صفرية وأباضية وأزارقة قد انتشر في إفريقية والمغرب فإنه لم يجد له طريقاً في الأندلس رغم أن دعاتهم من الخوارج الأمازيغ قد اشتغلوا كثيراً على إثارة أمازيغ الأندلس على العرب, شركائهم في الفتح, وهذا ما يفسر أن البدع الدينية التي اتسع نطاقها في شمال إفريقية, لم تمتد جذورها إلى الأندلس, وربما كان الفكر الشيعي أكثر جذباً لهؤلاء الأمازيغ, لكنهم كانوا بحاجة إلى التضامن مع العرب لا الانسياق وراء أي زعيم يمكن أن يفرق بينهم وبين العرب[1].

تجمع المصادر والمراجع التاريخية على أن أهل الأندلس كانوا على مذهب الأوزاعي ولا سيما المقري الذي يذهب إلى أنهم كانوا كذلك (منذ أول الفتح). وقد اعترض أحد الباحثين على رواية المقري بقوله: إن أهل الأندلس كانوا في عصر الولاة على مذهب السلف وأهل الحديث[2] بدليل أن الأوزاعي ولد 88هـ/707م أي قبل الفتح بأربع سنوات وتوفي 159هـ وهو صاحب كتاب السنن في الفقه, والمسائل في الفقه[3]. لكن هذا لا يمنع في أن يكون مذهب الأوزاعي قد انتقل إلى الأندلس في عصر الولاة عن طريق أهل الشام فهو مذهبهم ثم انتشر هناك بسبب الرابطة القوية بين الأندلس وبلاد الشام[4].

يعتمد مذهب الأوزاعي على القرآن والسنة مع إفساح المجال لتحكيم الرأي في قضايا على القياس عليها, فلقد كان العصر الأول كله عصر فتوحات وتوسع كثرت فيه المسائل والإشكالات الناجمة عن الحروب ودخول أمم شتى في الإسلام مما دعا إلى إيجاد قضاء عادل

---

1 مونتغمري وات, في تاريخ اسبانيا الإسلامية, ص64. وكنا ذكرنا أن ثورة شاقية المكناسي 152-160هـ كانت في جوهرها حركة سياسية دينية تعتبر الأولى من نوعها التي قامت في الأندلس في محاولة لإقامة دولة شيعية لكن لم يكتب لها النجاح فماتت في مهدها.

2 عمر فروخ, العرب والإسلام في الحوض الغربي من المتوسط, ص184.

3 ابن النديم, الفهرست, ص318.

4 محمود علي مكي, محقق القطعة الأولى من كتاب المقتبس لابن حيان, هامش الصفحة 336. ويضيف المحقق مكي بأن مذهب الأوزاعي قد اندثر في الأندلس ولم يبقَ من فقهه إلى قضية واحدة تميزت بها المالكية الأندلسية وهي جواز زراعة الشجر في باحات المساجد.

وحازم يعتمد العقل في استنباط الأحكام ولذلك قيل أن فقه الأوزاعي فقه عسكري يختص بأحكام الحرب والجهاد[1].

تستطيع القول أن الحياة الدينية في الأندلس تأثرت بما كان سائداً في بلاد الشام من مذاهب فقهية فاعتنقوا في أول أمرهم مذهب الأوزاعي إمام الشام وكان من المجاهدين في مدينة بيروت ضد البيزنطيين ولذلك فقد ركز مذهبه على التشريعات العسكرية فلاءمت هذه القضايا وضع الأندلسيين في الحرب والجهاد, ثم تحول أهل الأندلس منذ أيام الأمير هشام بن عبد الرحمن إلى مذهب مالك بن أنس إمام دار الهجرة 95-179هـ/714-795م. وكان كتابه "الموطأ" قد دخل الأندلس في عهد عبد الرحمن الداخل عن طريق الغازي بن قيس الذي قيل أنه كان يحفظ الموطأ ظاهراً[2].

وكان الأندلسيون الأوائل أهل تقوى وورع, وقد عرف عنهم تدينهم وتمسكهم بأوامر الدين ولا سيما إقامة الحدود, وإنكار التهاون بتعطيلها[3]. ولا يعرف عن أهل الأندلس شيء من الفسق والخروج على شرائع الدين سوى حالات نادرة كتعاطي الصميل بن حاتم شرب الخمر وإدمانه عليها[4]. كان لمسلمي الأندلس نشاط ملحوظ في أعمال الجهاد في بلاد الغال وما وراء البرتات في سبيل نشر الدين لا بقصد الجري وراء الغنائم كما يدعي بعض الاسبان وغيرهم من الغربيين, لأن الغنائم في الإسلام حافز مادي ونتيجة طبيعية لكل نصر مؤزر يحققه المجاهدون في سبيل الله وليست غاية أساسية للجهاد والفتوحات.

بنى المسلمون الفاتحون المساجد في كل مكان وصلت إليه فتوحاتهم, وكنا تحدثنا عن اهتمام المسلمين ببناء المساجد في المدن المفتوحة, وكانوا يحولون الكنائس إلى مساجد في الأماكن التي يتحول جميع أهلها إلى الإسلام, وأحياناً كانوا يقسمون الكنيسة الواحدة بين من اعتنقوا الإسلام وبين من آثروا البقاء على نصرانيتهم من أهل البلد الواحد[5]. وأجمل تلك المساجد على الإطلاق المسجد الجامع في قرطبة الذي شيده عبد الرحمن الداخل بين عامي 168-170هـ/784-786م وكان "من أجل مصانع كبر مساحة, وإحكام صنعة, وجمال هيئة, وإتقان بنية, تهمم به الخلفاء المروانيون, فزادوا فيه زيادة بعد زيادة وتتميماً إثر تتميم, حتى بلغ الغاية في

---

1 أحمد مختار العبادي, في تاريخ المغرب والأندلس, ص109.

2 ابن الفرضي, تاريخ علماء الأندلس, ص272, رقم 1015.

3 المقري, نفح الطيب, ج1, ص204.

4 أخبار مجموعه, ص71.

5 عمر فروخ, الحوض الغربي من البحر المتوسط, ص185.

الإتقان"[1], فتظهر فيه المؤثرات الشامية في استخدام الحجر في بنائه, وعقوده, ونظام سقفه, وما زال هذا الأثر العظيم حتى اليوم قبلة للسواح في كل أقطار العالم.

التنظيم الديني عند النصارى:

ترك العرب المسلمون لنصارى الأندلس حريتهم المطلقة في تنظيم أمورهم الدينية والمدنية والقضائية, وكان القائمون عليها مسؤولين عن كل ما يتصل بأمور رعاياهم, في هذه الجوانب, تجاه الدولة, فكان هؤلاء يهتمون بشؤون كنائسهم ويشرفون على التنظيم الديني المتعلق بمهام رجال الدين وطبقاتهم, وينطبق هذا على شؤون القضاء وجباية الضرائب وتأديتها إلى بيت المال نيابة عن جباتها المسلمين, وفي هذا الشأن يقول الإمام محمد إدريس الشافعي, وهو من أهل الرأي والقياس وتوفي في مصر سنة 204هـ/819-820م[2]: إن الحكومة يجب ألا تتدخل في أي عمل يقوم به الذميون حتى ولو كان مناقضاً للشرع, ما دام لا يتعارض مع الأوضاع العامة, فليس للحكومة أن تمنعهم من بناء كنيسة في قرية لهم ينفردون بامتلاكها, ولا يتعرضون لهم في خمرهم وأعيادهم واجتماعاتهم, وقد يقرض ذمي ذمياً آخر المال بالربا, أو يعقد قراناً لا يجيزه الشرع الإسلامي, ومع ذلك لا يحق لأحد التدخل فيما فعله[3].

لقد أقام العرب على النصارى زعيماً منهم مسؤولاً أمامهم لقبوه بـ (قومس الأندلس) وأحاطوه بما يليق به الاحترام, وكان عبد الرحمن الداخل قد ولى قماسة الأندلس لأرطباس بن غيطشة, (فكان أول قومس في الأندلس) وقد أنيطت بهذا المنصب مسؤولية جباية الضرائب, وكان يمارس سلطات صاحب الشرطة على طائفته ويعاونه قاضٍ خاص هو "قاضي العجم" ينظر في القضايا والمنازعات بين النصارى[4] ويعمل على الفصل فيها وفقاً للقانون القوطي القديم. إذن هناك قاضٍ للنصارى يحكم بشرع النصارى, وقاضٍ آخر للمسلمين يحكم بشرع المسلمين, أي أن أهل الأندلس كانوا, إذا مثلوا أمام القضاء, يطبق عليهم أحد تشريعين يسريان معاً, وتأخذ الإدارة الإسلامية بما يصدر عنهما, تشريع إسلامي يقضي بين المسلمين, وتشريع قوطي روماني يسري على النصارى. فقد أجاز الشرع الإسلامي لكل طائفة أن تتولى حل نزاعاتها بنفسها عن طريق محاكمهم الطائفية الخاصة بحسب مقتضيات شرائعهم وأعرافهم وعاداتهم, وقد يلجأ أحد المتخاصمين إلى سلطة الدولة لإنصافه إذا استعصى حل قضيته في محاكم الطائفة. فلا نستغرب إذا وقعت حالات استثنائية كأن يحكم قاض مسلم بين متخاصمين

---

1 الحميري, الروض المعطار, ص153.

2 ابن النديم, الفهرست, ص295.

3 أسعد حومد, محنة العرب في الأندلس, ط. بيروت 1988, ص176-177 عن المراغي ص38.

4 ج.س كولان, الأندلس, ص95.

من النصارى فيجتهد في أن يصدر حكماً يتفق مع أحكام الشرع الإسلامي يرضى فيه الطرفان[1].

لقد التزم العرب بعهودهم لأهل الذمة حين فتحوا بلادهم ووفوا بها وفاءً مطلقاً لأن الشرع يعتبر الغدر وعدم الوفاء بالعقود والوعود والحنث بالإيمان من الكبائر التي يعاقب الله مرتكبيها عقاباً شديداً, والأمثلة على ذلك كثيرة جداً, فيحدثنا مار ميخائيل السرياني الكبير[2] في تاريخه تاريخ مار ميخائيل الكبير أن نصارى الموصل, وكانوا قد سلموا مدينتهم طوعاً للمسلمين, وتعهد لهم فاتحها بعدم هدم أية كنيسة أو إبطال شريعتهم. غير أن قاضيهم نقض العهد فهدم كنيستهم الكبرى وألغى شريعتهم, فأوفدوا من قبلهم البطريرك ديونيسيوس التلمحري إلى بغداد لمقابلة الخليفة العباسي المأمون 197-217هـ/813-833م, وكان معاصراً له, فأوعز الخليفة إلى يحيى قاضي القضاة أن يستمع إلى المواصلة (أهل الموصل) حول فتح مدينتهم, فإذا كانوا قد سلموها فعلاً فلهم حق الانتفاع بالتعهد الذي أعطاهم فاتحها ثم قال: ومن جهتنا فلا نتدخل بينكم[3].

ورغم أن المؤرخ السرياني كان يتحامل على العرب أحياناً فإنه لم ينكر رحمتهم لرعاياهم من النصارى فعاد وقال (إن الله المنتقم, الواحد القهار, أثار من الجنوب أبناء اسماعيل لإنقاذنا من أيدي الرومان).[4]

كان في إسبانيا القوطية ست كنائس جامعة يرأس كلاً منها رئيس أساقفة (مطران Archbishop) أي أن إسبانيا تقسم إدارياً إلى ست مطرانيات (أبرشيات Archdiocese) يلحق بكل منها عدد من الأسقفيات, وفي عصر الولاة تراجع عددها إلى ثلاث مطرانيات هي: طليطلة وإشبيلية وماردة. وقد أقر مجمع طليطلة الثاني عشر أن مطرانية طليطلة رأس المطرانيات جميعاً, وقد رافق ذلك نقص في عدد الأسقفيات التابعة لها, وبقي منها ثماني عشرة أسقفية, أما الأديرة فكان منها حول قرطبة وحدها خمسة عشر ديراً. ويعزو المؤرخون الغربيون وأهل المدونات النصرانية إلى العرب أنهم خربوا عدداً كبيراً من المراكز الدينية في الأندلس. ما أكثر ما تحامل الاسبان وسواهم من مؤرخي الغرب على العرب ونسبوا إليهم أعمال السلب والنهب والتخريب وإلحاق الأذى بالنصارى دون أن تثبت لهم تهمة واحدة. لقد كان مسلمو الأندلس على قدر كبير من التدين متمسكين بأحكام الدين وتطبيق شرائعه كما يقول المقري في نفح الطيب مؤكداً ما كان الخشني قد أورده في كتابه "قضاة قرطبة" حيث وصفهم بالنزاهة

---

1 حسين مؤنس, فجر الأندلس, ص480.

2 ميشيل السرياني في بعض المراجع الغربية.

3 مار ميخائيل السرياني الكبير, تاريخ مار ميخائيل الكبير, ط. دمشق 1996, ج3, ص34.

4 ستيفن رنسيمان, تاريخ الحروب الصليبية, ترجمة عربية, ط. بيروت 1967, ج1, ص38, عن النص السرياني, ص412, ترجمة شابو: Michael The Syrian Vol.2, P.412-413.

والعدل, فلم يذكر عن الحكام والقضاة في ذلك العصر أنهم ظلموا معاهداً أو أخذوا مالاً بغير وجه حق.

لقد فات هؤلاء أنه إذا أصاب بعض الأذى الكنائس الواقعة في ولاية ناربونية وأقاليم جيليقية وما يجاورها في الجزء الشمالي من اسبانيا خلال هذه المدة التي نتحدث عنها, فهي مناطق صراع ودار حرب لا بد وأن يطال التخريب, وما ينجم عن الحروب, الكنائس وغيرها, وهذا يحدث في كل زمان ومكان. قد تؤدي هذه الحروب إلى ترك الأساقفة أسقفياتهم وهروبهم أمام جيوش المسلمين إلى مناطق الشمال ظناً منهم أن المسلمين سيوقعون بهم, وعندما لمس هؤلاء أن العرب لا يعتدون على الكنائس وأهلها من رجال الدين, عادوا إلى كنائسهم وأبرشياتهم وعاشوا فيها بسلام مع المسلمين, وبصدد ذلك يخلص مؤرخ الحروب الصليبية رنسيمان إلى القول "ليس ثمة ما يبرر شكوى النصارى من انتصار الإسلام, فقد كانوا أسعد حالاً في ظل الإسلام منهم في زمن الأباطرة المسيحيين"[1]. وكل ما طرأ على التنظيم الديني لدى نصارى الأندلس هو انتقال مركز الثقل من طليطلة إلى قرطبة, فقد شاء المسلمون أن يبقى كرسي المطرانية في طليطلة احتراماً لمشاعر النصارى, وأن يكون المطران قريباً منهم في العاصمة, وهذا إجراء لم يمس نظام الكنيسة بل اقتضاه الصالح العام[2].

---

1 ستيفين رنسيمان, المرجع السابق, ص45.

2 مؤنس, فجر الأندلس, ص520-521.

الفصل الثاني

الحزبيات السياسية في الخلافة الأموية

آ- أرضية عرب الشام وحزبياتهم:

روى المؤرخون العرب أن القبائل العربية كانت تفد دوماً إلى بلاد الشام منذ القدم قادمة من جزيرة العرب لسيادة الجفاف فيها وما نجم عنه من شح مواردها. وكانت تلك القبائل تجد في سهول الشام وبلاد الرافدين ملاذاً يتحقق فيه الأمن الغذائي لهم ولمواشيهم, فالأرض خصبة والماء وفير, وذكر هؤلاء أن قضاعة أول قبيلة عربية تنزل الشام بعيد الميلاد[1] وكان الروم استعملوا هذه القبيلة على بادية العرب[2], ويشير نقش النمارة Namara Epitah الذي اكتشفه المستشرق الفرنسي Dussaud عام 1901 في موقع, إلى الشرق من جبل العرب, وهو شاهدة قبر امرئ القيس بن عمرو, أحد ملوك الحيرة, يعود تاريخه إلى العام 328 م حيث لقي مصرعه, بأن هذا الملك أخضع لسلطانه قبائل أسْد (أزد) ومعد ونزار ومذحج التي كانت تنزل في بوادي الشام والعراق في القرن الرابع الميلادي[3]. وتقول المصادر العربية أنه بعد انفجار سد مأرب, في منتصف القرن الثاني الميلادي بسبب سيل العرم, نزحت قبائل عربية من أزد اليمن فنزل جفنة بن عمرو وبنوه عند ماء غسان في حوران, جنوب الشام, بعد أن أزاحوا الضجاعمة عن هذه المنطقة, فسموا غساسنة, بينما نزلت قبيلة لخم بن عدي في الحيرة بالعراق ومنها كان أمراء المناذرة[4]. إن قيام هاتين الدويلتين العربيتين الشقيقتين, الغسانية واللخمية, على حدود الجارين الخصمين, بيزنطة وفارس, وانجرارهما إلى تحالفات في غير مصلحتهما, جعلهما تدخلان في حروب طاحنة لا ناقة لهما فيها ولا جمل.

يمكن تحديد مواطن القبائل العربية اعتماداً على المصادر والمراجع التاريخية والجغرافية كما يلي:[5]

في فلسطين: قبائل من لخم وجذام وبطون من كلب.

في الأردن: بطون من غسان وقضاعة ومذحج وكلب.

في دمشق: قبائل أغلبها يمانية من قضاعة وغسان إلى جانب قلة من قيس وقريش.

---

1 أحمد وصفي زكريا, عشائر الشام, ط. دمشق 2005, ص 76.

2 إحسان النّص, العصبية القبلية, ص136.

3 أحمد وصفي زكريا , عشائر الشام, ص 74, المجتمع العربي لمؤلف مجهول, ص 22.

4 حنا الفاخوري , تاريخ الأدب العربي, ص 12

5 إحسان النُص, العصبية القبلية, ص236. محمد كرد علي, خطط الشام, ط. بيروت 1969, ج1, ص20 وما بعد. محمد بن جرير الطبري, تاريخ الرسل والملوك, ط. القاهرة 1939, ج4, ص408-420. أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري, فتوح البلدان, ط. القاهرة, 1956, ج1, ص128-229.

في حمص: قبائل معظمها يمانية من طيء وكلب وهمدان وقلة من قيس.

في حماة: قبائل أكثرها يمانية جلهم من تنوخ وبهراء.

في شمال الشام: قبائل يمانية من همدان وكنده وطيء ومن بعض العدنانية من قيس في قنسرين[1] "قرية العيس حالياً" وما حولها, بينما احتلت قبيلة كلب بادية الشام ومركزها تدمر[2]. ويبدو أن بوادي الشام أخذت تضيق بأهلها فانساح بعض من هذه القبائل نحو الجزيرة الفراتية (من أراضي الدولة التركية اليوم)[3].

وفي الجزيرة السورية: نزلت قبائل من ربيعة ومضر وأغلب المضرية قيسية نزحت إلى الشرق من الفرات, واستقرت تغلب منذ العصر الجاهلي على الخابور وفيما بينه وبين دجلة والفرات. ولطالما جرت وقائع وحروب طاحنة بين هذه القبائل المتجاورة أنهكتها وأفنت الآلاف من أفرادها بسبب الحاجة والفقر وبدافع الثأر. وعند الفتح الإسلامي خرجت إلى الشام قبائل عربية عديدة أكثرها قيسية أقامت في شمال البلاد, بينما أقامت في الوسط والجنوب قبائل أخرى, نزحت إليها قبيل الفتح, أغلبها يمانية: من كلب وقضاعه وازد الشراة [4].

نرى مما تقدم أن القبائل كانت في غالبيتها من العنصر اليماني بوجه عام وتأتي القيسية, ممثلة للمضرية, في المرتبة الثانية حيث لعبت, مع اليمانية, دوراً كبيراً في أحداث الشام خلال العصر الأموي.

1- الحزبية اليمانية:

أي حزبية عرب الجنوب من أبناء يعرب بن قحطان, سكان جنوب الجزيرة العربية, فيقال عن القبيلة أنها يمانية إذا كانت تنتمي إلى قحطان هذا مثل قبائل: قضاعة ومذمج وجذام والأزد[5]. ومن هذه الأخيرة تفرعت الأوس والخزرج, القبيلتان المدنيتان المعروفتان بالأنصار, ومن ومن جانبنا سنعتمد تسمية (يمانية) للدلالة على انتماء القبيلة القحطاني في مقابل قولنا (قيسية) للدلالة على انتمائها العدناني.

هناك بعض القبائل اختلف النسابون حول أصلها, فمنهم من ينسب قضاعة, مثلاً, إلى عرب الجنوب, بينما يرى آخرون أنها تعدّ في عرب لشمال, ولأهمية هذه القبيلة وانخراطها في الشأن الأموي, فقد أريد لها بفعل التيارات السياسية والعصبية, الوقوف إلى جانب الجنوبيين

---

1 شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الحموي, معجم البلدان, ط. بيروت 1995, ج4, ص403-404. كانت قنسرين مدينة بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص, قيل أن الروم خربوها سنة 355هـ.

2 نبيه عاقل, تاريخ بني أمية, ط. دمشق 1966-1967, ص10.

3 أحمد وصفي زكريا , عشائر الشام, ص 76

4 نبيه عاقل , تاريخ بن أمية, ص10

5 عبدالله بن مسلم الدينوري (ابن قتيبة), كتاب المعارف, ط. دمشق 2000, ج1 , ص128 - 137

لترجيح كفتهم في الميزان السياسي وتغليب التوجه اليماني[1]. ومن قضاعة انحدرت قبيلة كلب[2] التي علا شأنها كثيراً في العصر الأموي, وكان معاوية بن أبي سفيان قد أصهر إلى هذه القبيلة بزواجه من ميسون بنت بحدل الكلبية, وحذا حذوه عدد من أمراء الأمويين بزواجهم من نساء كلبيات فتمتنت الصلات بين الطرفين[3]. وكان الغساسنة, وهم من أزد اليمن[4] قوماً متحضرين تمرسوا في شؤون الحكم والإدارة, قبل الفتح الإسلامي للشام, قد رحبوا بمعاوية لاقتناعهم بفكرة الخضوع للحكم والولاء للحاكم[5]. فانخرطوا في جيوشه وكونوا غالبيتها[6].

لقد تزعمت قبيلة كلب القبائل اليمانية وصارت الناطقة باسمهم وكان لهذه القبيلة موقف يستحق التقدير لدى الأمويين, فعندما اجتمع الطامعون بالخلافة في مؤتمر الجابية 64هـ/684م[7] 64هـ/684م[7] لاختيار خليفة منهم كان ابن بحدل الكلبي أحد الشخصيات البارزة في المؤتمر, فحين عرضت مسألة الخلافة للمناقشة لم يخف موقفه, صراحة, من الأمويين بمشايعة مروان بن الحكم, هذا الكلبي هو حسان بن مالك بن بحدل الكلبي الذي امتنع عن الدعاء لابن الزبير, مرشح القيسية[8], ويدل على صدق ذلك الموقف ما قاله شاعر اليمانية عمرو بن مخلاة الكلبي[9] في هذا الصدد:

رددنا لمروان الخلافة بعدما جرى للزبيريين كل بريدِ
فإلا يكن منا الخليفة نفسه فما نالها إلا ونحن شهودُ[10]

جاء من اليمانية قادة كبار قدموا خدمات جليلة للدولة الأموية من أمثال الملهب بن أبي صفرة الذي قضى على ثورة الخوارج الأزارقة[11] وخالد بن عبدا لله القسري, وإلى هشام إلى العراق حيث نعم في عهده بالهدوء والازدهار[12].

---

1 احسان النص, العصبية القبلية, ص45.

2 ابن قتيبة, كتاب المعارف, ج1, ص132.

3 عاقل, تاريخ بني أمية, ص11.

4 ابن قتيبة, كتاب المعارف ج1, ص137.

5 ابراهيم زعرور وعلي أحمد, تاريخ العصر الأموي السياسي والحضاري, ط.دمشق 1996, ص13.

6 عاقل, تاريخ بني أمية, ص15.

7 حاضرة الغساسنة في حوران إلى الجنوب الغربي من دمشق.

8 علي بن الحسين المسعودي, التنبيه والإشراف, ط. دمشق 2000, ج2, ص523.

9 ورد اسمه في الطبري, ج4, ص419: عمر بن المخلاة الكلبي بن تيم اللات بن رفيده.

10 المسعودي, التنبيه والإشراف, ج2, ص526.

11 ابراهيم زعرور, تاريخ العصر الأموي, ص56 و د.دوزي, تاريخ مسلمي اسبانية, ج1, ص123.

12 نبيه عاقل, تاريخ بني أمية, ص90.

نجد مما تقدم أن الحزبية اليمانية كانت, على الدوام, عضداً للأمويين وساعداً لهم فقد اعتمد عليها معظم خلفائهم وربما يفسر هذا الموقف أن أغلب قبائل الشام, ولا سيما الجنوبية منها, كانت يمانية.

2- الحزبية القيسية:

أي حزبية عرب الشمال من أبناء معد بن عدنان سكان شمال الجزيرة العربية, على أن عرب الشعبين, العدناني والقحطاني, ليسوا عرباً صرحاء إذ هم تعرضوا لشيء من الاختلاط بشعوب أخرى كالفرس والهنود وغيرهم[1].

كنا ذكرنا سابقاً أن قبائل عربية عديدة, أغلبها يمانية, نزحت إلى جنوب الشام ووسطه قبل الفتح الإسلامي, أما عند الفتح, فقد خرجت إلى الشام قبائل أخرى عربية أغلبها قيسية نزلت في الجزء الشمالي منه[2] ولا سيما في الجزيرة السورية كقبائل قيس وبكر وتغلب وخزاعة وقد تعرضت هذه القبيلة, كقبيلة قضاعة, لتخريجات النسّابين فراح هؤلاء يتجاذبونها, فهي عند الجنوبيين منهم قحطانية النجار وعند الشماليين عدنانيته[3] وتفسر هذه التناقضات بما اقترفه خيال خيال النسابين من تزوير وتلفيق[4] بإيحاء من نزعاتهم السياسة, أو مرغمين بإيعاز من أولى الأمر, أو طامعين في نيل صلات أهل الجاه والسلطان[5] مثال هؤلاء محمد بن شهاب الزهري المتوفي 124هـ ومحمد بن اسحاق المتوفي 159هـ [6] .

استطاع معاوية بن أبي سفيان, بحنكته السياسية, أن يقيم التوازن بين الحزبين القيسي واليماني بأن وضع نفسه على مسافة واحدة منهما, ولو إلى حين, وكما أنه اعتمد على شخصيات كلبية, كذلك هو اعتمد على أخرى قيسية كالضحاك بن قيس الفهري أمير دمشق[7] الذي أخلص لمعاوية وقاتل إلى جانبه في صفين[8] وتجلى ذلك عندما عقد الأمر لابنه يزيد ولياً لعهده حيث وقف الضحاك وأخذ يبين مزايا يزيد وأهليته للخلافة[9].

ومن الشخصيات العسكرية القيسية التي اعتمدها الأمويون الحجاج بن يوسف الثقفي, والي عبد الملك وابنه الوليد على العراق, فلقد تفانى في خدمة بني أمية لأمد طويل يزيد عن

---

1 عمر فروخ, تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية, ص 37 – 38.

2 نبيه عاقل , تاريخ بني أمية , ص10.

3 إحسان النُّص , العصبية القبلية, ص 43.

4 ابن النديم, الفهرست, ط. بيروت, ص 136.

5 نور الدين حاطوم وشركاه, المدخل إلى التاريخ, ط. دمشق 1964, ص 180.

6 حاطوم وشركاه, المصدر السابق, ص 180.

7 المسعودي, التنبيه والإشراف, ج2 , ص 523.

8 ابن قتيبة, الإمامة والسياسة, ط. بيروت, ج1 , ص 90.

9 ابن قتيبة, المصدر السابق, ج1 , ص 135.

عشرين عاماً. قضى خلالها على عصيان ابن الزبير في مكة وأطاح برقاب الثائرين في العراق وهكذا أعاد كلاً من الحجاز والعراق إلى عهد الانضواء تحت راية الشام[1] .

ب- صراع الحزبيات وموقفها من الأمويين – معركة مرج راهط:

يقصد بصراع الحزبيات ذلك التنازع الذي وقع بين عرب الشمال وعرب الجنوب في مقاطعات الدولة الأموية: سورية والعراق وخراسان والأندلس والذي يعنينا الآن ما جرى منه في الشام نفسها وما أفرز من خصومات وتحزبات شقت طريقها إلى الأندلس حيث وجدت هناك فرصة ملائمة للدخول في معترك السياسة وهذا ما دفع بالحزبيات إلى التصادم والاقتتال كما سنرى فيما بعد.

أوضحنا سابقاً أن العصبية القبلية كانت وليدة الصحراء اعتنقتها القبيلة كنمط من التحزب السياسي والاجتماعي تحتمي خلفه من أجل البقاء لكن هذا جر القبائل العربية, بالتالي, إلى صراع على السلطان نشأ في قلب الدولة الأموية[2].

يعود أصل الخلاف بين عرب الشمال وعرب الجنوب إلى ما ميّز بين الحيين من خصائص وفروق من النواحي الجنسية والعددية والسياسية والثقافية والاجتماعية[3]. لم يكن عرب الجاهلية وصدر الإسلام يقولون أنهم ينقسمون إلى عرب شمال وعرب جنوب, وإن صراعاً مستحكماً غطى مراحل تاريخهما. لقد تساءل المؤرخون حول أسباب الانقسام الذي فرّق بين الشعبين الشمالي والجنوبي فقال بعضهم أن أسبابه ترجع إلى وجود خصومة متأصلة بينهما منذ الجاهلية, وقال آخرون أنما ظهر ذلك التقسيم في بداية العصر الأموي نتيجة لسياسة الأمويين في الاعتماد على جماعة من العرب واستعدائها على جماعة أخرى[4]. ويرى فريق ثالث أن أصل الخلاف بين الطرفين يكمن في أصل منازلهما, فاليمانيون نزلوا الشام قبل الفتح الإسلامي بقرون[5]. أما العدنانيون فقد نزلوا الشام أثناء الفتح الإسلامي وبعده ولذلك فهم في نظر اليمانيين دخلاء رغم أنهم تلاءموا مع الحكم السفياني وفيما بعد تسيسوا وتجيشوا فيه[6].

لم ينسَ القيسيون أصلهم الحجازي, وكانوا يرون أن الشام ليست المركز الحتمي للخلافة وأن دمشق ليست بالضرورة حاضرتها بعكس اليمانية (الكلبيين) الذين يرفضون نقل كرسي

---

1 نبيه عاقل, تاريخ بني أمية, ص 40.

2 حسين مؤنس, فجر الأندلس, ص 279.

3 عمر فروخ, تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية, ص 198.

4 حسين مؤنس, فجر الإسلام, ص 278.

5 أحمد وصفي زكريا, عشائر الشام, ص 75 و 76.

6 يوسف العش, الدولة الأموية, ط. دمشق 1998, ص 186.

الخلافة من الشام إلى الحجاز ويتمسكون بدمشق داراً لها, فلا غرابة إذا انحازت القيسية لابن الزبير, ابن الحجاز المنشق, ثم بايعته بينما مالت عنه اليمانية ولم تبايعه. إذن الخلاف بين الجماعتين, القيسية واليمانية, يتمحور في نظرتهما الإقليمية, بين من يحن إلى الحجاز وبين من يؤثر الشام, أي أن الخلاف, في حد ذاته, خلاف سياسي يدور حول مكانة الشام في قضية الخلافة[1], فإذا أضفنا إلى هذا التباين في وجهات النظر, تباين المصالح الاقتصادية والمطامح الشخصية, لعرفنا أن الخلاف في النسب لم يكن السبب في نشوب الصراعات القبلية ولا سيما تلك التي بلغت ذروتها في مرج راهط[2].

معركة مرج راهط 64هـ/684م:[3]

كانت أيام يزيد بن معاوية حافلة بأحداث جسام كادت تطيح بالعرش الأموي بدءاً من فاجعة كربلاء عاشر محرم 61هـ/680م ومقتل الحسين بن علي, ثم ما كان من موقعة الحَرَّة[4] 63هـ/683م وحصار أهل المدينة المنورة وانتهابها ثلاثة أيام[5]. وبعد وفاة يزيد هذا 64 هـ , وتنحي ابنه معاوية الثاني عن الخلافة دون أن يستخلف أحداً[6] أو إزاحته عنها, أدى ذلك إلى شغور منصبها مما أتاح الفرصة لنشوب صراعات حزبية وصدامات حربية لتصفية الحسابات بين الخصوم. حاولت الأطراف المتنازعة الاحتكام في الجابية للتشاور في عقد الأمر لخليفة منتخب[7].

كان حسّان بن مالك بن بحدل الكلبي, ومعه الكلبيون ,يدعو لابن أخته خالد بن يزيد ابن معاوية مرشحاً للخلافة, بينما كان زعيم القيسية, الضحّاك بن قيس الفهري, ومعه القيسيون, يدعو لابن الزبير. وبينما كان بنو أمية وأنصارهم من اليمانية يتجمعون في الجابية[8] 3ذي القعدة 64هـ/684م حيث بايعوا مروان بن الحكم[9] في 3 ذي القعدة من سنة 64هـ, امتنع القيسيون وعلى رأسهم الضحاك بن قيس عن الحضور وكان هذا قد آثر الخروج من دمشق فيمن معه من الزبيرية إلى مرج راهط للقاء مروان بن الحكم وجماعته.

---

1 يوسف العش, المصدر السابق, ص 187.

2 رياض عيسى, الحزبية السياسية في العصر الأموي ,ص 257.

3 مرج راهط قرب بلدة جوبر, رياض عيسى, المرجع السابق, ص247.

4 أرض بركانية تقع إلى الشرق من المدينة المنورة.

5 ابن قتيبة, الإمامة والسياسة, ج2 , ص 187 والمسعودي, التنبيه والإشراف, ج2 , ص 519.

6 ابن قتيبة, الإمامة والسياسة, ج2 , ص 187.

7 المسعودي, التنبيه والإشراف, ج2 , ص 524.

8 تقع في أرض حوران.

9 الطبري, تاريخ الرسل والملوك, ج4, ص413.

لسنا بصدد مجريات المعركة بقدر ما أسفرت عنه وما ترتب على نتيجتها. انتهت المعركة بهزيمة القيسيين ومقتل زعيمهم الضحاك بن قيس, وفي الجانب الآخر انتهت إلى انتصار ساحق لابن الحكم وأعوانه اليمانيين. لقد كانت المعركة مظهراً من مظاهر التحزب السياسي والصراع على الحكم بين حزبين سياسيين, قيسي ويماني, أو بين زعيمين بارزين, الضحاك بن قيس الفهري وابن بحدل الكلبي, وكان القتال فيها بين شيعة الأمويين وشيعة ابن الزبير أو بين الحجازيين القيسيين وبين أهل الشام الكلبيين.. وهكذا تدخل الحزبية القبلية, لأول مرة, خضم السياسة العليا للدولة الأموية, فإذا كان يوم راهط قد سجل نصراً لليمانية فما هو إلاّ نصر مؤقت لأن الصراع سيعود من جديد ليغطي كل تاريخ الدولة الأموية وليكون من العوامل التي قادت إلى إفنائها[1].

ج- موقف الأمويين من الحزبيات:

كان لخلفاء بني أمية, من الحزبيات, مواقف مختلفة وأحياناً متضادة, ولقد استطاع بعضهم مثل معاوية بن أبي سفيان وعبد الملك بن مروان وابنه هشام, بما أوتوا من الحكمة والدهاء, أن يحدوا من خطورة التحزب القبلي بإقامة التوازن بين القيسية واليمانية كاعتمادهم على رجال من كافة القبائل بقطع النظر عن انتماءاتهم الحزبية, على أن هذا النهج لم يمنع هؤلاء الخلفاء من أن يظهروا انحيازهم لأحد الحزبين لكن دون التفريط بأهمية الحزب الآخر. هذا المسلك الوسطي المعتدل الذي سلكه هؤلاء ساعد على سيادة الهدوء والاستقرار في أوساط الدولة وإخفات صوت المعارضة السياسية[2] .

يعد الأمويون, من حيث النسب, قرشيين, ولهذا كانت سياستهم, أصلاً, قيسية ومع ذلك فقد اعتمد دهاة خلفائهم على اليمانية لإحلال التوازن بين الحزبين كما ذكرنا بينما كان لعبد الملك هدف آخر وهو مقاومة ابن الزبير القيسي الهوى[3].

خلف عبد الملك ابنه الوليد الذي كان, وابن عمه عمر بن عبد العزيز, مثالاً في التقى والورع, فشاع العدل وهدأت الفتن واطمأنت النفوس وصار بوسع الدولة أن تتقدم وتتسع وهكذا كان حتى أن الخليفة عمراً حاول إصلاح ما أفسده الأمويون في عداواتهم للآخرين[4] لا سيما سليمان بن عبد الملك الذي اشتط في تعصبه لليمانية كرها بالحجاج القيسي إذ كان هذا لا يرغب بسليمان ولياً للعهد, فلم تتحقق رغبة الحجاج بإبعاد سليمان عن الخلافة ولا رغبة سليمان بالتشفي من الحجاج الذي توفي 95 هـ أي قبل استخلاف سليمان بأشهر قليلة, فما كان من سليمان إلاّ

---

1 علي بن الحسين المسعودي, مروج الذهب, ط. بيروت 1989, ج1, ص 220.

2 ابراهيم زعرور, العصر الأموي, ص 54.

3 عمر فروخ, تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية, ص 166.

4 يوسف العش, الدولة الأموية, ص 265.

أن صبّ جام غضبه على عمال الحجاج وآله وأقالهم من مناصبهم وزاد على ذلك بقضائه على عدد من قادة العرب وعباقرتهم لكونهم قيسين[1]. جاء فيما بعد خلفاء بالغوا في تحزبهم وكان أكثرهم انغماساً في هذا الشأن الوليد الثاني حيث أظهر من قصر النظر أنه أزاح اليمانية من مناصبهم واستبدلهم بعناصر من القيسية[2] وهنا تدخل الدولة في دوامة الاضطرابات والفتن الحزبية بين عامي (125 هـ - 127 هـ) أي بين وفاة هشام بن عبد الملك وخلافة مروان بن محمد. لم يكن مروان أبعد نظراً من سابقيه فقد ارتكب, لفساد رأيه, خطأً فادحاً بنقله مركز الخلافة من دمشق إلى حران شمال الجزيرة السورية حيث يكثر أنصاره القيسيون وجعلها عاصمة لدولته فنقمت عليه اليمانية, كما نشبت في أنحاء أخرى من الدولة عدة ثورات واحتدم الصراع بين الحزبيات فكان من شأن كل هذا إضعاف الدولة وانحسار سلطتها عن الأقاليم النائية.

وجماع القول كان موقف الأمويين من الحزبيات متذبذباً, فيما كان بعضهم يحسن التعامل معها, كان البعض الآخر يسيء بل يغوص في مستنقع الحزبيات فيؤثر قبيلة دون أخرى, ويثير النزعات الحزبية بين القبائل. واتبع بعضهم سياسة التحريش بينها بضرب القبائل ببعضها واصطناع زعمائها كما يعرف في قاموس الاستعمار "اتباع سياسة فرق تسد"[3]
Using devided and Rule tactic

كانت الدعوة العباسية قد نشطت في هذه الفترة واستشرى خطرها على الدولة الأموية إلى أن جاءت نهايتها بهزيمة مروان بن محمد في معركة الزاب الأكبر 132هـ - 750م.

---

1 عمر فروخ, الدولة الأموية, ص 166 - 167.

2 عمر فروخ, المصدر السابق, ص 190.

3 إحسان النّص, العصبية القبلية, ص 259ّ.

الفصل الثالث

ظهور الحزبيات في الأندلس ودورها حتى ولاية عبد الملك بن قطن

95هـ - 114هـ / 714 – 732م

توافد الحزبيات إلى الأندلس:

مر بنا أن الحزبيات السياسية نشأت, أول ما نشأت, في قلب الدولة الأموية, وبالأحرى, في بداية عصرها, ومن هذه البيئة المشحونة بالنزاعات القبلية رحلت الحزبيات السياسية إلى الأندلس على شكل حزازات وعداوات وثارات حملتها صدور جند الفتح وجموع الوافدين إلى هناك في أعقاب الفتح.

أ-**جند الفتح:** من العرب والأمازيغ وهم جند طارق بن زياد وجند موسى بن نصير

1- **جند طارق:** معظمهم أمازيغ من شمال إفريقية مع قليل من العرب وعددهم سبعة آلاف زوده بهم موسى بن نصير والي إفريقية عام 92هـ [1] وحملتهم إلى الأندلس سفن التجار التي كانت تختلف إلى هناك[2]. وعندما طلب طارق من موسى مدداً من الجند أنجده هذا بخمسة آلاف آخرين من الأمازيغ [3] وبذلك يكون قد اجتمع لطارق[4] جيش قوامه اثنا عشر ألفاً من الأمازيغ[5] افتتح بهم الأندلس.

2- **جند موسى:** (طالعة موسى): أراد موسى بن نصير أن يساهم في شرف الفتح, وقيل بسبب حسده لطارق, فخرج إلى الأندلس عام 93هـ ومعه ثمانية عشر ألفاً من العرب[6] معظمهم من القبائل العربية اليمانية بينهم عدد من القادة القرشيين[7].

---

1 أخبار مجموعة, لمؤلف مجهول, نشره اميليو لافوانتي الكانترا في مجريط, 1867 وأعيد نشره عن دار أسامة في دمشق, ص6.

2 ابن عذاري, البيان المغرب, ج2, ص 6.

3 أخبار مجموعة, ص7.

4 يقول حسين مؤنس في فجر الأندلس ص129: كان طارق صغير السن عندما كلفه موسى بقيادة الحملة لأنه لم يسمع عنه من قبل أنه ساهم في قيادة فتوح موسى الكثيرة, وهذا يعني أن طارقاً كان شاباً في مطلع شبابه, ومع أن الدكتور مؤنس, الباحث الكبير, يشير إلى خطورة هذه المهمة الكبرى وأن موسى كان يثق بطارق كثيراً ففضله على العديد من القادة. لا نعتقد أن موسى, وهو شيخ تجاوز السبعين من العمر -ولد سنة 19هـ- يكلف شاباً صغير السن في مهمة خطيرة لفتح بلاد لا يعرف عنها شيئاً!! تحتاج الفتوح إلى قيادات خبيرة ومجربة وهذه الخبرات لا تتوفر عند قادة حديثي السن. نرى أن السبب الذي حمل موسى على تكليف طارق وفضله على غيره من القادة, كونه أمازيغياً, كما اجتمعت المصادر التاريخية, ويتكلم لغة جنده الأمازيغ, هذا بالإضافة إلى أنه قائد مجرب, فلم لا وهو عامل موسى على طنجة.

5 عبد الرحمن بن عبدالله بن عبد الحكم , فتوح مصر وأخبارها, ط. القاهرة 1991, ص 204.

6 الرسالة الشريفية, ص 186. وأخبار مجموعة, ص 15 . وابن عبد الحكم , فتوح مصر وأخبارها, ص 207.

7 محمد سهيل طقوش, تاريخ المسلمين في الأندلس , ص 47.

ب- **الوافدون:** وهم من الأمازيغ والعرب

- **الأمازيغ:** استمر تدفقهم إلى الأندلس, بعد انتصارات طارق, لقرب المسافة, بين الشمال الأفريقي والأندلس, الممثلة بالممر المائي المعروف الآن بمضيق جبل طارق.
- **العرب:** دخلوا الأندلس على دفعات صغيرة برفقة الولاة, من ذلك, وبعد اغتيال عبد العزيز بن موسى بن نصير عام 97هـ[1], بعث عامل إفريقية, محمد بن يزيد97-99هـ/716-718م, إلى الأندلس الحُرّ بن عبد الرحمن الثقفي والياً 97 - 100هـ/716-719م, فاصطحب الوالي الجديد معه أربعمائة رجل من عرب إفريقية معظمهم يمانية[2]. وقد أطلق على هذه الدفعات, ومعهم العرب المقيمون في الأندلس, اسم العرب البلديين تمييزاً لهم عن العرب الشاميين الذين دخلوا الأندلس عام 123هـ/741م مع بلج بن بشر القشيري وعددهم سبعة آلاف مقاتل سُمّوا طالعة بَلج (الأولى) [3]. وفي العام 125هـ/743م وُلي على الأندلس الحسام بن ضرار الكلبي بتكليف من والي إفريقية, حنظلة بن صفوان, فاصطحب معه عدداً من الجند سُموا عسكر العافية (الطالعة الثانية)[4].

كان أكثر أهل الطوالع – عدا طالعة بلج- من اليمانية, بينما كان أكثر الشاميين من القيسية وقد انضمت إليها القيسية المقيمة[5], وفيما بعد, انغمست جميع هذه الفئات في دوامة الصراع القبلي (قيس ويمن) إلى أن قدم إلى الأندلس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام (الداخل) 138هـ/756م.

وهكذا نجد أن انقسام العرب المبني على تاريخ دخولهم الأندلس, انقسموا أيضاً على أساس قبلي, فقد مثل القيسيون 42 قبيلة مقابل 52 قبيلة مثلها اليمانيون[6].

كان الأمازيغ قد اعتنقوا الإسلام أثناء الفتح الإسلامي لشمال إفريقية وانخرطوا في جيش طارق بن زياد ثم دخلوا الأندلس وصاروا, على قدم المساواة مع العرب, مواطنين أندلسيين لكنهم, مع الأيام, أخذوا يشعرون بالمهانة والظلم فتأزمت العلاقات بين عنصري الفتح ووصلت إلى حد

---

1 محمد بن أبي نصر فتوح الحميدي, جذوة المقتبس, ط. بيروت 1997, ص 256 ,رقم 651 ومحمد بن عذاري المراكشي, البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب, تحقيق ج.س كولان و ليفي بروفنسال, ج2, ص 24.

2 حسين مؤنس, فجر الأندلس, ص 194.

3 أخبار مجموعة, ص 32-33 وابن عذاري, البيان المغرب, ج1 , ص 55-56.

4 أخبار مجموعة, ص 46 , وابن عذاري, البيان المغرب , ج2 , ص 34.

5 حسين مؤنس, فجر الأندلس, ص 401.

6 أحمد بدر, دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها, ط. دمشق 1969, ص 52.

امتشاق الحسام لأسباب متعددة أهمها مسألة توزيع الأراضي بين الفاتحين[1], ومنذ الآن سيدخل العنصر الأمازيغي حلبة الصراع السياسي على أرض الأندلس.

السياسة الأموية في الأندلس:

يمكن أن نميز بين سياسة خلفاء بني أمية تجاه الأندلس وبين سياسة ولاة الأندلس نحو هذا القطر.

لقد حرص الخلفاء على إعطاء ولاية الأندلس طابعاً عربياً "شكلاً ومضموناً" بأن قلدوا المناصب الكبرى وقيادة الجيوش لأبناء عشيرتهم وحلفائهم من العشائر الأخرى بشرط أن يكون الوالي عربياً[2], ولقد تبين أن الخلافة لم تولِ هذا القطر العظيم ولو قدراً ضئيلاً من الاهتمام الذي يستحقه, فهي لم ترسل إليه, منذ الفتح, عاملاً خاصاً به من قبلها يُعنى بشؤونه الإدارية والمالية, بل تركته تحت تصرف والي إفريقية يدير شؤونه كما يشاء[3].

لم يكن ولاة الأندلس على المستوى نفسه من الكفاءة السياسية والعسكرية, بل كان معظمهم يتميز بقصر النظر السياسي[4] باستثناء القليل منهم حيث أجمع المؤرخون على أن عبد العزيز بن موسى بن نصير كان من خيار الولاة الذين حكموا الأندلس فقد ضبط إدارتها وحصّن حدودها وفتح مدناً عديدة[5] وعامل سكان البلاد الأصليين بإحسان وأشرك بعضهم في شؤون الحكم والإدارة وشجع المسلمين على التزاوج معهم لخلق جيل جديد متجانس[6] وهذه نظرة حضارية حضارية يسجلها له التاريخ. ولم يأتِ الحُر عبد الرحمن الثقفي الذي تولى الأندلس 97هـ بشيء جديد في مجال الإدارة سوى ما اقتصر منها على إجراءات تقليدية تختص بأمور الضرائب وتنظيم رواتب الجند[7], بينما اهتم السمح بن مالك الخولاني, والي الأندلس 102/100هـ, بتطوير أجهزة الحكم على أسس جديدة, واتبع من أجل ذلك سياسة إصلاحية في مجال الإدارة والاقتصاد والبناء, ومن أعماله البارزة إعادة بناء القنطرة الرومانية[8] على نهر الوادي الكبير كجسر يربط

---

1 أحمد بدر, دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها, ص 33.

2 محمد سهيل طقوش , تاريخ المسلمين في الأندلس, ط. بيروت 2005, ص 67.

3 حسين مؤنس, فجر الأندلس, ص 189, كان أول والي أرسلته الخلافة إلى الأندلس هو السمح بن مالك الخولاني عينه عمر بن عبد العزيز عام 100هـ / 719 م.

4 محمد سهيل طقوش, تاريخ المسلمين في الأندلس, ص 67.

5 ابن عذاري, البيان المغرب , ج2 , ص 24.

6 محمد سهيل طقوش, تاريخ المسلمين في الأندلس , ص 69.

7 ابراهيم بيبضون, الدولة العربية في إسبانيا, ط. بيروت 1986, ص95.

8 أخبار مجموعه, ص22. ابن عذاري, البيان المغرب ,ج2 , ص 26

بين قرطبة والرّبض[1]. لم يعمر السمح طويلاً في منصبه فقد قتل في إحدى غزواته في غاليا 102هـ/721م.

كانت سياسة الولاة في الأندلس تتمحور حول نشر راية العروبة من خلال الفتوحات العربية وراء جبال البيرينيه Pyrenees.

لقد بنى موسى بن نصير أول مسجد على أرض الأندلس عرف بمسجد الرايات في الجزيرة الخضراء[2] ومضى الفاتحون بعده يبنونها في كل مدينة يفتحونها, فبنى الحنش الصنعاني جامع مدينة سرقسطة[3]. لم يقتصر جهاد الفاتحين على الأندلس فقط بل تعداه إلى ما وراء البُرت (البيرينيه) وقد عبروها, إلى غالية Galia (فرنسا), مجاهدين في سبيل الله حيث استشهد العديد منهم في هذا الميدان. لقد اقتضت سياسة الولاة اجتياز حاجز البيرينيه واجتياح غالية الجنوبية في سبتمانية واكيتانية, وعندما بلغ المد الإسلامي أقصاه في حملة عبد الرحمن الغافقي عند بواتييه Poitiees في بلاد الفرنجة استشهد قائدها في معركة بلاط الشهداء 114هـ/732م.

الاضطرابات السياسية:

تولى حكم الأندلس بعد عودة موسى بن نصير إلى دمشق 95هـ عشرون والياً خلال اثنتين وأربعين سنة, أولهم عبد العزيز بن موسى, وكان أبوه قد استخلفه على الأندلس[4], وآخرهم يوسف بن عبد الرحمن الفهري وانتهت ولايته عام 138هـ بمقدم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام (الداخل)[5]. ويتضح لنا, لدى النظر في قائمة أسماء الولاة العشرين الذين تعاقبوا على حكم الأندلس خلال هذه المدة القصيرة من 95هـ/138هـ, أن هذا العصر كان عصر اضطراب سياسي وحالة من الفوضى وعدم الاستقرار. بدأت الاضطرابات بعد مرور أقل من سنتين على تولي عبد العزيز بن موسى ولاية الأندلس, أي حين اغتيل هذا الوالي العظيم من قبل قادة جنده المقربين منه ومن البارزين من جند موسى, منهم زياد بن نابغة التميمي وزياد بن عُذرة البلَوي وحبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفِهري, وكان هذا الأخير قد جعله موسى وزيراً لابنه عبد العزيز[6] قبل قفوله إلى دمشق بأمر من الخليفة الوليد بن عبد الملك. تقول المصادر التاريخية أن أن هؤلاء القادة نقموا أشياء على عبد العزيز منها أن زوجته النصرانية إجيلونا Egilona, أرملة

---

1 يقع الربض على الضفة الأخرى (اليسرى) من نهر الوادي الكبير وتصل القنطرة بينه وبين قرطبة على الضفة اليمنى من النهر. ابن الأبار, الحلة السيراء, ج1, ص44 تحقيق حسين ونوس.

2 محمد بن عبدالله بن عبد المنعم الحميري, الروض المعطار, ص 75.

3 الحميدي, جذوة المقتبس, ص 178 رقم 403.

4 أخبار مجموعة ص19.

5 أخبار مجموعة, ص75 وابن عذاري, البيان المغرب ج2 ص44.

6 ابن عِذاري, البيان المغرب ج2 ص23.

لذريق, وكانت من القوة والذكاء ما مكنها من الاستحواذ على قلبه وعقله, فحملته على اعتناق مذهبها, وألبسته تاجاً مرصعاً بالذهب والجوهر, وهذا يخالف مبادئ العقيدة الإسلامية. لم يقم الدليل على صحة هذه الافتراءات بحق عبد العزيز الذي وصفته المصادر بأنه كان من خيار الولاة[1]. الحقيقة أن الاغتيال كان بتدبير عدد من قادة العرب في الأندلس وفي مقدمتهم أيوب بن حبيب اللخمي, ابن أخت موسى بن نصير وحبيب بن أبي عبيدة, وزياد بن عُذرة البلوي, وزياد بن نابغة التميمي وكانوا ناقمين على عبد العزيز فاغتالوه ليتولى أحدهم حكم الأندلس وهو أيوب[2].

غضب الخليفة سليمان بن عبد الملك لمقتل عبد العزيز فأمر واليه على إفريقية, محمد ابن يزيد, أن ينظر في الأمر ويأخذ القتلة بشدة ثم يقفلهم إلى دمشق, فأرسل ابن يزيد إلى الأندلس, لهذه الغاية, الحر بن عبد الرحمن الثقفي والياً عليها مكان أيوب 97هـ[3]. وشهد الأندلس بعد هذه المدة تصعيداً في الحزبيات السياسية, فإذا جاءه والٍ يماني, مثلاً, اشتد في تعصبه لليمانية وأوغر عليه صدر القيسية, وإذا جاءه والٍ قيسي انقلبت الآية ولقي اليمانيون شراً مستطيراً.

وفي الواقع كانت القيروان المصدر الرئيس للحزبية القبلية ثم امتد تأثيرها إلى الأندلس فكانت السبب في تنحية عبد الرحمن الغافقي وإقرار والي القيروان, بشر بن صفوان الكلبي, قريبه عنبسة بن سحيم الكلبي 103-107هـ/721-726م والياً على الأندلس[4]. على الرغم من أن الحزبية القبلية هي التي أتت بعنبسة إلى السلطة, فإنه استطاع, خلال مدة ولايته, إقامة توازن مقبول بين عرب الأندلس[5], وبعد مقتل عنبسة في إحدى غزواته في بلاد الفرنجة 107هـ/726م تعاقب على حكم الأندلس سبعة ولاة جاءت بهم إلى السلطة حزبياتهم السياسية الضيقة, ومن هؤلاء الهيثم بن عبيد الكلابي المحرم – ذي القعدة 111هـ/729-730م, فعندما حاول القضاء على الفوضى بإعادة النظام إلى الأندلس, أسخط عليه خصومه من اليمانية بمضايقتهم وتماديه في حربهم مما اضطر الخليفة هشام بن عبد الملك إلى خلعه[6].

ويمكن أن نستثني من هذه المدة المضطربة فترة زمنية صغيرة شغلها أفضل ولاة الأندلس على الإطلاق, عبد الرحمن الغافقي 112هـ - 114هـ/730-732م (المرة الثانية), الرجل الوحيد

---

1 انظر أعلاه (السياسة الأموية في الأندلس), ص17.

2 حسين مؤنس, فجر الأندلس, ص192.

3 أخبار مجموعة, ص22.

4 أخبار مجموعة, ص24 وابن عذاري, البيان المغرب ج2 , ص27.

5 ابراهيم بيضون, الدولة العربية في الأندلس, ص95.

6 محمد سهيل طقوش, تاريخ المسلمين في الأندلس, ص76.

الذي كان قادراً على تجميد النزاعات الحزبية وتعبئة جميع القوى المتخاصمة لخدمة الدولة[1]. وبعد الغافقي تولى حكم الأندلس 114هـ/732م الرجل العجوز والمفرط في قيسيته, عبد الملك بن قطن الفهري[2] وسنتناوله بالبحث لاحقاً.

الفتوحات – معركة بواتييه (بلاط الشهداء):

مر بنا أن ولاة الأندلس كانت تراود عقولهم دوماً فكرة الجهاد لنشر الإسلام والدفاع عن الدين, تلك هي أهم العوامل التي دفعت العرب إلى الغزو والفتوحات في غاليا.

كان موسى بن نصير وطارق بن زياد قد فتحا معظم أراضي شبه الجزيرة الإيبيرية, ويذكر المؤرخون أن موسى غزا جليقية Galicia وفتح بلاد البشكنس Basques[3] وتوغل فيها إلى أن جاءه رسول الخليفة الوليد بن عبد الملك يستعجله المثول بين يديه فقفل راجعاً إلى دمشق 95هـ/714م, تاركاً أمر الجهاد لابنه عبد العزيز, ورغم ولاية عبد العزيز القصيرة 95هـ – 97هـ/714–716م فقد واصل فتوحات أبيه فافتتح مداين عديدة في الشمال الشرقي من اسبانية: بنبلونة Pamplona وأربونة Narbona, واحتل إقليم مرسيّه Murcia على الساحل الشرقي حيث كان يحكمه قائد قوطي يسمى تُدمير Tudmir بن غبدوش, وقد استطاع بحكمته وذكائه, كما تقول المصادر العربية, أن يدخل في طاعة المسلمين[4] وكان صديقاً لهم ومن أعوان غيطشة غيطشة الكارهين لحكم لذريق[5] وفي ملاحق الرسالة صورة عن كتاب الصلح الذي منحه إياه عبد عبد العزيز بن موسى بن نصير, كما افتتح مدناً أخرى في البرتغال[6]. ولذلك فقد عده المؤرخون من الفاتحين وليس معدوداً في قائمة الولاة.

تتحدث بعض المصادر والمراجع عن أن الحر بن عبد الرحمن الثقفي غزا بلاد الفرنجة فيما وراء جبال البرانس[7], ويذكر حسين مؤنس عن ايسيدور الباجي Isidoro Pacense أن الحر بن عبد الرحمن قد وصل في غزواته حتى أربونة[8]. وفي عهد السمح بن مالك الخولاني الذي خلف الحر على ولاية الأندلس, نشطت حركة الفتوحات خلف جبال البُرت. لقد تقدم السمح سنة 100هـ/719م إلى سبتمانية فاحتل من مدنها أربونة ثم اتجه شمالاً حتى وصل إلى أبواب

---

1 ابراهيم بيضون, الدولة العربية في اسبانية, ص98

2 ابن عبد الحكم, فتح مصر وأخبارها, ص117

3 إبن عذاري, البيان المغرب ج2, ص16

4 الحميري, الروض المعطار, ص151–152.

5 حسين مؤنس, فجر الأندلس, ص173.

6 عمر فروخ, العرب والاسلام في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط, ص103. وحسين مؤنس فجر الأندلس, الأندلس, ص305.

7 عمر فروخ, الحوض الغربي, ص110.

8 حسين مؤنس, فجر الأندلس, ص305, لا يعوّل مؤنس ولا عمر على تلك الروايات.

طولوشة Tolosa وعلى مقربة منها دارت معركة ضارية مع دوقها أود Eudes استشهد فيها السمح ومعه نفر كثيرون من قواته يوم عرفه 9 ذي الحجة من سنة 102هـ - 10 حزيران 721م وانهزم الجيش العربي, لكن عبد الرحمن الغافقي, أحد القادة الذين حاربوا مع السمح, تمكن من سحب الناجين من المعركة بسلام إلى الأندلس[1].

لم تدم ولاية عبد الرحمن الغافقي الأولى, على الأندلس, إلاّ أشهر لأن والي إفريقية, يزيد بن أبي مسلم استبدله بـ عنبسة بن سُحيمْ الكلبي في صفر من سنة 103هـ/آب 721م[2].

ما أن استقرت الأمور في الأندلس حتى نهض عنبسة لغزو بلاد الفرنجة, فاجتاز جبال البُرت إلى أربونة واستقر فيها حيناً ومنها تابع زحفه غرباً إلى قرقشونة Carcassona على نهر الأود فحاصرها وشدّ في حصارها فصالحه أهلها مكرهين على قبول شروطه[3].

يذهب بعض المؤرخين إلى أن حملة عنبسة وصلت حتى مدينة شالون على نهر رودنة Rhone ولم يتوقف مدها إلاّ عند بلدة سانس Sens على مقربة من نهر السين Seine[4]. ولسبب ما, توجة عنبسة إلى الأندلس بعد بلوغه هذه الغاية, وقبل أن يدركه, هوى على الطريق شهيداً في شعبان من سنة 107هـ/كانون أول 725م[5].

مضت سنوات عدة بعد مقتل عنبسة لم نسمع فيها عن أي نشاط جهادي وراء البُرت, إذ لم تشر المصادر, فيما بين عامي 107هـ -112هـ / 723-730م, إلى قيام الولاة بأعمال حربية تستحق الذكر في أرض الفرنجة ما خلا غزوات محدودة قام بها المسلمون, كما تذكر المصادر النصرانية, في أقاليم ليون Lyon وبورجونيا Bourgonene وضفاف الرون, وينقل حسين مؤنس عن رينو Reinaud : أن العرب خلفوا وراءهم كنائس أتت عليها النيران وأديرة تحولت إلى خرائب وأنقاض[6]. بهذه العبارات تحامل رينو على العرب ليدلل على أنهم إذا حلّوا بمكان عاثوا فيه فساداً من إحراق وتخريب. لقد تجنى رينو كثيراً على العرب فنسب إليهم هذه الأفعال, والحقيقة الناصعة أنّ العرب لم يفعلوا لا في غاليا ولا في غيرها مثل ذلك, وإذا صادف مرة أنهم أحرقوا أو دمروا كنيسة خلال حروبهم فذلك لأن المقاومين اتخذوا من الكنيسة ملجأً يعتصمون فيه ومتراساً تختبئ وراءه أسلحتهم الموجهة إلى صدور العرب.

---

1 ابن عذاري, البيان المغرب ج2 , ص26.

2 أخبار مجموعة ص 24 . وابن عذاري, المصدر السابق, ص 27.

3 ابن عذاري, المصدر السابق, ص 27.

4 حسين مؤنس, فجر الأندلس, ص 307.

5 ابن عذاري, المصدر السابق, ص 27 والحُميدي, جذوة المقتبس, ص 288 , رقم 740.

6 راجع حسين مؤنس, فجر الأندلس, ص 316 و 317.

استؤنفت الفتوحات بمجيء عبد الرحمن بن عبد الله العكي (الغافقي) والياً على الأندلس للمرة الثانية في صفر من سنة 112هـ/أيار 730م[1]. كان عبد الرحمن جندياً أندلسياً مخلصاً, متحرراً من حزبيته السياسية, مسلماً قوي الإيمان, ومن التابعين[2] الذين دخلوا الأندلس, حسن السيرة, عادلاً, مجاهداً[3].

معركة بلاط الشهداء: 114 هـ/732 م

اجتاز عبد الرحمن الغافقي جبال البُرت من طرفها الغربي سالكاً طريقاً جديداً غربياً, غير الذي ألفه العرب أيام السمح وعنبسة[4] في مطلع سنة 114هـ / 732م فاتجه نحو بوردو Bordeaux فحاول دوق أكيتانية أود أن يصده لأن العلاقات بينه وبين العرب قد ساءت بسبب محاولة عبد الرحمن القضاء على ثورة مونوسة Munuz صهر أود[5] لكن الدوق انهزم في معركة معركة على ضفاف نهر الدوردوني Dordonia عند ملتقاه بنهر الجارون Garona, وفر هاربا إلى الشمال مستنجداً بـ قارله (شارل مارتل Charles Martel) تاركاً عاصمته بوردو تحت رحمة المسلمين فاحتلوها ونهبوها[6].

استجاب قارله لنداء أود طمعاً في الاستيلاء على دوقيته وخوفاً على بلاده أن يغزوها العرب وقد صاروا قريبين منها, فليس غريباً أن يقاتل أود إلى جانب جيش الفرنجة Franks[7].

لا تمدنا المصادر العربية الأندلسية بمعلومات وافرة عن هذه المعركة الفاصلة, ربما لأن صداها المحزن جعلهم يحجمون حتى عن ذكرها وكل ما يعرف عنها مستقى من مصادر غربية [8]. وعن تعداد جيش عبد الرحمن يزعم الغربيون أنه يتراوح ما بين سبعين ألف ومائة ألف, ويقول ويقول هنري كوبيه في كتابه (تاريخ فتح العرب المسلمين لاسبانية, ج2, ص3): (كان الجيش العربي من الضخامة بحيث أن مخيمهم غطى أرضاً واسعة جداً). على أن المؤلف نفسه يضيف في الصفحة العاشرة: (كانت خسارتهم "العرب" كبيرة, لكنها تظل الأفضل, في الحجم, بالنسبة للجيش الفرنجي وهذا يدل على أن تعداد جيش شارل مارتل كان أكثر بكثير من تعداد جيش عبد الرحمن.

---

1 ابن عذاري, البيان المغرب,ج2, ص 28.

2 المقري, نفح الطيب, ج1, ص269.

3 محمد سهيل طقوش, تاريخ المسلمين في الأندلس, ص 77.

4 عمر فروخ, العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط, ص128.

5 حول هذا الموضوع راجع حسين مؤنس , فجر الأندلس, ص 310 – 313 و 364 – 366 يذكر أن مونوسة زعيم أمازيغي ومن رؤساء جند طارق تزعم حركة الأمازيغ في جليقية ولعب دوراً خطيراً في العلاقات بين المسلمين والنصارى.

6 حسين مؤنس, المرجع السابق, ص323.

7 H.coopee – History of the conquest of Spain by The Arab Moors Vol 2 .p.9.

8 حسن مؤنس, فجر الأندلس, ص237 و 238.

بدأت المعركة عند مدينة تور ثم انتهت بهزيمة الجيش العربي واستشهاد قائده عند بواتييه فعرفت بمعركة بواتيه في رمضان من سنة 114هـ أواخر تشرين الأول 732م[1], ويسميها المؤرخون العرب بمعركة "بلاط الشهداء" بمعنى قصر أي "قصر الشهداء".

الذي يهمنا من المعركة ليس مجراها بل الأسباب التي أدت إلى تلك الهزيمة القاسية, وأيضاً النتائج التي أسفرت عنها. لقد قام الكثير من المؤرخين –الغربيين والشرقيين– بتعليل أسباب هزيمة العرب في بلاط الشهداء فاتفقوا على بعض منها واختلفوا على أخرى ومرد ذلك إلى العامل الذاتي لدى كل منهم.

1– أول هذه الأسباب أن العرب ابتعدوا كثيراً عن مركز الدولة العربية وأضحى من العسير, إن لم يكن من المستحيل, على الجيش العربي الحصول على مدد من قرطبة[2] أي أن الحملة بلغت أقصاها عند آخر المطاف في شمال غاليا[3].

2– تتفق جميع المراجع ولا سيما الغربية منها على أن اهتمام المسلمين بجمع الغنائم وحملها إلى مواقع المعركة أعاق حركتهم وأضعف كثيراً من فرص انتصارهم لأنهم حرصوا عليها أكثر من حرصهم على النصر[4], وكانت خطيئة مميتة أنهم تركوها في المخيم, أثناء المعركة, يقوم على حراستها نفر من الحراس فاستطاع الدوق أود أن يباغتهم بهجوم مخادع, ولو أنه صدّ بسهولة كان بالإمكان تفاديه بإرسال قوة صغيرة كانت كافية لدعم الحراس وإنقاذ جيش المسلمين من أكبر كارثة تعرض لها.[5]

هناك من المؤرخين من ينكر على الغنائم أن تكون سبباً للهزيمة فهم يعتبرونها قصة أسطورية لا تتفق ومبادئ الجهاد في سبيل الله والامتثال للخطط المتبعة فيه[6], لكننا لا نستبعد دور الغنائم التي أثقلت الجيش العربي في رحلته الطويلة, وشغلت عدداً من أفراده في حراستها.

3- يعرف عن عبد الرحمن أنه كان سليماً من الحزبية القبلية, وكذلك كان جيشه بعيداً عن هذه النزعة, ولما كان أكثر جيشه من الأمازيغ, وبين هؤلاء وبين العرب من الخصومة ما يكفي لأن نضيفها إلى الحزبيات العربية الأخرى, عرفنا دور الحزبية القبلية وتأثيرها على مجرى المعركة[7] .

---

1 مونتغمري واط , في تاريخ اسبانية الإسلامية ص 38 وعبد الرحمن الحجي, التاريخ الأندلسي, ص193 .

2 حسين مؤنس, فجر الأندلس, ص326.

3 فيليب حتي, تاريخ سورية ولبنان وفلسطين, ج1 ,ص79–80.

4 حسين مؤنس, فجر الأندلس, ص327.

5 H.coopee – History of the conquest of Spain by The Arab Moors .p.10.

6 عبد الرحمن الحجي, التاريخ الأندلسي, ص 197.

7 حسين مؤنس, فجر الأندلس, ص 326, فيليب حتي, تاريخ سورية ولبنان وفلسطين, ج1 , ص 79.

4- كان للبيئة الطبيعية التي دارت عليها المعركة أثر سلبي على جنود عبد الرحمن لأنهم لم يتأقلموا مع المناخ القارس للشمال الفرنسي ذي الغابات الكثيفة حيث لم يعتدْ الجندي العربي القتال في هذه الظروف الصعبة[1].

نتائج المعركة: أسفرت المعركة عن مقتل لا يقل عن عشرة آلاف من جيش المسلمين, وربما كانت الخسارة أكبر من ذلك بكثير كما يرى ابن حيان وابن الأثير ومعهم مؤرخو الغرب[2]. بينما خسر شارل مارتل من جنوده 1500 فقط[3]. لم يحاول المسلمون, بعد بلاط الشهداء, الدنو من نهر اللوار, كما أن حملاتهم لم تعد ذات طابع جدي عند التوغل في غاليا.

بعد انتهاء المعركة, انسحب الجيش العربي, تحت جنح الظلام, إلى الجنوب تاركاً مخيماته ملأى بالغنائم والأسلاب, وعندما تأكد الفرنجة من خلو المعسكر من أهله, تريثوا قليلاً خوفاً من كمين أو خدعة ثم انقضوا عليه وانتهبوه[4].

كثر الحديث عن هذه المعركة, وأولاها الأوربيون مزيداً من الاهتمام, فهذا جيبون Gibbon يقول إذا انتصر العرب: "ربما كان لترجمة القرآن أن تدرّس الآن في كليات أوكسفورد Oxford". ويقول السير إدوارد كريسي E. creasy " أن الانتصار الكبير الذي حققه شارل مارتل أنقذ المسيحية من الإسلام, وحفظ بقايا القديم وأصل الحضارة الحديثة" وها هو شليجل يبتعد كثيراً في إساءته للعرب والمسلمين فيصرح في فلسفته للتاريخ بأن: "سلاح شارل مارتل أنقذ أمم الغرب المسيحية من السيطرة المميتة للإسلام"[5].

لندع الأوربيين يقولون ما يشاءون بشأن هذه المعركة لأن الحقيقة لا تنبع من أفواههم فقط, وتصريحاتهم تلك لا تعدو كونها افتراضات تستند على مبالغة كبيرة من إخباريين رهبانيين صدقها مؤرخون متأخرون دونما تمحيص بشكل نقدي.

تُرى ماذا تخسر أوربا لو انتصر العرب ؟ لا شك أنها ستخسر الجهل والظلام, والعبودية والاضطهاد, وكل ما يقود إلى التقدم والازدهار, وفي الجانب الآخر أيضاً, سيربح العرب كل الفضل في نقل الحضارة إلى شعوب مقهورة ومتخلفة, ويكفي العرب فخراً ما قاله عنهم ثلاثة من كبار المؤرخين الأميركيين ما يلي: " بينما كان باقي أوربا في ظلام وجهالة, كانت أسبانية قد

---

1 محمد سهيل طقوش, تاريخ المسلمين في الأندلس, ص 128.

2 حسين مؤنس, فجر الأندلس, ص 329 عن ابن حيان في نفح الطيب, ج1, ص109. وعمر فروخ, العرب والإسلام في الحوض الغربي من المتوسط, ص 131 عن ابن الأثير, ج5, ص82.

3 H. coopee : History of the conruest of Spain Vol 2, P. 13

4 مؤنس, فجر الأندلس, ص 330.

5 Ipid 19.20.21

أفادت من المعرفة الرائعة للعرب,وعندما كانت لندن وباريس مجرد قرى, كانت قرطبة, عاصمة أسبانيا, مدينة مزدهرة من مائتي ألف منزل وأكثر من مليون نسمة"[1].

لقد نجت غاليا, بل أوربا, من خطر المسلمين ولكن دون أن تتمكن من طردهم والتخلص منهم بعد بلاط الشهداء إذ ما زالوا في روسيون ولانغدوك السفلى يرابطون ويقومون بين الحين والآخر بهجمات ناجحة وخاصة عام 737 م على آفنيون وما جاورها[2].

فالفتوحات, إذن, لم تتوقف بعد تلك المعركة, ويمكن القول أن موجتها قد هدأت ولم تعد تأخذ طابعاً جدياً كسابق عهدها, فقد تحدثت المصادر الأوربية والأندلسية عن نشاط جهادي قام به عبد الملك بن قطن وراء جبال البُرت في ولايته الأولى 114 – 116هـ/732–734م لكن والي إفريقيا, عبدالله بن الحجاب, عزله عن الأندلس في رمضان 116هـ وولى بدلاً منه عقبة بن الحجاج السلولي في شوال من السنة نفسها[3]. كان عقبة بطبعه رجل جهاد, وكانت ولايته على الأندلس حافلة بالفتوحات داخل وخارج أسبانية لقد فتح عدة مدن في شمال الأندلس وفي جليقية وأسكنها المسلمين[4] , وعبر البُرت إلى غاليا واستولى على عدد من المدن في مقاطعة بروفانس, وأعاد فتح مقاطعة بورجونيا, وفي عهد عبد الملك, الذي خلف عقبة 123هـ/741م, استبدت اليمانية بالأندلس, وعمت الفوضى أنحاء البلاد, وتجددت الصراعات العنصرية, العربية–الأمازيفية بسبب انتقال شرارتها من المغرب حيث ثار الأمازيغ هناك على حكامهم العرب لسوء سياسة ولاة بني أمية[5] . في هذه الظروف المضطربة يدخل بَلْج بن بشر القُشيري – الأندلس 123هـ [6] على رأس جيش الشام وغالبيته قيسية فنازعت ابن قطن ويمانيته ودخلت الأندلس في حرب طاحنة أشعلتها الحزبيات السياسية في ظل غياب السلطة المركزية لم تنتهِ إلاّ بمقتل الاثنين ابن قطن أولاً وبعده بلج بأشهر قليلة. أدت هذه الاضطرابات إلى إضعاف موجة المد العربي في غاليا ثم إلى انحسارها في عهد الولاة.

<u>توقف الفتوحات:</u>

مازلت أذكر عبارة قالها فاتح المغرب, عقبة بن نافع الفهري, عندما لامست سنابك حصانه مياه بحر الظلمات (الأطلسي) : يا رب لولا هذا البحر الخضم لمضيتُ مجاهداً في سبيلك, وكأني بموسى بن نصير يردد هذه العبارة متحسراً عندما جاءه مُغيث الرومي, رسول

---

1 Lester B. Rogers and co. story of nations P. 468. Henry Holt and Co. USA. 1945

2 نور الدين حاطوم, تاريخ العصر الوسيط, ط. لبنان 1967, ص 88.

3 ابن عذاري, البيان المغرب ج2 , ص29.

4 أخبار مجموعة, ص28.

5 محمد سهيل طقوش, تاريخ المسلمين في الأندلس ص79.

6 ابن عذاري, البيان المغرب ج2, ص31.

الخليفة الوليد بن عبد الملك, يأمره بالقفول من الأندلس [1] والعودة إلى دمشق : يا رب لولا أمر الخليفة لمضيت مجاهداً في سبيلك, فهذا الرجل خُلق للجهاد لأن همته كانت لا تعرف الكلال, فصُدِع موسى بالأمر وآب إلى دمشق ومعه طارق ومغيث والسبي والغنائم من مختلف المتاع والأصناف في الأندلس سنة 95هـ [2] . أما لماذا استقدم الخليفة الوليد قائده موسى بن نصير فهذا مازال سراً, إلاّ إذا كان بسبب حرص الخليفة الشديد على رجال موسى من أن يُغرر بهم في صِقع بعيد منقطع عن بلاد الإسلام[3]. لقد بالغت الروايات, للدلالة على طموح موسى الزائد في الفتح, إنه عزم على الرجوع إلى الشرق سالكاً طريقاً برّياً غير الذي سلكه للوصول إلى الأندلس, وذلك بغزّوه غاليا ليعود منها والشاطئ الشمالي للمتوسط إلى بلاد الروم في آسيا الصغرى دون ركوب البحر[4].

مر بنا أن موسى غادر الأندلس بعد أن استخلف عليه ابنه عبد العزيز[5] وأسكنه اشبيلية[6] اشبيلية[6] وأمره بمواصلة الجهاد لتوطيد الفتح , والآن لنمضِ مع موسى لنتعرف على قصته مع خليفة دمشق. لقد دخل موسى إفريقية ثم اجتازها فوصل مصر ومنها سار إلى المشرق مع حاشية كبيرة وسبي كثير وغنائم وفيرة " فأقبل يجر الدنيا وراءه جراً لم يُسمع بمثله, ولا بمثلِ ما قدم به" [7]. ولما وصل طبرية في فلسطين أتاه رسول من سليمان بن عبد الملك, أخي الوليد وولي وولي عهده, يطلب إليه أن يتريث في المسير حتى يكون وصوله دمشق وسليمان خليفة ليحرم الوليد وولده ما جاء به موسى[8] غير أن موسى استأنف السير, وفاءً للوليد, حتى وصل دمشق والوليد مازال حياً فآلت الغنائم للوليد مما أسخط سليمان على موسى, وبعد موت الوليد أفضت الخلافة إلى أخيه سليمان فطلب في موسى وعَنَّفه. ويذكر صاحب البيان المغرب أن حواراً دار بين الاثنين بحضرة عمر بن عبد العزيز, وأن سليمان أمر بموسى فعنفه بلسانه, وأخذه بشدة, وجعله في العراء في يوم قائظ تلظيه حرارة الشمس المحرقة, وأغرمه مبلغاً من المال[9].

---

1 أخبار مجموعة, ص 19, ابن عذاري, البيان المغرب ج2 – ص 16.

2 ابن عذاري, البيان المغرب, ج2, ص 19.

3 عمر فروخ, العرب والإسلام في الحوض الغربي للمتوسط, ص 100.

4 الحِميري , الرّوْض المِعطار, ص 27.

5 ابن عبد الحكم , فتوح مصر , ج2, ص 234.

6 أخبار مجموعة, ص 19 .

7 ابن قتيبة, الإمامة والسياسة, ج2 , ص 244 و ابن عذاري, البيان المغرب, ج2, ص 23.

8 ابن عبد الحكم, فتوح مصر, ص 211 و ابن عذاري, البيان المغرب, ج2 , ص 19.

9 عما دار بين سليمان بن عبد الملك وموسى بن نصير انظر ابن عذاري, البيان المغرب, ج2, الصفحات: 20-21-22-23.

لقد تحدثت الروايات كثيراً عن نكبة موسى وأن سليمان بالغ كثيراً في ازدرائه وتحقيره, فلو كان اقترف ذلك ونكل بموسى وابنه لكان فعله "من الوصمات التي تعد عليه طول الدهر"[1] لكن لا يسعنا إلا أن نستبعد كل ما قيل عن إساءة سليمان لموسى بناءً على ما بين أيدينا من دفوع ضد تلك الروايات:

1- لو كان سليمان قد نكب موسى بمثل ذلك لما ترك ولديه واليَيْن على إفريقية والأندلس[2].

2- لقد ثبت أن لا علاقة لسليمان باغتيال عبد العزيز بن موسى فلقد آلمه ذلك وشق عليه, فأوعز إلى واليه على إفريقية, محمد بن يزيد, ليتحقق من الأمر, فأرسل إبن يزيد, والياً على الأندلس, الحُرَ بن عبد الرحمن الثقفي, وأمره أن ينظر في قضية مقتل عبد العزيز ومعاقبة القتلة[3].

3- ثم أن سليمان بن عبد الملك عندما ذهب إلى الحج اصطحب معه موسى مكرماً (على نفقته)[4] ومات موسى بمَر الظهران أو بوادي القُرى في سنة سبع أو تسع وتسعين هـ[5].

توفي هذا البطل الكبير, بائساً منسياً, في زاوية مظلمة مهملة في الحجاز بعد أن ملأ جهاده الآفاق ومد راية العروبة إلى ما وراء البحار. أما عن طارق بن زياد, البطل الأفريقي الأمازيغي, الذي حمل اسمه المضيق الحيوي الشهير, الواصل بين البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي, والمعروف في كل اللغات باسم مضيق جبل طارق Strait of Gibraltar, فإن الروايات تمسك عن الإتيان على ذكره ولا نعرف عنه شيئاً سوى أنه وصل إلى دمشق. وتذكر الروايات أن مغيثاً الرومي وشى به كما وشى بسيده موسى مدفوعاً بطمعه في ولاية الأندلس[6].

بمقدم رجال الفتح, موسى وطارق, إلى الشام, وبعد اغتيال عبد العزيز بن موسى 97هـ, توقفت الفتوحات في شبه الجزيرة الايبيرية في عهد الولاة, وفي المشرق العربي أسدل عليها الستار بموت الوليد بن عبد الملك وتسلم أخيه سليمان مقاليد الخلافة, فكان من أولوياته عزل القائدين العظيمين, قتيبة بن مسلم الباهلي, فاتح بلاد ما وراء النهر (وراء نهر جَيحون, ومن مدنها بخارى وسمرقند) ومحمد بن القاسم الثقفي, فاتح بلاد السند (عاصمتها الدَيْبُل قرب كراتشي الآن).

---

1 المقرّي, نفح الطيب , ج2-ص 246.

2 حسين مؤنس, فجر الأندلس, ص 168.

3 أخبار مجموعة, ص 22.

4 إبن الأبار, الحلّة السيَراء, ج2, ص 334 و ابن عذاري, البيان المغرب, ج2, ص 22.

5 الحُميدي, جذوة المقتبس, ص 304 ,رقم 793.

6 حسين مؤنس, فجر الأندلس, ص 170.

مرَّ بنا أن الفتوحات العربية, وإن توقفت في الأندلس حيناً من الزمن حيث لم يستكمل فتحه تماماً, استمرت في بلاد الفرنجة ووصلت طلائعها إلى حدود نهر اللوار, لكن المد الإسلامي أخذ يضعف ويتراجع رويداً رويداً, ومع أنه كان لهزيمة العرب في غاليا, في بلاط الشهداء وغيرها, دور سلبي على نشاط العرب الجهادي, فإنها لم تفت في عضدهم. لقد هزموا في إفريقية غير مرة ولكن فتوحاتهم وغزواتهم استؤنفت وتتالت, الذي أوقف الفتوحات هم العرب أنفسهم بسبب نزاعاتهم الحزبية, وتأثرهم بتفاهة النظرة الجاهلية للحياة[1]. فبين عامي 123–125 هـ/741–743 م شهد الأندلس نزاعات عنصرية وانقسامات وفتن حزبية داخلية, حدث ذلك عندما انتزع عبد الملك بن قطن السلطة في الأندلس من واليه عقبة بن الحجاج السلولي, لكن عهده لم يدم طويلاً, فما أن دخل بلَج بن بشر القُشيري الأندلس حتى نشب الصراع الحجازي – الشامي فهلك فيه عبد الملك بن قطن وبَلج بعده بقليل.

أدت هذه الأحداث إلى توقف العرب عن مدد حامياتهم في غاليا, فلقد شُغل أهل الأندلس بواقعهم المضطرب, ونسوا معقلهم في أربونة, الحصن الذي كانت تنطلق منه غزواتهم في بلاد الفرنجة ولم يعد أحد يفكر في نجدته. لقد بقيت أربونة منعزلة تزيدها الأيام ضعفاً حتى إذا كانت سنة 759 استردها بيبن القصير .Pepin Le Bref بن شارل مارتل[2] بعد أن حكمها العرب حوالي ثلاثين عاماً.

علاقة الأندلس بدار الخلافة:

إن الذين فتحوا الأندلس هم الجنود الأفارقة, أكانوا عرباً أم أمازيغ, وأن الذي قادهم للفتح هو طارق بن زياد حاكم طنجة Tangier وموسى بن نصير والي إفريقية, فإذا أضفنا إلى هذا أن فكرة الفتح قد اختمرت في ذهن كل منهما, وكانت وليدة تخطيط مُحكم ودراسة متأنية وإدراك عميق بما كان يحدث على أرض أسبانية, وأن تمويل الحملات كان من أموال إفريقية أيضاً. معنى هذا أن دمشق لم تغرم على فتح هذا القطر درهماً واحداً, حتى أن أعطيات جند الفتح كانت تدفع من خزائن إفريقية, وبالمقابل فإن دمشق لم تغنم منه شيئاً مادياً, ففي حين أن سيل جبايات الأموال كان يتدفق, من كل ولاية من ولايات الدولة, إلى بيت مال المسلمين في دمشق, لم يذكر قط أن الأندلس بعث شيئاً من أمواله إلى دار الخلافة خلا ما ذكره ابن قتيبة من تغريم سليمان بن عبد الملك لموسى بن نصير بمبلغ من المال كان قد احتجنه خلال ولايته قبض منه

---

1 المرجع السابق, ص 356.

2 Richard Fietcher – Morish Spain P. 29. University of California, press. L.A. Ca. USA. 1993.

نور الدين حاطوم, تاريخ العصر الوسيط , ص 98.

الخليفة مائة ألف دينار[1]. إن الذي غنم من الأندلس هم الذين قاتلوا في فتحه وحدهم وهم الذين أصابوا من خيرات هذا البلد الغني.

لقد تهاونت الخلافة كثيراً في شؤون الأندلس لدرجة الإهمال حتى أنها لم تحاول فرض سيطرتها عليه بأن ترسل إليه والياً يدير شؤونه أو من يقوم بأموره المالية أو القضائية, بل تركته حوالي تسع سنين لوالي إفريقية يتصرف به كما يشاء[2] ربما كان لكل هذه الاعتبارات, بالإضافة إلى بعد الأندلس عن مركز الخلافة, ما يحملنا على الاعتقاد بأن الخلافة تخلّت أو تنازلت عنه إدارياً لوالي إفريقية.

لقد تردد الأندلس, من حيث ارتباطه الإداري, بين ولاية إفريقية, ومركزها القيروان, وبين الإشراف المباشر لخلافة دمشق[3]. فلا توجد هناك قاعدة أو طريقة دستورية يُعيَّن بموجبها ولاة الأندلس, وقد جرت العادة على أن يقوم والي القيروان بتعيين والي الأندلس باعتبار أن أسبانية تؤول تبعيتها للقيروان, ولطالما خُرقت هذه القاعدة, فمثلاً يقوم عمر بن عبد العزيز بتعيين السَّمْح بن مالك الخولاني من قبله مباشرة 100هـ وفي بعض الأحيان, كانت القبائل العربية والأمازيغية تقوم بتعيين الوالي من قبلها دون الأخذ برأي والي إفريقية أو موافقة الخليفة في دمشق كما حدث عند تعيين أيوب بن حبيب اللَّخمي, وبَلْج بن بِشْر القُشيري, وثعلبة بن سلامة العاملي, وثوابة بن سلامة الجُذامي, ويوسف بن عبد الرحمن الفِهري[4].

لقد تمتع هذا القطر بوضع خاص في المدة الواقعة بين الفتح وبين قيام دولة عبد الرحمن بن معاوية 138 هـ/ 756 م , فلم يكن الأندلس ولاية تابعة فعلاً لمركز الخلافة كمصر مثلاً, ولم يكن كذلك ولاية مستقلة فعلاً, فقد كان بين التابع والمستقل كأن يكون جزءاً مكملاً لإفريقية ينضوي تحت لواء الخلافة[5] .

ولاية عبد الملك بن قطن الأولى 114 – 116هـ/ 732 – 734م

بعد مقتل الغافقي وصل إلى سدة الولاية في الأندلس عبد الملك بن قطن الفهري, وتذكر المصادر العربية أنه دخل الأندلس في رمضان أو في شوال من سنة 114 هـ[6], ومن المحتمل أن يكون ابن قطن قد اشترك في معركة بلاط الشهداء, وبعد المعركة تولى قيادة الجيش المهزوم

---

1 ابن قتيبة, الإمامة والسياسة, ج2 , ص 253.

2 حسين مؤنس, فجر الأندلس, ص 182.

3 عبد الرحمن الحجي, التاريخ الأندلسي, ص 131.

4 أحمد بدر, دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها, ص 26 و 27.

5 حسين مؤنس, فجر الأندلس, ص 184.

6 ابن عذاري, ج 2, ص 98.

ودخل الأندلس لكن المراجع لا تشير إلى ذلك بشيء[1] ولا تمدنا بمعلومات كافية عنه, لكن ابن خلدون يذكر أن ابن قطن كان ظلوماً وجائراً في حكومته وأنه غزا أرض البشكنس فأوقع وغنم ... ثم عزل في رمضان 116هـ[2] وينقل حسين مؤنس عن إيسيدور الباجي أن عبد الملك عسف الناس وأسخط عليه النفوس. وأن جماعته من اليمانية نهبوا أموال العباد وعاثوا في البلاد فساداً خلال فترة ولايته.

كان والي إفريقية, عبيدة بن عبد الرحمن, وقبل خروجه إلى الشرق ليستعفيه الخليفة هشام بن عبد الملك من منصبه سنة 114هـ, كان قد أقر عبد الملك بن قطن على الأندلس, واستخلف على إفريقية عُقبة بن قُدامة التُجيبي ثم عاد إلى الشام فأعفاه هشام 115هـ وكتب إلى عامله على مصر, عبيد الله بن الحبحاب, يوليه إفريقية 116هـ[3], فقام ابن الحبحاب وعيّن على الأندلس مولاه عقبة بن الحجاج السلولي 116هـ/734م, وعزل عبد الملك بن قطن[4] ربما كان ذلك لفظاظة عبد الملك وسوء مسلكه, أو إرضاء لعقبة نفسه حيث تربطه بابن الحبحاب علاقات ود واحترام وكان أثيراً عنده[5] . ويذكر حسين مؤنس, عن إيسيدور الباجي, أن ابن قطن وجماعته وجماعته من أنصار المدينة المنورة, حاولوا معارضة عقبة وخلق العراقيل أمامه مما اضطره إلى إلقاء القبض على عبد الملك وإيداعه السجن[6] وعندها استراح عقبة وتفرغ ليقوم بأعباء الحكم خير قيام[7].

---

1 عبد الرحمن الحجي, التاريخ الأندلسي , ص 204.

2 عبد الرحمن بن محمد بن خلدون, كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر, ط. بيروت 1959, ج4, ص 119.

3 ابن عبد الحكم, فتوح مصر, ص 217 , ابن عذاري ,ج2, ص 28, علي بن أبي الكرم (ابن الأثير), الكامل في التاريخ, ط. بيروت 1967, ج4, ص215, وفي جذوة المقتبس للحُميدي, ص 254 رقم 638 أن عبد الملك بن قطن ولي الأندلس 115هـ, ويرد على ذلك عمر فروخ في كتابه في الحوض الشرقي للمتوسط ص 135 أن والي أفريقية عَيّن عبد الملك بن قطن على الأندلس دون أن يعلم باستشهاد عبد الرحمن الغافقي 114هـ.

4 ابن عبد الحكم, فتوح مصر , ص 217, إبن عذاري, البيان المغرب, ج1, ص 51.

5 أخبار مجموعة, ص 25 – 28.

6 حسين مؤنس, فجر الأندلس, ص251.

7 ابن عذاري, البيان المغرب, ص 29.

الفصل الرابع

الحزبيات السياسية في الأندلس منذ ولاية عبد الملك بن قطن حتى قيام الإمارة الأموية 114-138هـ / 732-756م

الفتن والنزاعات الداخلية:

ندخل الآن في المرحلة الثانية من عصر الولاية والتي تنتهي بدخول عبد الرحمن الداخل الأندلس وتأسيسه للدولة الأموية بعد أن انقطعت في المشرق 132هـ/750م. فبعد معركة بلاط الشهداء هدأت موجة الفتوحات في غاليا لأن العرب انصرفوا إلى تسوية مشكلاتهم الداخلية التي تأزمت كثيراً ودفعت بالفاتحين من عرب وأمازيغ إلى خوض غمار حرب أهلية, لكن الأزمة لم تنتهِ بانتهاء الحرب وهزيمة الأمازيغ, إذ اشتد الصراع بين صفوف المنتصرين أنفسهم بين عرب الأندلس القدامى المعروفين بالبلديين, وبين العرب الجدد, جماعة بَلج بن بشر القُشيري, المعروفين بالشاميين. وإذا كان الصراع قد حسم لمصلحة الشاميين حيث تمكنوا من بسط سيطرتهم على البلديين, فإن الاستقرار لم يستتب وكأن الأندلس على شفا بركان وشيك الانفجار. وفعلاً تجدد الصراع ولكن هذه المرة على أساس قبلي. أي بين الحزبيات السياسية الوافدة من المشرق, الحزبية اليمانية والحزبية القيسية.

1- صراع العرب والأمازيغ: إذا تبرم الأمازيغ من معاملة العرب لهم في البدء ثم اندفعوا فيما بعد ثائرين على شركائهم في الفتح, فإن انتفاضتهم هذه لم تأت من عدم. فلقد تضافرت عدة أسباب دفعت الأمازيغ إلى أن ينتفضوا على حكامهم العرب. فما هي تلك الأسباب؟

أسباب الصراع: هناك أسباب عديدة لهذا الصراع ولكن واحداً منها كان أكثرها شيوعاً في جميع مراحل الصراع وهو:

تقسيم الأرض: يرى نفر من المؤرخين, ولا سيما الغربيين منهم من أمثال دوزي أن العرب استأثروا بأراضي الأندلس الخصبة وتركوا الجبلية القاحلة منها والجدباء في غاليسيا واستوريش للأمازيغ.[1]

لا تؤيد المراجع مثل هذه الأقوال وإنها كانت السبب في ثورة الأمازيغ لأن جماعات كثيرة منهم استقرت في أخصب أراضي الأندلس في الشرق والغرب وكذلك في الجنوب على مبدأ وضع اليد أثناء الفتح, ثم أن العرب كانوا أقلية بالنسبة للأمازيغ لا يستطيعون الاستحواذ على كل سهول الأندلس, كما أن كثيرين منهم كانوا يقيمون في مناطق ثغرية ويرابطون عند جبال البرت وعند أربونة فكيف بالباقين من العرب يستطيعون احتلال سهول الأندلس؟![2]

---

1 ر. دوزي, المسلمون في الأندلس, ج1, ص157.

2 حسين مؤنس, فجر الأندلس, ص253.

فتح المسلمون معظم أراضي الأندلس صلحاً[1] وباقي الأراضي فُتحت عنوةً[2]. ولقد جرى التعامل بين الفاتحين والمغلوبين الأسبان بناءً على معاهدات بين الطرفين, يدفع بموجبها المغلوبون الجزية على الرؤوس والخراج على الأرض[3] وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية, وعندما تولى عمر بن العزيز الخلافة أمر بإرسال السَّمح بن مالك الخولاني والياً على الأندلس 100هـ/719م[4] وكلفه بالتمييز بين أراضي الصلح وأراضي العنوة, ويبدو أن الخليفة عمراً كان قد ترامي إليه بعض التجاوزات لهذه القاعدة مما يخالف أحكام الشرع, لكن الخليفة نفسه تساهل فيما بعد, ولضرورات الفتح, مع جماعة من عرب الأندلس وفدوا إليه يشكون سوء حالتهم ويرغبون في العودة إلى أوطانهم خوفاً من القادمين الجدد أن يشاركوهم على أراضيهم, فمنعهم من ذلك وأقرهم على ما في أيديهم من اقطاعات قياساً على ما كان الوليد بن عبد الملك وموسى بن نصير قد سجلاه لهم, وأمر واليه أن يقطع جنوده, ومن دخل الأندلس بعدهم من أراضي الأخماس[5].

ولذلك فقد عدّ بعض الفقهاء أن أراضي الأندلس قسمت تقسيماً غير شرعي, كما طعن بهذه الطريقة بعض الناس, وقال فريق منهم أن تقسيم الأراضي تحكمت فيه القوة وليس الشرع, فلا غرابة أن تكون الأراضي سبباً في كل نزاع بين الغالبين[6].

هناك أسباب أخرى ساهمت إلى حد بعيد في إثارة أمازيغ الأندلس الذين ضاقوا ذرعاً بحكامهم العرب, وكان الأخيرون قد استبدوا بحكم الأندلس ولم يكتفوا بذلك بل تعدوه إلى سوء معاملة الأمازيغ وإهانتهم بإنزال أقسى العقوبات بهم[7] في حين أنهم كانوا يعتبرون أنفسهم على قدم المساواة مع العرب, وليسوا بأقل منهم ديناً أو كفاءةً وفضلاً, فهم الذين تحملوا معظم أعباء الفتح, وكان منهم قادة عظام مثل طريف بن مالك وطارق بن زياد.[8]

ثورة الأمازيغ في الأندلس:

---

1 يصح فيها الخراج: وهي ضريبة تفرض على الأراضي التي فتحها العرب وبقيت بأيدي أصحابها الأصليين

2 هي غنيمة يصح فيها الخمس أي ما تغنمه الجيوش العربية في الحرب من أموال وأملاك, أربعة أخماسها للفاتحين والباقي لبيت المال.

3 أحمد بدر, دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها, ص34.

4 ابن عذارى, البيان المغرب, ج1, ص48.

5 الرازي الرسالة الشريفية من تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية نقلاً عن كتاب الرايات لـ محمد بن موسى الرازي, ص191.

6 أحمد بدر, دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها, ص36.

7 حسين مؤنس, فجر الأندلس, ص253 عن إيسيدور الباجي, فقرة 44.

8 حسين مؤنس, فجر الأندلس, ص253.

كان أمازيغ إفريقية قد أشعلوا نار ثورة كبرى على واليهم, لهشام بن عبد الملك, عبيد الله بن الحبحاب 122هـ/739م بسبب ما أصابهم من سياسة القمع العنصرية التي انتهجها ولاة بني أمية وإسرافهم في استلاب موارد الأمازيغ الحياتية في ظل ظروف اقتصادية واجتماعية صعبة راجت فيها الأفكار الخارجية الوافدة من المشرق حيث هُزم الخوارج هناك. هزمت جيوش ابن الحبحاب أمام الثائرين فأرسل الخليفة هشام جيشاً شامياً بقيادة كلثوم بن عياض القشيري يعاونه ابن أخيه بلج فانهزم القائد كلثوم وقتل في معركة **بقدورة** على وادي سبو[1] بينما نجا ابن أخيه بلج وفرّ من المعركة ولاذ, وجنوده القيسية من أهل الشام, بحصون سبتة[2].

إذا كانت الثورة قد أطفئت نيرانها في المغرب, فإن أفكارها ولهيبها قد امتد إلى الأندلس حيث الظروف السياسية والاجتماعية, في البلدين, متشابهة تماماً لارتباط الأندلس بالمغرب ارتباطاً عضوياً ومصيرياً, كأنه جزء من تاريخه ينعكس عليه كل حوادثه وقضاياه.

فما أن بلغت أمازيغ الأندلس أنباء انتصارات أبناء عمومتهم في العدوة على عربها حتى ثاروا في شمال الأندلس, وهي مناطق تجمعهم, على العرب المقيمين هناك في جليقية واستورقة والمداين التي خلف الدروب, وأخرجوهم وقتلوهم, باستثناء ثغر سرقسطة حيث كان عربه أكثر من أمازيغه. أما من بقي من العرب في هذه الديار فقد فروا إلى وسط الأندلس[3].

شعر الأمازيغ بتفوقهم على العرب في بادئ الأمر, ولذلك فقد عملوا على تنظيم صفوفهم وفق خطة محكمة في ثلاثة جيوش كبيرة, توجه الأول نحو طليطلة (الثغر الأوسط), وتوجه الثاني نحو قرطبة, والثالث نحو الجزيرة الخضراء للتواصل مع أمازيغ المغرب عبر المجاز, وتنسيق الجهود معهم, والاستيلاء على السفن والميناء, وقطع الاتصال مع عرب المغرب ولا سيما أهل الشام المحاصرين في سبتة[4]. إن مثل هذا التنظيم لا يمكن أن يأتي إلا عن قيادة موحدة ورأس مدبر خطط لخوض أكثر من معركة مع العرب معتمداً على الأعداد الهائلة للأمازيغ. كانت الخطة ذكية جداً, فقد استغلت الظروف المضطربة لحكومة قرطبة, وكان واليها العجوز, عبد الملك بن قطن, قد ارتبك وتحرج موقفه لدى تصديه للخطر,

---

1 اختلف المؤرخون حول مكان هذه المعركة, فيذهب ابن عذارى, البيان المغرب, ج1, ص55 إلى أنها على نهر سبو, ويقول صاحب أخبار مجموعه, ص32 أن المعركة جرت في موقع يقال له بقدورة دون أن يحدد مكانها, بينما يقول ابن عبد الحكم, فتوح مصر, ص211 أن المعركة وقعت في أرض طنجة. فيرجح أن تكون المعركة قد وقعت عند نهر سبو أكان اسم الموقع بقدورة أم سواها وهذا الموقع أقرب إلى طنجة من وادي الملوية الذي يصب في المتوسط إلى الشرق من مليلة المغربية حيث يرجح حسين مؤنس أن تكون المعركة قد وقعت على هذا النهر معتمداً على رأي الرازي.

2 مدينة مغربية على المتوسط في مدخل مضيق جبل طارق.

3 أخبار مجموعه, ص38.

4 ر. دوزي, تاريخ مسلمي إسبانية,ج1, ص158.

كما أنه بات لا يعوّل على شيء من والي إفريقية المتعب بهموم ولايته, ولا على خليفة دمشق الضعيف, الوليد الثاني, الذي لا تعنيه شجون الأندلس[1].

فبعد عام من الحصار المحكم أشرف بلج وجماعته على الهلاك حتى أكلوا دوابهم وجلودها[2] وكانوا لا يتوقفون عن الكتابة لابن قطن يستحثونه ويستغيثون به ليمدهم بالميرة ولا من يجيب إذ كان يخافهم كثيراً, فهم قيسيون متعصبون, وهو, مع أنه قيسي أيضاً, كان متعصباً لجماعته الكلبية اليمانية, فآثر أن يدعهم بحالهم يهلكون[3]. ويعتقد أن لعبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة[4] زعيم العرب الأفارقة[5], ضلعاً في هذه القضية, وكان المذكور قد نجا مع بلج, من معركة سبو. ولزم بلجاً, كما أوصاه أبوه حبيب, واعتصم معه في سبتة إلى حين سنحت له فرصة, ففارقه وفر إلى الأندلس. وهناك التقى عبد الملك بن قطن فأوغر صدره على بلج[6]. وكان عبد الرحمن يضمر شراً لبلج بسبب الخلاف الذي حدث بين حبيب, والد عبد الرحمن, وكلثوم بن عياض, عم بلج, وكاد أن يتطور إلى معركة كبيرة, على أن عبد الملك لم يكن بحاجة إلى من يستثيره على أهل الشام لأن قلبه لا زال عامراً بالحقد على الشاميين منذ معركة الحَرَّة التي شهدها عبد الملك عام 63هـ/683م حيث اجتاح جيش يزيد بن معاوية بن أبي سفيان المدينة المنورة واستباحها ثلاثة أيام[7], ولذلك فقد مطل بلجاً وجماعته بالأغذية ولم يرسل إليهم السفن التي طلبوها ليجوزوا ليجوزوا فيها إلى الأندلس, وعلى الرغم من ذلك فقد أنقذوا من مجاعة مؤكدة بواسطة الذخائر والمؤن المهربة من الأندلس إلى ميناء سبتة كهبة شخصية لإغاثتهم[8]. ذلك أن رجلاً عربياً من لخم وهو عبد الرحمن بن زياد الأخرم تطوع بإرسال مركبين مشحونين بالشعير والأدام أمسكت أرماقهم, فعلم بذلك ابن قطن فغضب على الفاعل وتشفى منه بتعذيبه وضرب عنقه.

---

1 بيضون, الدولة الإسلامية في إسبانية, ص116.

2 أخبار مجموعه, ص37.

3 أخبار مجموعه, ص37.

4 انظر ترجمته في الحلّة السيراء لابن الأبار تحقيق حسين مؤنس, ج2, ص341-342, وهامش الصفحة 342 للمحقق.

5 خلال الفتح الإسلامي لشمال إفريقية وبعده أخذت هجرات عديدة من العرب المشارقة تفد إلى المغرب للإقامة فيه, وكانت قبل ذلك مجموعات من جند الفتح قد استقرت في ما طاب لها من نواحي المغرب, وبعد أن طال بهم المقام تبلدوا (صاروا من أهل البلد) ثم انضم إليهم أو دخل في ولائهم بعض الأمازيغ, ومن هؤلاء تكونت جماعات من العرب عرفت بالعرب الأفارقة معظمهم يمانيون لأن معظم فاتحي إفريقيا كانوا منهم فتكاثروا فيها, كما تكاثروا في الأندلس, وأسسوا لهم أسراً من ذريتهم. وقد تميزت هذه العائلات بالجاه والشرف, وكان من أعرق تلك الأسر بيت عقبة بن نافع الذي يمثله في هذه الفترة من العصر الأموي عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة.

6 ابن عبد الحكم, فتوح مصر وأخبارها, ص220.

7 الطبري, تاريخ الرسل والملوك, ج5, ص495. وابن الأثير, الكامل في التاريخ, ج3, ص211-219.

8 H.coppe'e, History Of The Conquest Of Spain By The Arab Moors,Vol.2, P.39.

لحسن حظ بلج وجماعته, أخذت حزبية ابن قطن المتطرفة تتراخى كثيراً عندما انفجرت ثورة الأمازيغ في الأندلس, بل كادت تذوب حين أحدقت حشودهم بمركز الحكم في قرطبة وراحوا يشددون ضغوطهم عليها, عندها استجاب ابن قطن لنداء بلج. فلقد أيقن أنه لا أجدى عليه من أن يستظهر بهؤلاء الشاميين على الرغم من خشيته منهم. ولهذا أرسل لهم سفنه فعبروا عليها المجاز لا للإقامة في الأندلس بل من أجل قتال الأمازيغ وذلك وفق اتفاقية بين الطرفين أملى شروطها ابن قطن وقبلها بلج مرغماً [1]. لقد اشترط ابن قطن على الشاميين أن يغادروا الأندلس بعد قمع ثورة الأمازيغ مباشرةً, وبالمقابل اشترط عليه الشاميون أن يعيدهم إلى إفريقية في مجموعة واحدة, وأن ينزلهم في موضع آمن دون أن يتعرض لهم الأمازيغ. ولتنفيذ الاتفاقية احتجز ابن قطن عشرة رجال من كل فرقة من فرقهم كرهائن وأنزلهم في جزيرة أم حكيم[2].

وهكذا فقد انتهت محنة بلج وجماعته الشامية, فبارحوا سبتة بحال من الجوع والبؤس وتستر جسومهم أسمال بالية ونزلوا الجزيرة الخضراء ومنها توجهوا إلى قرطبة حيث استقبلهم ابن قطن وعرب الأندلس وراح القيسيون منهم يكرمونهم طمعاً في كسب قلوبهم والاستعانة بهم, يوماً ما لا بد آت, في نزال مع يمانية الأندلس. تحرك بلج وجماعته من عرب الشام وقد انضم إليهم نفر من عرب الأندلس تحت قيادة واحدة واتجهوا نحو الجزيرة الخضراء للقاء جيش الأمازيغ الثالث وكان قد عسكر عند شذونة Sidonia في الجنوب, وعلى مقربة منها التقى الجيشان في معركة هائلة ثأر فيها العرب من هؤلاء الأمازيغ وأصابوا مغانم كثيرة[3]. وفي هذه الإثناء كان الجيش الثاني يُحكم حصاره على قرطبة, فنهض عبد الملك بن قطن يسانده عرب الشام بقيادة بلج للقاء الأمازيغ, فلم يجد الجيش العربي صعوبة تذكر في تحطيم جيشهم وراحت فلوله المهزومة تتقاطر مسرعة إلى طليطلة المحاصرة والصامدة لعدة أشهر دون أن يتمكن الجيش الأول من اقتحامها إلى أن وصلت النجدة العربية في الوقت المناسب والتقت الثائرين في معركة قرب طليطلة عند وادي سليط Guoizalete أحد روافد نهر تاجه Tagus [4] أظهر فيها الشاميون, وكانوا قد اكتسبوا خبرة عالية في فنون القتال خلال حروبهم مع أمازيغ إفريقية, من الشجاعة والإقدام ما مكنهم من القضاء على ثورة الأمازيغ نهائياً "فلم ينج منهم إلا الشريد, فركب أهل الشام, ولبسوا

---

1 ابن عذارى, البيان المغرب, ج2, ص30.

2 أخبار مجموعه, ص39. وابن عذارى, البيان المغرب, ج2, ص30.

3 ابن عذارى, البيان المغرب, ج, ص31.

4 وادي سليط نهير يصب في نهر تاجه جنوبي طليطلة, حسين مؤنس, فجر الأندلس عن الرازي, ص259. اما ثاجه فهو نهر كبير يخترق طليطلة ويصب في الأطلسي عند لشبونة عاصمة البرتغال, الحميري, الروض المعطار, ص62.

السلاح, ثم فرقوا الجيوش في أرض الأندلس فقتلوا البربر حتى أطفأوا جمرتهم"[1] مطلع 124هـ منتصف 741م. وبعد هذه الضربات التي لحقت بالأمازيغ لاذوا بالثغور وتواروا عن الأنظار[2].

2- الصراع بين الشاميين والبلديين:

ما أن سكت الصراع بين العرب والأمازيغ في الأندلس حتى نشب صراع آخر, ولكن على أساس إقليمي هذه المرة, بين العرب الجدد, أصحاب بلج المعروفين باسم الشاميين, وبين العرب القدامى الذين دخلوا الأندلس مع قوات طارق بن زياد وموسى بن نصير وعرفوا باسم البلديين أي الذين أصبحوا من أهل بلد الأندلس. لكن هؤلاء البلديين لم يكونوا عرباً فقط, بل كان أقلهم من العرب القدامى وأكثرهم من الأمازيغ, أي أمازيغ حملة طارق بن زياد وأمازيغ إفريقية الذين لم ينقطع سيل هجرتهم إلى الأندلس لقربه أولاً من موطنهم في إفريقية. وعندما استقر هؤلاء, عرباً وأمازيغ, في أراضي الأندلس, اختار كل فريق ما يوافق مزاجه من الأرضين كما ذكرنا سابقاً. استقر الأمازيغ وعاشوا, جنباً إلى جنب, مع العرب في كثير من نواحي الأندلس, وجمعتهم بهم ظروف حياة مشتركة, وربطتهم معاً بروابط الزواج, ومع الزمن تحولوا إلى بلديين وكونوا مع العرب جبهة واحدة في وجه الشاميين, ويذكر أن عرب طالعة موسى الأولى كانوا دوماً حلفاء للأمازيغ على أهل الشام (الطالعة الثانية) لأنهم اعتقدوا, أي العرب والأمازيغ, بعد أن جمعتهم المصلحة, بأن هؤلاء القادمين سوف يشاركونهم ما بين أيديهم من الأراضي[3]ولذلك انتفضوا ضدهم, والتفوا حول عبد الملك بن قطن محاولين اقصاءهم عن الأندلس نهائياً[4]. هكذا كان موقف الأمازيغ من أهل الشام, وكان العرب قد أساؤوا, من البداية, معاملة الأمازيغ واشتطوا في عسفهم كما مر بنا, فتملكهم الخوف والنفور منهم, وعندما قامت ثورة الأمازيغ في الأندلس وقعت القطيعة بين الطرفين, ثم جاء الشاميون بقيادة بلج فأنزلوا بالأمازيغ هزائم ساحقة إلى أن أقبل عبد الرحمن بن معاوية فانضموا إليه والتزموا بطاعته.

ولاية عبد الملك بن قطن الثانية: من صفر-ذي القعدة 123هـ/741-742م.

من المعروف لدينا أن عبد الملك بن قطن الفهري قد تولى الأندلس مرتين, مع أن أكبر الطامعين الفهريين في هذا المنصب, لا سيما عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة, سليل عقبة بن نافع,أعرق بيوت العرب الأفارقة, لم يصل إلى هذا المنصب ولا مرة رغم محاولاته الكثيرة, فاكتفى بولاية إفريقية, فلا بأس إذا تعرفنا على شيء من السيرة السياسية لابن قطن:

---

1 أخبار مجموعه, ص40.

2 عمر فروخ, العرب والإسلام في الحوض الغربي من المتوسط, ص145.

3 حسين مؤنس, فجر الأندلس, ص429و ص433.

4 ابن القوطية, تاريخ افتتاح الأندلس, ص82-83.

كان هذا الرجل فهرياً قُرشياً قيسياً ومن حزبية أهل المدينة القيسيين الذين لا يحبون بني أمية, شهد معركة الحرَّة[1] 63هـ ونجا من سيوف أهل الشام ثم هرب من الحجاز مغامراً إلى إفريقية ومنها عبر إلى الأندلس. وبعد مقتل عبد الرحمن الغافقي في (بلاط الشهداء) 114هـ/732م استعمله, على الأندلس, والي إفريقية لهشام بن عبد الملك, عبيدة بن عبد الرحمن السلمي 114هـ/ 732م قبل أن يستعفي. وقد وصفه المؤرخون أنه كان ظلوماً جائراً في حكومته, عسف الناس وأساء إليهم فعزله والي إفريقية بعد عبيدة بن عبد الرحمن, عبيد الله بن الحبحاب, عن ولاية الأندلس وولى مكانه مولاه عقبة بن الحجاج السلولي, فحقد ابن قطن على عقبة وراح يفتعل العراقيل في طريقه, فقبض عليه عقبة وزجه في السجن[2].

بعد هزيمة العرب في غزوة الأشراف 123هـ/740-741م, استشاط المغرب كله غضباً, وانتفض على ابن الحبحاب, وبلغ خبر الانتفاضة إلى أهل الأندلس فثاروا على واليهم, عقبة بن الحجاج, بزعامة عبد الملك بن قطن في صفر من سنة 123هـ[3] .

وقد اختلفت الآراء بشأن مصير والي الأندلس, عقبة بن الحجاج, فقيل أن ابن قطن خلعه[4], وقيل أن عقبة نفسه اعتزل واستخلف عبد الملك[5]. وقيل هلك بالأندلس[6], وقيل أخيراً أن عبد الملك قتله. ومع أني لم أجد أجد مصدراً واحداً يشير إلى ذلك, فإني أميل إلى هذا الرأي قياساً بما عرف عن قساوة هذا الرجل وحبه للثأر والانتقام ودليلنا على ذلك ما اقترفه عبد الملك بحق العربي الأندلسي الشهم عبد الرحمن بن زياد الأخرم الذي تطوع لإنقاذ جماعة بلج المحصورين في سبتة فلقي هذا حتفه بطريقة وحشية أمعن فيها عبد الملك بتعذيبه وتصفيته جسدياً.

كنا تعرضنا من قبل للأوضاع المضطربة في المغرب وثورة الأمازيغ فيه على ولاة بني أمية, والأصح, على الحكم الأموي الفاسد الذي أرهق الأمازيغ وأنكر عليهم دورهم الكبير في فتوحات الأمويين, وبالتالي حقوقهم في المساواة مع العرب في كل شيء. وكنا عرفنا أن هذه الثورة قد كلفت الأمويين كثيراً, وأزهقت أرواح الألوف من العرب الأفارقة ومعظم جيش الشام الذي أرسله هشام بن عبد الملك بقيادة كلثوم بن عياض وابن أخيه بلج بن بشر, عندما انهزم أمام الأمازيغ في معركة وادي سبو (بقدورة) 123هـ/741م.

---

1 أخبار مجموعه, ص42.

2 انظر أعلاه 34, ص30.

3 ابن عذارى, البيان المغرب, ج1, ص54. وابن الأثير, الكامل في التاريخ, ج4, ص250.

4 ابن عذارى, البيان المغرب, ج1, ص53.

5 ابن عذارى, البيان المغرب, ج1, ص53.

6 الضبي, بغية الملتمس, ص380, رقم 258. الحميدي, جذور المقتبس, ص287, رقم 739. عبد الواحد المراكشي, المعجب في تلخيص أخبار المغرب, ص12.

نجا بلج وجنده الشامي من المعركة ولاذوا بحصون سبتة محاصرين من الأمازيغ, وطال حصارهم وأوشكوا على الهلاك, وابن قطن يصر على رفضه إغاثتهم أو استقدامهم إلى الأندلس لأسباب ذكرناها سابقاً.

وتشاء الظروف أن تشتعل, على أرض الأندلس ثورة أمازيغية متأثرة بنظيرتها المغربية وأخذت جيوشها تقترب من قرطبة وتهددها, عندها وافق ابن قطن, بعد سلسلة من المفاوضات بين الطرفين, على عبور بلج وقواته إلى الأندلس لإخماد ثورة الأمازيغ, وفعلاً تمكنت القوات الشامية, كما يسميها H.cope'e [1] من سحق ثورة الأمازيغ وإسكات صوتهم نهائياً في جميع جهات الأندلس 124هـ/742م.

ولاية بلج على الأندلس وصراعه مع ابن قطن: 124هـ/742م.

كانت الاتفاقية المبرمة بين ابن قطن وبين بلج وأصحابه تنص على أن:

1. يسمح ابن قطن لبلج وجماعته بالعبور إلى الأندلس على سفن يرسلها من عنده لهذه الغاية مقابل أن يقوم الشاميون بمساعدة ابن قطن في إخماد ثورة الأمازيغ.
2. يحتجز ابن قطن في جزيرة أم حكيم عشر رهائن من كل فرقة لصدق تنفيذ الاتفاقية.
3. يُسمح لبلج وأصحابه الإقامة في الأندلس لمدة سنة واحدة فقط بعد القضاء على الثورة, يعودون بعدها إلى المغرب جماعة واحدة على سفن يقدمها لهم ابن قطن.
4. يجب أن يُكافأ جند بلج من غنائم الحرب بعد قضائهم على الثورة. [2]

وغالباً ما تخرق مثل هذه الاتفاقيات لأي سبب كان. وعليه فقد دخل بلج بجماعته إلى الأندلس أواخر سنة 123هـ/أيلول 741م, وكان عدد أفراد هذه الجماعة عشرة آلاف معظمهم قيسيون, وبعد القضاء على الثورة الأمازيغية أقطع ابن قطن بلجاً وجماعته أراضي في أنحاء قرطبة ليقيموا فيها لوحدهم ريثما يحين موعد مفارقتهم للأندلس. وفيما انقضى عام جاء عبد الملك يسأل بلجاً تنفيذ الاتفاق ومغادرة الأندلس وقال له "أخرجوا من الأندلس على ما شورطتم عليه"[3]. وكان بلج وجماعته قد استمرأوا الإقامة في الأندلس وترفهوا فيه وبطروا فامتنعوا من الخروج[4], وأخذوا يذكرون ابن قطن صنيعه بهم حين كانوا محاصرين في سبتة وقتله مغيثهم عبد الرحمن بن زياد الأخرم. ويفهم من الملاسنة التي جرت بين بلج وعبد الملك أن كلاً منهما تعلل على الآخر وخرق شروط الاتفاقية, فلا بلج أراد الخروج بجماعته من الأندلس, ولا ابن قطن وافق على حملهم بسفنه إلى مكان آمن من ساحل إلبيرة أو تُدمير ومنه إلى بر العدوة, وعندما تمسك الطرفان, كل بموقفه, وتبودل الكلام بينهما وازداد حدةً, وَثَبَتْ جماعة بلج على ابن قطن فخلعوه

---

1 عبد الواحد بن علي المراكشي, ط. بيروت 1998, المعجب في تلخيص أخبار المغرب, ص40.

2 H.coppe'e HISTORY OF THE CONQUEST OF SPAIN, VOL2, P.40.

3 ابن عذارى, البيان المغرب, ج2, ص31.

4 ابن عذارى, المصدر السابق, ج2, ص56.

ونصبوا عليهم قائدهم بلج بن بشر, ودخل بلج قصر الإمارة في قرطبة في ذي القعدة من سنة 124هـ/صيف 742م[1].

وهكذا استولى بلج على الأندلس بصورة رسمية بناء على وصية هشام بن عبد الملك التي أسندت إليه قيادة جيش الشام إذا هلك قائده كلثوم. أما ابن قطن فقد أنزل بداره في قرطبة التي تعرف بدار أبي أيوب دون أن ينسى هزيمته أمام بلج فحاربه مراراً[2] إلى أن أحسّ بضعفه فاعتزل ولزم بيته في قرطبة.

كان بلج, عند جوازه إلى الأندلس, قد سلم ابن قطن عدداً من الرهائن فوضعهم ابن قطن في جزيرة أم حكيم, وهي خلو من الماء, فمات منهم رجل من أشراف غساسنة الشام عطشاً[3] فغضب له أهل الشام وجاؤوا إلى بلج يسألونه تسليمهم ابن قطن ليقتلوه بالرجل الغساني, تريث بلج في ذلك ثم رفض تسليمهم إياه وقال: "ويحكم, لا تفعلوا فإن عبد الملك رجل من قريش, وكان موت صاحبكم على شبه الخطأ" لكنهم لم يصغوا لكلماته, وكان بينهم يمانيون مصممون على الثأر لرجل من حزبهم. حاول بلج إقناعهم بدعوى أن موت الغساني جاء نتيجة الإهمال غير المتعمد,فاتهموه بالتعصب لمضر[4]. خاف بلج فساد رأيهم وتفرق كلمتهم, ولذلك أمر بابن قطن فأخرجه الجند من داره وهو شيخ مسن في التسعين من عمره كأنه فرخ نعامة لكونه هرماً, طويلاً, نامي العضلات[5], فلما رآه أصحاب بلج صاحوا بأعلى صوتهم "أفلتّ من سيوفنا يوم الحرّة[6] فطلبتنا بثأرنا في أكل الدواب والجلود ثم أردت إخراجنا إلى القتل" ثم وثبوا به فقتلوه وصلبوه وصلبوا خنزيراً عن يمينه وكلباً عن شماله[7] إمعاناً في إهانته. ثم إن ابني عبد الملك, أمية وقطناً, وبعد اعتقال أبيهما وإخراجه من قصر الإمارة في قرطبة, قد هربا مع جماعة أبيهما المخلوع فلجأ أحدهما إلى سرقسطة ولجأ الآخر إلى ماردة, وبعد مقتل عبد الملك أخذ ابناه أمية وقطن يستقطبان الأنصار والمؤيدين, ويحشدان الجيوش للانتقام من بلج, فانضم إليهما عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة الفهري, زعيم العرب الأفارقة, وهذا يذكرنا بخصامه مع بلج عندما كان يحارب, إلى جانبه, أمازيغ إفريقية. وكان قد فرّ من حصار سبتة ولجأ إلى الأندلس, قبل بلج, ودخل في خدمة ابن قطن كما مرّ بنا, وكان أيضاً في جملة الفارين, من أنصار ابن قطن, حين انقلب بلج عليه. كما استجاب لدعوة ابني عبد الملك حاكم أربونة Narbone عبد الرحمن بن علقمة اللخمي, وهو يماني متعصب, ومن كبار القادة وقد

---

1 ابن عذارى, البيان المغرب, ج2,ص31.

2 ابن عذارى, البيان المغرب, ج1, ص56.

3 أخبار مجموعه, ص41.

4 أخبار مجموعه, ص41.

5 H.coppe'e HISTORY OF THE CONQUEST OF SPAIN, VOL2, P.42.

6 وقعة الحرّة جرت سنة 63هـ بقيادة مسلم بن عقبة المري قائد جيش الشام ليزيد بن معاوية, دخل بعدها المدينة المنورة واستباحها ثلاثة أيام, انظر أعلاه ص12.

7 ابن عذارى, البيان المغرب, ج1, ص32.

لُقب "فارس الأندلس", فما أن بلغه نبأ مقتل ابن قطن حتى قرر الزحف إلى الأندلس للانضمام إلى قطن وأمية, ابني عبد الملك [1] بجيش من مائة ألف مقاتل[2].

في هذه الظروف المشحونة بغيوم الحرب, كانت السلطة المركزية غائبة تماماً وتعاني حالة من التردي والتقوقع السياسي في آواخر خلافة هشام بن عبد الملك بسبب نشوب صراعات سياسية عديدة في مشارق الدولة الأموية ومغاربها, وبينما أخذت خلافة دمشق تتجه نحو الضعف, وينحسر نفوذها السياسي, تقوت الدعوة العباسية فانعكس ذلك على الأندلس وغابت هذه الولاية البعيدة عن أذهان الأمويين فتركوها تعالج مشكلاتها بنفسها

توفي هشام بن عبد الملك في ربيع الثاني من سنة 125هـ/شباط 743م, فخلفه الوليد الثاني ابن أخيه يزيد[3], وكان هذا محباً للهو والشراب, ممعناً في المجون وتلبية أهواء النفس, فأهمل شؤون الحكم. لذا أجمع قومه على قتله فقتلوه 126هـ/744م.

هذه هي الحال في المشرق العربي, أما في الأندلس, الولاية الأكثر تأثراً بأحداث المشرق, فلقد أصبحت سرقسطة موئلاً لجماعة ابن قطن ومن هم على شاكلتهم من عرب الأندلس المتأثرين بحزبيتهم الإقليمية. ومن هؤلاء الأندلسيين تشكل تكتل كبير في سرقسطة بزعامة ابني عبد الملك, أمية وقطن ضم عدداً من الزعماء المحليين المناوئين لبلج والطامحين بكرسي الولاية, يقابله تكتل آخر للشاميين الذين استولوا على الحكم وتمركزوا في قرطبة بزعامة بلج. لم يكن بلج ممن يؤثرون قتال أهل الأندلس إذ ما زال حديث العهد في عمله كوالٍ. ويعلم أيضاً, بما لديه من عمق النظر, أنه وجماعته محاطون بجيش من الأعداء المتعطشين للانتقام من الشاميين بسبب ما اقترفت أيديهم وقتلهم ابن قطن بطريقة وحشية كان لها صداها المؤلم في نفوس الأندلسيين, وبعدها الحزبي القديم المبني على الصراع بين القيسية واليمانية.

كان الصراع, في حقيقته, صراعاً إقليمياً بين أهل الشام وأهل الأندلس, فالشاميون قيسيون, أما أهل الأندلس فكانوا من مشارب مختلفة وقد جمعتهم المصلحة السياسية والعداء للدخلاء الشاميين, فمنهم يمانيون كجماعة ابن قطن, ومنهم أمازيغ حاقدون على بلج لمساعدته ابن قطن على إبادتهم, ومنهم خصوم لبلج كـ عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة وعبد الرحمن بن علقمة اللخمي, ومنهم أيضاً جماعة من الفهريين كانوا في قوات بلج ثم نقموا عليه قتله عبد الملك بن قطن وهو فهري مثلهم[4].

---

1 حسين مؤنس, فجر الأندلس, ص341.

2 أخبار مجموعه, ص43. وهو رقم مبالغ فيه.

3 ابن عذارى, البيان المغرب, ج1, ص59.

4 عمر فروخ, العرب والإسلام في الحوض الغربي من المتوسط, ص149.

كان المتحالفون أكثر عدداً إذ اجتمع لديهم أربعون ألفاً شاركوا في المعركة[1], وهو رقم مقبول مقارنة برقم صاحب أخبار مجموعه ص43, من أن قوات عبد الرحمن بن علقمة اللخمي وحدها بلغت مائة ألف, بينما لم يجتمع لدى الشاميين سوى اثني عشر ألفاً[2]. يتضح من ذلك أن هناك خللاً كبيراً في الفرق بين القوتين جعل بلجاً يتريث كثيراً, بل يحجم عن القيام بمغامرة حربية غير مأمونة, وكان بلج قد عجز عن لجم عنفوان جماعته الشاميين المشحونين بحزبيتهم الإقليمية والسياسية عندما ثاروا عليه يطالبونه تسليمهم ابن قطن ليقتلوه وإلا سينفضون عنه, وها هم الآن يدفعونه إلى الحرب دفعاً مهما كانت نتيجتها.

زحف ابنا عبد الملك بن قطن نحو قرطبة يطالبان بثأر أبيهما, فخرج بلج للقائهما في أقل من خمس قواتهما حسب قول ابن عذارى في البيان المغرب, ج2, ص32. التحم الفريقان في قتال شديد في مكان قريب من قرطبة يسمى أقوة برطورة Aqua partarer [3] وذلك في شوال من سنة 124هـ/آب 742م[4].

استبسل الشاميون في القتال وصمدوا بقوة أمام التفوق العددي لخصومهم وانجلت المعركة عن انتصار ساحق للشاميين وهزيمة كبرى لتحالف أهل الأندلس أزهقت من أرواحهم آلاف القتلى, بينما لم يفقد الشاميون أكثر من ألف قتيل[5]. لكنهم خسروا قائدهم بلجاً الذي أصيب بسهمٍ أماته في اليوم التالي فوّقه عليه "فارس الأندلس", عبد الرحمن بن علقمة اللخمي[6] الذي كان يبحث دوماً عن بلج في الميدان ويسأل رجاله "أروني بلجاً لأقتلنه" إلى أن استطاع. لكن فارس الشام, الحصين بن الدجن العقيلي, انبرى لابن علقمة وراح يتعقبه ويقاتله في كل موضع من المعركة ثم شد عليه بخيل قنسرين وضربه عدة ضربات بالسيف "فقطع عاديته وشغله بنفسه" وأجبره أخيراً على الفرار[7].

---

1 ر. دوزي, تاريخ مسلمي إسبانيا, ج1, ص162.

2 ر. دوزي, تاريخ مسلمي إسبانيا, ج1, ص162.

3 أخبار مجموعه, ص43. وابن القوطية, تاريخ افتتاح الأندلس, ص82.

4 ر. دوزي, تاريخ مسلمي إسبانيا, ج1, ص162.

5 ابن القوطية, تاريخ افتتاح الأندلس, ص82.

6 ابن القوطية, تاريخ افتتاح الأندلس, ص82. بينما يقول ابن عذارى في البيان المغرب ج2, ص32 وصاحب أخبار مجموعه ص44 أن بلجاً توفي بعد أيام قلائل أي في شوال من سنة 124هـ, مما يجعل وفاة بلج قبل مقتل ابن قطن بشهر تقريباً, في ذي القعدة 124هـ, وهذا لا يصح. التحقيق لعمر فروخ في كتابه (العرب والإسلام, ص149)

7 ابن القوطية, تاريخ افتتاح الأندلس, ص82.

دخل الشاميون قرطبة ظافرين, فاختاروا من بينهم بعد مقتل بلج, ثعلبة بن سلامة العاملي[1]. وكان وكان اختيارهم مشفوعاً بعهد هشام بن عبد الملك وهو أن يتولى كلثوم قيادة جيش الشام, فإن قتل, فابن أخيه بلج, فإن أصيب, فثعلبة[2]. باشر ثعلبة عمله كوالٍ في شوال من سنة 124هـ/آب 742م. وكان يمانياً[3] عنيفاً لا مكان للرحمة أو الشفقة في قلبه[4]. ومع ذلك فقد حاول في بداية ولايته, بما أوتي من قوة قوة وحزم في الرأي, إحلال الوفاق بين الأطراف المتنازعة, ولما كان متعصباً جداً لليمانية, وقد أظهر تحيزاً لقبيلته, ذلك ما دفع بالبلديين, من العرب والأمازيغ, إلى التآمر ضده[5]. فارتطمت مساعي الوالي بإصرار الطرفين, الشامي والأندلسي, على مواصلة القتال. حشد المتحالفون قواتهم وزحفوا نحو قرطبة من جديد للاستيلاء عليها واستعادة الحكم من الشاميين, فخرج إليهم ثعلبة, والتقاهم في معركة طاحنة في ضواحي ماردة[6], هُزم فيها ثعلبة وأرغم على الانسحاب إلى ماردة حيث حوصر فيها, فأرسل إلى نائبه في في قرطبة يستنجده لإنقاذه بإرسال ما بقي لديه من قوات, غير أن ظروفاً طيبة تدخلت لصالحه فاستغلها أحسن استغلال, ذلك أنه انتهز فرصة انتشار خصومه البلديين وتفرقهم في الضواحي ابتهاجاً بالعيد دون حساب لأي طارئ يستدعي اتخاذ احتياطات ضرورية, فباغتهم الشاميون بهجوم مفاجئ وأوقعوا بهم هزيمة فادحة 125هـ/743م وقتلوا الكثيرين منهم واسترقوا الباقين بمن فيهم النساء والأطفال في سابقة لم يسمع بمثلها من قبل في الأندلس.

رجع ثعلبة بأسراه إلى قرطبة, وعلى مقربة منها عسكر بجيشه عند "المصارة" وعرض أسراه للبيع بالمناقصة إمعاناً في إهانتهم. كان المشهد مخزياً جداً ومؤلماً لجماعة من المعتدلين والمخلصين لبلدهم ممن يمثلون الطرفين[7], خافوا أن يستغل نصارى الشمال فرصة الخلاف بين المسلمين فيعملون على توسيع رقعة منطقتهم, فبعثوا إلى والي القيروان, حنظلة بن صفوان, وفداً من صلحاء أهل الأندلس يسألونه أن يرسل إليهم والياً ينقذهم من محنتهم[8], فسارع حنظلة وأرسل إليهم أحد أقربائه الكلبيين, أبا

---

1 ابن القوطية, تاريخ افتتاح الأندلس, ص82. وثعلبة بن (سلمة) العاملي في أخبار مجموعه, ص44. وثعلبة بن سلامة الجذامى في بغية الملتمس, ص217, رقم 606 وجذوة المقتبس ص163, رقم 348. وفي فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم,ص220-223.

2 ابن عذارى, البيان المغرب ج2, ص32-33.

3 ينسبه حسين مؤنس إلى القيسية في فجر الأندلس, ص403. مع أن قبيلته عاملة تعد في اليمن.

4 حسين مؤنس, فجر الأندلس, ص403.

5 H.coppe'e HISTORY OF THE CONQUEST OF SPAIN BY THE ARAB MOORS, VOL2, P.43.

6 ابن عذارى, البيان المغرب ج2, ص32.

7 أخبار مجموعه, ص44.

8 أخبار مجموعه, ص44.

الخطار الحسام بن ضرار الكلبي[1]. كان أبو الخطار على علاقة طيبة مع الخليفة هشام بن عبد الملك, منذ أن عمل في إفريقية حيث تولى مناصب عالية في عهد واليها بشر بن صفوان 103-109هـ/721-727م, لكن عبيدة بن عبد الرحمن السلمي, الذي حل مكان بشر 110هـ/728م, عزل أبا الخطار ومن معه من عمال بشر من أعمالهم وأخذهم بشدة, وعذبهم وأغرمهم, فراح أبو الخطار, وكان من أشراف قومه الكلبيين في الشام, وعلى قدر كبير من الفصاحة والبراعة, فكتب قصيدة من هذه الأبيات وأرسلها إلى الخليفة هشام يلومه ويعتب عليه:

أفأتم بني مروان قيساً دماءنا ... وفي الله إن لم تنصفوا حكمٌ عدلُ
كأنكم لم تشهدوا مَرجَ راهطٍ ... ولم تعلموا من كان ثم له الفضلُ
وقيناكم حرّ الوغى بصدورنا ... وليست لكم خيلٌ تعدّ ولا رجلُ
فلما رأيتم واقد الحرب قد خبا ... وطاب لكم منها المشارب والأكلُ
تغافلتم عنا كأن لم يكن لنا ... بلاءٌ وأنتم ما علمتُ لها فعلُ
فلا تجزعوا إن عضّت الحرب مرةً ... وزلت عن المرقاة بالقدم النعلَ
قد رثّ حبل الوصلِ وانقطع القوى ... ألا ربما يُلوي فينقطع الحبل

[2]

تسلم الأبرش الكلبي هذه القصيدة, فدخل بها على هشام وقرأها, فغضب هشام وشتم عبيدة وقال: (قبح الله ابن النصرانية) ثم عزله[3]. قال أبو الخطار هذه القصيدة ليذكر هشام بن عبد الملك بما قدمه الكلبيون من من تضحيات في مرج راهط, مع مروان بن الحكم ومن أجله, بينما وقفت القيسية, مع الضحاك بن قيس الفهري, في صف عبد الله بن الزبير.

لما وصل هذا الشعر إلى مسامع هشام بن عبد الملك, كتب إلى واليه على إفريقية, حنظلة بن صفوان, يأمره أن يولي أبا الخطار الأندلس[4].

ولاية أبي الخطار وتفريق جند الشام 125هـ/743م:

---

1 ابن عبد الحكم, فتوح مصر وأخبارها, ص221. ابن القوطية, تاريخ افتتاح الأندلس, ص83. أخبار مجموعه, ص45, انظر ترجمته في بغية الملتمس للضبي, ص237-238.

2 ابن القوطية, تاريخ افتتاح الأندلس, ص83. ابن عذارى, البيان المغرب, ج1, ص50, أورد منها ثلاثة أبيات فقط. ر.دوزي, تاريخ مسلمي إسبانيا, ج1, ص137. الضبي, بغية الملتمس, ص237. وهناك اختلاف طفيف في بعض مفردات هذه القصيدة بين مصدر وآخر, ويزداد الاختلاف كثيراً عند ابن الآبار في الحلة السيراء, ج1, ص64.

3 ابن الآبار, الحلة السيراء, ج1, ص66.

4 ابن الآبار, الحلة السيراء, ج1, ص65.

في الوقت الذي كان والي الأندلس, ثعلبة بن سلامة العاملي, يستعد لقتل ما بقي لديه من أسرى في يوم خميس من شهر رجب من سنة 125هـ/أيار 743م[1], وصل أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي, كما تسميه المصادر التاريخية, بتكليف من والي إفريقية, حنظلة بن صفوان, بجنده إلى المصارة[2], فأمر بإطلاق الأسرى, فسميّ جنده عسكر العافية[3]. ويصف هنري كوبيه هذا المشهد الدرامي في كتابه "تاريخ فتح العرب المسلمين لإسبانيا, ج2, ص43-44" كان يوم خميس حين خيّم ثعلبة خارج أسوار قرطبة, وحاصر القصر, وكان غرضه أن يتوج احتفاله بـ "يوم الشكر" thanks giving[4] بإعدام الأسرى. وبينما كان ثعلبة على وشك التنفيذ, لُمحت رايات تخفق من بعيد لموكب من الفرسان غير متوقع, تبين أنه موكب أبي الخطار, الأمير الجديد المعيّن من قبل والي إفريقية, وقد وصل في الوقت المناسب لإنقاذ عشرة آلاف من الأحياء.

جاء أبو الخطار إلى الأندلس كرجل مخلّص savior "ليرسخ النظام من جديد" فاستهل عمله بالعدل والمساواة بين الأحزاب لتسوية الخلافات بين بعض القبائل العربية, وأيضاً بين عدد من الزعماء العرب والأمازيغ, ورغم انتماء أبي الخطار إلى الحزبية الكلبية (اليمانية) فقد استطاع, في البدء, أن يسير سيراً حسناً بعد أن أطاعه الجميع, وقبل به القيسيون, ولا سيما قيسيو بلج, واستجابوا له. لكن أهل الأندلس, من البلديين والأمازيغ, وقد رحبوا به كغيرهم, كان لهم رأي آخر فقالوا له: "سمعنا وأطعنا, لكن لا محل فينا لهؤلاء الشاميين فيخرجوا عنا"[5]. ظهر أبو الخطار أنه رجل الضرورة الملحة, فقد عامل الجميع بشفقة وإحسان, وأظهر نفسه كقائد شجاع وحاكم حكيم ومتحرر من حزبيته السياسية.[6] كما ثبت لديه أن هناك بعض الأشخاص قوضوا الهدوء والسلام في الأندلس بإثارتهم الفتن والحروب الأهلية, ومن بينهم الوالي السابق ثعلبة بن سلامة العاملي, وجماعة من أصحابه الشاميين, وعثمان بن أبي نسعة الخثعمي, والوقاص بن عبد العزيز الكناني[7] وشعر أن بقاء هؤلاء في الأندلس مثار للشغب والنعرات الحزبية, ولذلك ولذلك فقد نفاهم من الأندلس, فجعلهم في سفينة حملتهم إلى إفريقية ومنها قفل ثعلبة إلى المشرق ولحق

---

1 تشير معظم المصادر إلى أن اليوم كان يوم جمعة, بينما يقول محققو كتاب دوزي, تاريخ مسلمي إسبانيا,ج1, في هامش الصفحة 164, أن اليوم كان يوم خميس حسب ما جاء في الأصل.

2 تقع المصارة إلى الشمال من قرطبة, ويذكر لافوانتي الكانترا في ترجمته للأخبار المجموعة أن موضعها كان موضع طاحونة زيت (المعصرة Almazara بالاسبانية)

3 أخبار مجموعه, ص46. البيان المغرب, ج2, ص34.

4 أو عيد الشكر, ويحتفل به في آخر خميس من شهر تشرين الثاني.

5 ابن القوطية, تاريخ افتتاح الأندلس, ص83. أخبار مجموعه, ص46.

6 H.coppe'e HISTORY OF THE CONQUEST OF SPAIN, VOL2, P.44.

7 ابن القوطية, تاريخ افتتاح الأندلس, ص84.

بمروان بن محمد وقتل معه[1]. أما عبد الرحمن ابن حبيب بن أبي عبيدة الذي كان يطمح كثيراً في ولاية الأندلس, مستعيناً بالشاميين من أجل ذلك, يئسَ من الولاية وتبخرت أحلامه بمقدم أبي الخطار الذي أحسّ بطموح عبد الرحمن وما ينجم عن بقائه في الأندلس من فتن وصراعات, فأمر بإخراجه, وجماعته من أهل الشام, فخافه عبد الرحمن فخرج من الأندلس متخفياً وركب البحر في طريقه إلى تونس[2] في ربيع الأول من سنة 126هـ, فنزلها في جمادى الأول من سنة 127هـ[3].

أدرك أبو الخطار بعد أن استقرأ آراء أهل بلد الأندلس, أن وجود الشاميين على مقربة من مركز الحكم في قرطبة يشكل تهديداً مباشراً لحكومته[4], وعدا ذلك فقد وجد أن إبعادهم عن العاصمة سيخفف كثيراً من الضغط عليها مع أن هذا التدبير ليس من مصلحته للحفاظ على التوازن العنصري, حيث أن العرب المشارقة أقل عدداً من سواهم من الشرائح الأخرى للسكان في الأندلس. ومع ذلك فقد رأى أبو الخطار أن ترحيلهم من قرطبة التي كثروا فيها ولم تعد قادرة على حملهم[5], أفضل بكثير من الإبقاء عليهم عليهم وإن أدى بقاؤهم إلى زيادة منعة الجالية العربية فيها[6]. فكان, من أجل ذلك, أن أبعدهم أبو الخطار عن العاصمة وفرقهم في جهات الأندلس, عملاً بنصيحة أرطباس بن غيطشة كما قيل[7], وأنزلهم, مع العرب البلديين, في نواحي على شبه منازلهم في الشام من حيث الظروف الطبيعية لكي يتأقلموا مع البيئة الجديدة.

أ- أنزل جند مصر في ثلاث نواحٍ في أكشونبة وباجة وفي تُدمير.

ب-وأنزل جند حمص في إشبيلية وكورة لبلة Niebla.

ج-وأنزل جند فلسطين في شذونة (وهي مقاطعة شريش) والجزيرة.

د- وأنزل جند الأردن في كورة ريّة (إلى الجنوب من قرطبة).

هـ-وأنزل جند دمشق في كورة إلبيرة Elvira (قريبة من غرناطة Granada)

و- وأنزل جند قنسرين في كورة جيان.

---

1 ابن حزم, الجمهرة, ص419. الحميدي, الجذوة, ص217, رقم 606.

2 ابن الآبار, الحلة السيراء, ج2, ص341.

3 ابن عذارى, البيان المغرب, ج1, ص60.

4 عمر فروخ, العرب والإسلام في الحوض الغربي من المتوسط, ص153.

5 ابن الآبار, الحلة السيراء, ج1, ص61.

6 محمد سهيل حقوش, تاريخ المسلمين في الأندلس, ص93.

7 حسين مؤنس, فجرالأندلس, ص287.

أقطع أبو الخطار جماعة أهل الشام أراضي من ممتلكات عجم الأندلس ومنحهم, أيضاً من أنعام هؤلاء, ما يستطيعون العيش به[1]. يقابل هذا العطاء ثلث ما يجبى من أموال أهل الذمة في النواحي التي يختارونها[2], ثم اشترط عليهم أن يسرعوا لتلبية طلبه كلما دعاهم إلى نزال أو مدافعة[3]. أما العرب البلديون البلديون من جنود الفتح فقد بقيت لديهم أملاكهم لم ينقص منها شيء, فلما رأى الشاميون أن مناطق سكناهم خصبة, أقاموا فيها, ففرحوا وانتعشوا[4]. حتى الآن, وأبو الخطار يدير شؤون الأندلس, ويسوس الناس على أفضل صورة من العدالة والتجرد من الحزبية, آملاً أن تنطوي صفحات من الصراع الدامي الذي مزق عرب الأندلس شر ممزق.

---

1 ابن عذارى, البيان المغرب, ج2, ص33.

2 لهم ثلث الجباية والثلثان الباقيان يذهبان إلى قرطبة, ابن الآبار, الحلة السيراء, ج1, ص61-63.

3 عمر فروخ, العرب والإسلام في الحوض الغربي من المتوسط, ص153.

4 ابن الآبار, الحلة السيراء, ج1, ص63.

3- الصراع بين الحزبيات:

كان أبو الخطار, من حيث أصله ونشأته أعرابياً من أهل الشام, يمانياً مفرطاً في انتمائه الحزبي, فهو ينتسب إلى قبيلة كلب اليمانية ومن أشرافها[1], فلما ولي الأندلس في رجب 125هـ/أيار 743م, دخله كرجل إنقاذ, وفعلاً كان كذلك ولكن إلى حين.

كان الاستقرار الذي حققه أبو الخطار, في بداية عهده, مرحلياً هشاً لم يدم طويلاً بل لفترة قصيرة, وما دام الوالي متحرراً من انتمائه الحزبي, وقريباً, بدرجة واحدة, من سائر القبائل والحزبيات, وكان من المعتقد أن تصلح أحوال الأندلس لو استمر أبو الخطار على سياسته العادلة والقائمة على التوازن بين الحزبيات السياسية, ولكن واقع المجتمع الأندلسي السياسي, المشحون بالمؤثرات العرقية والحزبيات القبلية المتناحرة, انعكست على مسيرته في الحكم[2], فسرعان ما تخلى, هو نفسه, عن عدالته, وانحرف عن الجادة وراح يتعصب, بدافع من طبعه, "لقومه اليمانية على القيسية" ثم انغمس في ذلك المستنقع حتى مالت عنه القلوب واجتمع عليه الأعداء من كل صوب[3].

التنازع القبلي:

عرفنا من قبل أن العصبية القبلية, أو ما نسميه الحزبية السياسية (القبلية), ظهرت في المشرق العربي ثم تنامى الشعور بها أيام الأمويين لما كان لهؤلاء من دور كبير في إثارتها كما مر بنا, وعندما دخل العرب الأندلس كانت صدورهم ملأى بمشاعر العداء والبغضاء التي أفرزتها الحزازات والصراعات الحزبية السابقة بين القبائل, وما أن انتهى الصراع بين البلديين والشاميين حتى انفجر صراع آخر بين العرب أنفسهم, ولكن على أساس قبلي. فمن هم عرب الأندلس, الأخوة اللدودون؟!

دخل العرب الأندلس على شكل سيل من الدفعات المتواصلة, أخذت اسم الطوالع, وأول هذه الطوالع طالعة موسى بن نصير, بينما لا يعد جيش طارق بن زياد من الطوالع لأن العرب فيه كانوا قلالاً جداً[4], أما جيش موسى فكانت غالبيته من العرب, فقد قُدّر عدده بعشرة آلاف حسب رواية الرازي في البيان المغرب[5], وثمانية عشر ألفاً من قريش والعرب, من قيسية ويمانية وموالي بني أمية, ومن دخل معه من الأمازيغ التابعين لموسى[6]. وقد أقامت هذه القبائل في النواحي الواقعة على طول الطريق الذي سلكه

---

1 الضبي, بغية الملتمس, ص237, رقم 686.

2 محمد سهيل طقوش, تاريخ المسلمين في الأندلس, ص93.

3 عمر فروخ, العرب والإسلام في الحوض الغربي من المتوسط, ص154.

4 حسين مؤنس, فجر الأندلس, ص400.

5 ابن عذارى, البيان المغرب, ج2, ص12.

6 محمد بن موسى الرازي, قطعة من الرسالة الشريفية ملحقة بتاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية, ص186. أخبار مجموعه, ص15.

موسى بدءاً من الجزيرة الخضراء ومروراً بشذونة وإشبيلية وماردة حتى سرقطة, حيث استقرّ في ناحيتها معظم اليمانيين, واستقر القيسيون, وكانوا أقلية, في نواحي الجنوب[1]. وكان في جيش موسى أيضاً أحد أصاغر الصحابة هو المنيذر الإفريقي وعدد من التابعين منهم الحنش الصنعاني [2].

ولما تولى الحُر بن عبد الرحمن الثقفي الأندلس, اصطحب معه أربعمائة من وجوه إفريقية ومعظمهم من اليمانية, فاستقروا على مقربة من الوالي المقيم في قرطبة بعد أن صارت مركزاً للحكم بدلاً من إشبيلية[3].

تأتي طالعة بلج في الدرجة الثانية, من حيث الأهمية, بعد طالعة موسى. وكان بلج قد دخل بجماعته عشرة الآلاف, ومعظمهم من قيسية أهل الشام, في أواخر سنة 123هـ/أيلول 741م وكان هؤلاء قد نجوا من مذبحة العرب في معركة بقدورة 123هـ/741م, ولاذوا بحصون سبتة حتى أشرفوا على الهلاك, ثم دخلوا الأندلس في ولاية ابن قطن الثانية. استقر العرب القدامى, من أهل الطوالع, في جميع نواحي الأندلس, واقتسموا أراضيه حيث أقامت كل جماعة من الفاتحين في الأرض التي اختارتها, وبعد حين من الإقامة, أخذت القبائل تقتتل, نتيجة احتكاكها بسبب التجاور في السكن على أرض محتلة, وتتنازع حول ملكيتها.

لم تكن ظروف أبي الخطار تجري كما يشتهي في إدارة الأندلس, ولا حتى عندما كان يعمل في إفريقية, لسوء سياسة ولاة بني أمية المتأثرين بسياسة دمشق, وبالمقابل, فإن أبا الخطار نفسه, لم يستطع ذات يوم, إخفاء ميوله الحزبية عندما قُتِل أحد أصدقائه اليمانيين, وهو سعد بن جوّاس, وكان عزيزاً عليه, فرثاه بأبيات من الشعر قال فيها[4]:

فليت ابن جوّاس يُخبّر أنني ... سعيت به سعيَ امرئ غير غافلِ
قتلت به تسعين تحسب أنهم ... جذوع نخيلٍ صُرِّعت بالمسايلِ
ولو كانت الموتى تُباعُ اشتريته ... بكفي وما استثنيت منه أناملي

فاتهم قيسيي الشام بقتله, وأخذ ينكبهم ويلحق بصفوفهم كثيراً من القتل. تحمل القيسيون ما أصابهم من أذى الوالي, لكن قلوبهم امتلأت غيظاً عليه, واضطرمت فيها نار قيسيتهم, فبدا واضحاً أن الأندلس مقبل على صراع حزبي عنيف عندما وقعت حادثة أخرى تكشّف حيالها تطرف الوالي في ميوله الحزبية واختبرت قدرته على عدم الانحياز, فأثبت أنه مسرف في تحزبه لليمانية, ويحمل صدراً محشواً بروح الثأر

---

1 حسين مؤنس, فجر الأندلس, ص400.

2 الضبي, بغية الملتمس, ص238, رقم 687.

3 ابن عذارى, البيان المغرب, ج2, 25.

4 الضبي, بغية الملتمس, ص237, رقم 686.

والانتقام, تجلى ذلك عندما نشب خلاف بين يماني من أقارب الوالي, ورجل من قبيلة كنانة, وعلى الرغم من أن الكناني أوضح ادعاءه بجلاء, فإن أبا الخطار لم يتردد في حكمه الجائر لصالح قريبه اليمني, فتظلم القيسي وشكا أمره إلى زعيم قيسيي الشام, بعد بلج, الصميل بن حاتم, فلبى هذا حاجة ملتمسه المظلوم وذهب وقابل أبا الخطار في قصر حكومته, فعاتبه ولامه, بلهجة جافة على موقفه المتحيز من القضية, فأغلظ له أبو الخطار, وأجابه بمثله, وشتمه وضربه فمالت عمامته على جانب رأسه, ثم أمر بطرده من القصر, فخرج الصميل غاضباً متوعداً, وعند الباب, استوقفه أحد الحجاب وسأله: "ما بال عمامتك مائلة يا أبا جوش", فأجاب الصميل: "إن كان لي قوم فسيقيمونها", وفي إجابته هذه دلالة واضحة على مبلغ الغضب والحنق على أبي الخطار.

كانت هذه الحادثة الشرارة الأولى لاندلاع الحرب القبلية بين القيسية واليمانية.

الصميل بن حاتم وعودة الحزب القيسي إلى الحكم:

اسمه الكامل: الصميل بن حاتم بن شَمِر بن ذي الجوش الكلابي, أبو جوشن[1] وهو قيسي من أهل الكوفة, وقد ارتبط تاريخه بواحدة من أكبر الحوادث المؤثرة في بعث الإسلام, إذ كان حفيداً لـ شمر أحد قتلة الحسين بن علي يوم كربلاء في 10 محرم من سنة 61هـ/680م. ولما قام المختار بن عبيد الله الثقفي في الكوفة ادعى أن وفادته إليها كانت للأخذ بثأر الحسين, فتمكن من شمر وقتله وهدم داره[2], فترك أولاده الكوفة وأتوا الجزيرة في شمالي العراق, ومنها رحلوا إلى قنسرين. التحق الصميل بجيش الشام الذي بعثه هشام بن عبد الملك بقيادة كلثوم بن عياض القشيري لقمع ثورة أمازيغ المغرب و بعد هزيمة العرب في بقدورة 123هـ, دخل الصميل في جند قنسرين وجاز معهم, في طالعة بلج, إلى الأندلس وهناك استطاع, بدهائه وسخائه, أن يتزعم قومه القيسية[3]. ورغم أن الصميل كان جاهلاً, أمياً لا يقرأ ولا يكتب, فإنه كان داهيةً حليماً يحسن الصبر على الإساءة, وذا مقدرة على قيادة الجماهير وتحيُّن الفرص للانتقام. وعلى العموم كان ذا شخصية غريبة جداً اجتمع فيها "مزيج عجيب من انفعالات متضاربة"[4]. ومع أنه كان مثالاً للأدب والكياسة, كما وصفه عبد الرحمن الداخل[5], فإنه لم يكن يحفل بشيء من أوامر الدين ونواهيه, فلم يمس الإيمان قلبه وكأنه من أعراب الجاهلية في تعاطيه شرب الخمر وعدم اكتراثه بالدين, ويذكر أنه مرّ يوماً بمعلم يُقرئ الصبيان قوله تعالى "وتلك الأيام نداولها بين الناس" فوقف الصميل

---

1 ابن الأبار, الحلّة السيراء, ص67.

2 ابن عذارى, البيان المغرب, ج2, ص34.

3 أخبار مجموعه, ص56. البيان المغرب, ج2, ص34.

4 ر. دوزي, تاريخ مسلمي إسبانيا, ج1, ص169.

5 أخبار مجموعه, ص94.

ليستفهم ما سمع فقال: "تداولها بين العرب" فقال له المعلم: "بين الناس" فردّ الصميل: "أهكذا نزلت الآية؟" قال له: "نعم" قال: "والله إني أرى هذا الأمر سيشركنا فيه العبيد والسقّال والأرذال" [1].

يهمنا من هذا الاسهاب ليس التعرف على شخصية الصميل وطباعه فقط بل يهمنا أكثر أن نعرف أن كثيرين من العرب الأوائل الذين شاركوا في فتح الأندلس وقاتلوا, بضراوة, في حروبه القبلية, كانوا من هذه النوعية, وهذا ما يفسر لنا جنوحهم إلى حروب حزبية, بين قيسية ويمانية, ليس منها إلا التشتت والدمار[2].

قلنا أن الصميل أُخرج من حضرة أبي الخطار غاضباً, فأتى منزله, وفي تلك الليلة, استدعى كبار رجال القيسية في حزبه وأخبرهم سراً, بلهجة ملتهبة, عن الإهانة التي تلقاها من الوالي, وأخذ يستشيرهم في الأمر دون أن يورطهم في حرب قبلية, فهو يعرف أن كلبية أبي الخطار أكثر بكثير من قيسيته فأجابوه: "أخبرنا بما تريد, فإن رأينا تبع لك" فقال لهم: "فوالله ما أحب أن أعرضكم للقضاعية واليمانية, ... بل ندعو لخماً وجذاماً[3] وندخل منهم رجلاً نقدمه يكون له الاسم ولنا الحظ[4].

لم تكن القيسية, قوم الصميل, حينذاك, على وفاق تام, وكانوا أقلية في الأندلس, فتفتق ذهن الصميل عن حل يوحد فيه صفوفهم تحت لوائه, ولذلك عمل على استرضاء أبي عطاء, زعيم غطفان, إحدى قبائل قيس عيلان[5], في استجة Ecija, وكان بين الاثنين جفاء وبرودة في العلاقات, وعلى الرغم من أن وجوه القيسية حذروه بألا يأتي أبا عطاء الذي كان يحسد الصميل على نفوذه القوي بين القيسية "ولا تأتِ أبا عطاء القيسي فإنه لا يواليك على أمر ينفعك" لكن الصميل, وبعد أن أصغى إلى ناصحيه[6], قصد استجة حيث استرضى أبا عطاء وضمه إلى جانبه, فأضاف إلى حزبه جناحاً كبيراً من أجنحة القيسية. مضى الصميل بعد ذلك إلى مورور حيث يقيم يمانيون من بني جذام ورئيسهم ثُوابة بن سلامة الجذامي أو العاملي[7], زعيم جند فلسطين, وهو أفضل من يمثل رأي الصميل, ويلتقي مع خطته بأن له الاسم فقط في السلطة الفعلية, فعرض عليه إمارة الأندلس مكان أبي الخطار ووعده بها إذا انضم إليه

---

1 ابن القوطية, تاريخ افتتاح الأندلس, ص95-96.

2 حسين مؤنس, فجر الأندلس, ص290.

3 تجاذب نسابو مضر واليمن هاتين القبيلتين وهما يمانيتان كما جاء في كتاب المعارف لابن قتيبة, الجزء الأول, ص128 ((أن لخم وجذام)) هما ولدي عدي بن عمرو بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان

4 أخبار مجموعه, ص56-57. البيان المغرب, ج2, ص34-35.

5 ابن قتيبة, كتاب المعارف, ج1, ص95.

6 ر. دوزي, تاريخ مسلمي اسبانيا ج2 , ص 171 .

7 انظر ترجمته في جمهرة ابن حزم, ص 419.

فوافق[1]. وكان أبو الخطار قد استعمل ثُوابة على إشبيلية ثم عزله عنها فاغتاظ ثوابة ومال عن أبي الخطار وأصبح جاهزاً الآن للتآمر عليه, ولو أنه يمني مثله, بسبب هذه الإهانة[2], ثم انضم, مع قومه وأقاربهم من لخم, إلى حلف الصميل الذي اخترق صفوف اليمانية وأضاف منهم إلى حزبه جناحاً عريضاً من أجنحة اليمن هو لخم وجذام, وبذلك يكون الصميل قد جمع, بذكائه ونشاطه, تحالفاً قوياً من قبائل قيس ولخم وجذام وغطفان[3]. ونودي بثوابة زعيماً للتحالف في ولاية شذونة وذلك في رجب من سنة127هـ سنة127هـ / نيسان 745م.

نشوب الحزبية:

ونقصد هنا ذلك النزاع القبلي الذي تمتد جذوره إلى المشرق العربي حيث تولّد هناك بين قيس ويمن, ثم رحل إلى الأندلس مع القبائل العربية على أمل تصفية حساباتها على الأرض الجديدة عند سنوح الفرص. مرّ بنا , حتى الآن, نوعان من الصراعات, نشب الأول منهما بين الفاتحين على أساس عنصري, أي بين العرب والأمازيغ, ونشب الثاني بين العرب القدامى (البلديين) والعرب الجدد (الشاميين), أما الصراع الثالث والذي نحن بصدده الآن فقد قام بين العرب أيضاً ولكن على أساس قبلي, بين العرب القيسيين والعرب اليمانيين, أو بين عرب الشمال وعرب الجنوب.

كان هذا النزاع يخبو أحياناً ويستيقظ أحياناً أخرى بحسب ظروف الأندلس السياسية وحسب موقف الوالي من الحزبيات وتعصبه لإحداها أو تجرده منها. ما أن نزل بلج وجماعته القيسية أرض الأندلس حتى انفجر الصراع بين الحزبين القيسي واليمني, لأن القيسية – الأندلسية, وبما أنها أقلية, سارعت للانضمام, بدافع الحزبية القبلية, إلى القيسية الشامية الوافدة, فارتفعت معنويات القيسيين بازدياد عددهم ونشب الصراع العربي– العربي بين قيسيي الأندلس ويمانيته, ثم اشتدت ضراوته فبلغت أقصاها خلال ولاية ثلاثة من أكثر الولاة تطرفاً وعنفاً: عبد الملك بن قطن الفهري (حجازي) وكل من الشاميين بَلْج بن بشر القشيري (قيسي) وثعلبة بن سلامة العاملي (يماني) في صفر من سنة 123هـ/ك2 741م إلى رجب من سنة 125هـ/أيار 743م.

---

1 محمد سهيل طقوش , تاريخ المسلمين في الأندلس , ص 95.

2 H.COPPEE – STORY OF THE CONQUEST OF SPAIN VOL.2 P.48

عمر فروخ , العرب والإسلام في الحوض الشرقي من المتوسط, ص 56.

3 حسين مؤنس , فجر الأندلس , ص290

عندما اخترق الصميل صفوف اليمانية بضمه لخماً وجذاماً إلى جانبه, لم يكن قد حرم أبا الخطار من معونة هذه الكتلة اليمانية فحسب, بل جعل عزيمة البقية الباقية من اليمانية تفتر في اندفاعها للقتال في صف أبي الخطار ضد أبناء قومها, ما دامت الولاية ستنتقل من يماني إلى يماني آخر. كان الصميل قد اختار لزعامة حزبه رجلاً يمانياً من جذام هو ثوابة بن سلامة الجذامي بينما الصميل نفسه قيسي, فلقي هذا الاختيار قبولاً لدى القيسية المنضوية تحت رايته, فنستنتج من ذلك أن الحزبية القبلية لم تعد الأساس في تحريك مشاعر الانتماء إلى هذا الصف أو ذاك, بل حزبية المصلحة السياسية الخاصة[1] أي أن المصلحة الخاصة تقتضي التوجّه والانتماء لدى الأفراد والجماعات.

ما أن ترامى خبر التحالف إلى مسامع أبي الخطار حتى زحف بمن عنده من القوات لقتال الثوار, وخرج الصميل أيضاً, وعلى مقدمة جيشه ثوابة بن سلامة, فالتقى الجيشان في موقعة وادي لكّة, بناحية نهر شذونة[2], دخل أبو الخطار بعدد غير كافٍ من المقاتلة وزاد في موقفه سوءاً أن أتباعه من اليمانية كفوا عن متابعة القتال لأمر تم الاتفاق عليه مع لخم وجذام ولاذوا بالفرار, فرأى أبو الخطار نفسه وحيداً في ساحة القتال وحوله الكثير من رجاله قتلى, فآثر الهرب إلا أن أعداءه لاحقوه وأسروه. فاقتاده ثوابة إلى قرطبة فدخل قصرها والياً في رجب من سنة 127هـ/نيسان 745م[3], وأودع أبا الخطار في السجن. وهكذا أشعل أبو الخطار والصميل, الأول بتعصبه وسوء سياسته, والثاني بجهله وبداوته, نيران الحزبيات مرة أخرى. وتكتل أهل الأندلس في حزبين متعاديين نشبت بينهما حروب دامية لم ينقذ البلاد المخربة منها, ويوحد أحزابها, ولفترة قصيرة تحت راية سلطان قرطبة, إلا قدوم عبد الرحمن الأموي (الداخل)[4] .

لم يكن الحزبان الجديدان يتكونان, كما كانت الحال في السابق, أحدهما من تجمع القبائل اليمانية والثاني من تجمع القيسية, ولا من البلديين في جانب والشاميين في جانب آخر, بل تكونا من مجموعتين من القبائل جمعت بين أفراد كل منهما عوامل المصلحة المشتركة بقصد المنفعة والبقاء. وبحسب هذه المصلحة انحازت القبائل, بغض النظر عن انتمائها القبلي, بعضها إلى جانب أبي الخطار, وبعضها الآخر إلى جانب الصميل, فصار هناك حزب لأبي الخطار وحزب آخر للصميل وفي كل منهما عناصر

---

1 حسين مؤنس – فجر الأندلس – ص406

2 أخبار مجموعة –ص57

3 ابن عذارى, البيان المغرب, ج2, ص35.

4 STANLEY LANE-POOLE, THE STORY OF THE MOORS IN SPAIN, P.57.

يمانية وقيسية مع أغلبية يمانية في حزب أبي الخطار وأغلبية قيسية في حزب الصميل, وقد تصور الدكتور حسين مؤنس تكوين الحزبين على النحو التالي[1]:

حزب أبي الخطار	حزب الصميل
طوائف من: جذام (يمن)	معظم قبائل: لخم (يمن)
فهر (عدنان)	جذام (يمن)
قضاعة	قيس (عدنان)
جند حمص (خليط)	غطفان (قيس)

وليس أدل على أن الحزبية القبلية أخذت تضعف وتتفسخ لتحل محلها حزبية سياسية غلبت على أهل الأندلس في الفترة الأخيرة من عصر الولاة, من أن الذين تطوعوا في تخليص أبي الخطار من معتقله لم يكونوا جماعته اليمانية, بل كانوا من قضاعة, وهي قبيلة مشكوك في نسبها, فهي عند بعض النسابين قحطانية[2] وعند البعض الآخر عدنانية, فكان للتيارات السياسية دور بارز في قضية نسب هذه القبيلة لضخامتها والتصاقها بأحداث العصر الأموي كما مر بنا سابقاً. فقام عبد الرحمن بن نُعيم, أحد زعماء قضاعة, واصطحب معه أربعين فارساً ومائتي رجل من جماعته واختطفوا أبا الخطار ليلاً من محبسه في قرطبة, وفروا به إلى نواحي إشبيلية حيث قبائل اليمانية من كلب[3] في سنة 128هـ/746م.

عندما استعاد أبو الخطار حريته التأم شمل اليمانية في صفه, فاجتمع لديه منهم جيش ضخم سار به نحو قرطبة, فخرج للقائه ثوابة والصميل, وتقابل الجيشان المتخاصمان وجهاً لوجه, وعندما أقبل الليل أخذ قيسيو ثوابة ينادون اليمانيين في جيش أبي الخطار: "لماذا تقاتلونا وقد جعلنا الأمير منكم" ويقصدون بذلك ثوابة اليمني, فانفض جيش أبي الخطار من حوله وانهزم أبو الخطار وبقي ثوابة والياً على الأندلس بالاسم, والصميل بالفعل, حتى وفاته في المحرم من سنة 129هـ/أيلول 746م[4]. وبعد وفاة ثوابة عمت الفوضى أنحاء البلاد, وتنازع على ولاية الأندلس عدد من الطامحين وكان أول هؤلاء أبو

---

1 حسين مؤنس, فجر الأندلس, ص405.

2 ابن قتيبة, كتاب المعارف, ج1, ص132.

3 أخبار مجموعه, ص58.

4 أخبار مجموعه, ص54.

الخطار الذي طلب الولاية لنفسه بحجة أن خصومه القيسيين خلعوه منها, فنافسه عليها كل من عمرو بن ثوابة– ابن الوالي المتوفي[1]– ويحيى بن حُريث, شيخ جذام, واشتد الخلاف بين الأطراف وتنازعوا فبقيت الأندلس أربعة أشهر بدون والٍ إلى أن اجتمع رأي أهل الأندلس على عبد الرحمن بن كثير اللخمي, فنصبوه عليهم للنظر في الأحكام خاصة[2].

اختلف أهل الأندلس حول إيجاد والي للأندلس يقبل به جميع الأطراف, فاقترح الصميل أن يتعاقب على الأندلس والٍ يكون عاماً من القيسيين وعاماً من اليمانيين فرضي بذلك الجميع[3], لكنهم اختلفوا حول من سيكون أول والٍ, أهو قيسي أم يماني, ولما كان الصميل بارعاً في إيجاد حلول لمثل هذه الأزمات, فقد ابتكر حلاً مستوحى مما كان يحدث سابقاً في ولايات المشرق, حيث كانت القبائل المتنافسة تلجأ, حسماً للنزاع, إلى تعيين أمير قرشي باعتباره فوق كل نزاع حزبي[4] .

الصميل يولّي يوسف بن عبد الرحمن الفهري على الأندلس:

وقع اختيار الصميل على يوسف بن عبد الرحمن الفهري إذ كانت تتوفر في شخصه كل ما يرضي أهل الأندلس وما يحقق مطامح الصميل. فهو من أحفاد عقبة بن نافع الفهري ومن قريش الظواهر[5] وهذا ما يضفي عليه وجاهةً واحتراماً بين الناس, ثم أنه قيسي وهذا يساير هوى الصميل, القيسي, في إبعاد اليمانيين عن الحكم, ومن ناحية أخرى, كان يوسف الفهري شخصاً مسناً ينقاد إليه الناس ممن يؤمنون بحكمة الكهول, وخاصة في الأزمات, أكثر من الأحداث[6].

تولى يوسف الفهري الأندلس في جمادى الأول من سنة 129هـ/ك2 747م[7], وكان قبل إجماع الرأي عليه, معتزلاً للناس في البادية مع جماعة من أهل الديانة والخير[8], وفوق كل هذا, كان يوسف الفهري رجلاً ليناً جداً وسهل القياد يستطيع الصميل أن يحكم الأندلس من ورائه جرياً على نفس الخطة التي اتبعها حين اختار ثوابة بن سلامة الجذامي ليتولى زعامة الحلف القيسي–اليماني ضد أبي الخطار,

---

1 جاء في أخبار مجموعه, ص57, ثوابة بن عمرو.

2 ابن عذارى, البيان المغرب, ج2, ص35

3 عمر فروخ, العرب والإسلام في الحوض الغربي من المتوسط, ص160.

4 أحمد بدر, دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها, ص57.

5 ابن الأبار, الحلة السيراء, ج2, ص347, عن ابن حزم.

6 ر. دوزي, تاريخ مسلمي إسبانيا, ج1, ص174.

7 ابن الأبار, الحلة السيراء, ج2, ص348.

8 ابن عذارى, البيان المغرب, ج2, ص37.

لهذا كله سارع الصميل إلى تأكيد أمر يوسف وتثبيته لكي يقطع طريق الولاية على ابن حُريث, وكان هذا يكره أهل الشام ويقول: "لو أن دماء أهل الشام جمعت لي في قدح لشربتها"[1]. فما أن استقر الأمر ليوسف حتى سعى الصميل إلى ترضية ابن حُريث بتسميته عاملاً على ريُه.

هكذا كانت نوايا الصميل وهكذا كان في باطنه لدى اختياره والي الأندلس, بأن يكون "للوالي الاسم وللصميل الرسم"[2], أما في الظاهر فلم يكن يسعى لنفسه, فأمنه الناس ووثقت به الحزبيات لدرجة أنه ما كان ليجد صعوبة في إقناع مناوئ أو إرضاء خصم, فقد أقنع عمرو بن ثوابة, المطالب بولاية الأندلس بعد أبيه ثوابة, بالتخلي عن مطلبه لأن منصب الولاية ليس وراثياً, وكان ابن حُريث راضياً مرضياً عندما ولاه الصميل كورة ريّه على أن تترك له طعمة[3] فأزيلت منافسته من طريق الفهري.

بعد تعيين الفهري, سارت أمور الصميل على ما يرام, وعندها أماط اللثام عن حقيقة أهدافه وأخذت نواياه تتكشف شيئاً فشيئاً, فأشار على يوسف باعتماد سياسة قيسية محضة وإبعاد اليمانية من مراكزهم في الحكم, وكان أول هؤلاء يحيى بن حريث, خصم الصميل اللدود ومنازعه على السلطة, فأقصاه يوسف عن كورة ريّه قبل أن تترسخ أقدامه فيها, وهذا خطأ كبير من الصميل أغضب ابن حريث, فنفر وأتباعه من لخم وهجروا حزب الصميل وانضموا إلى حزب أبي الخطار, وكان يقيم مغموراً في نواحي إشبيلية منذ أن استنقذته قُضاعة من سجن ثوابة بن سلامة الجذامي في قرطبة, وبعد حين قريب, لحقت بلخم بقية القبائل اليمانية في حزب الصميل وشايعت, هي الأخرى, أبا الخطار حتى لم يبقَ في حزب الصميل إلا قيس وحدها. وهكذا دخلت قيس ويمن في صراع قبلي مرة أخرى: القيسيون (من مضر وربيعة) في جانب, واليمانيون (من لخم وحمير ومذحج وقضاعة)[4] في جانب, ثم انضم البلديون, ومعظمهم يمانيون, إلى صف أبي الخطار[5]. الغريب في الأمر أن أهل القبائل على اختلاف انتماءاتهم, الذين يعيشون متجاورين في صفاء وحسن جوار, كان يودع أحدهم الآخر ثم يخرج كل منهم إلى ساحة القتال لينخرط في صفوف إحدى الجبهتين دونما دافع يشده إلى طلب النزال, مما يدل على أن العرب ما

---

1 أخبار مجموعه, ص60.

2 ابن عذارى, البيان المغرب, ج2, ص36.

3 ابن عذارى, البيان المغرب, ج2, ص36.

4 أخبار مجموعه, ص58.

5 حسين مؤنس, فجر الأندس, ص407.

زالوا, رغم إسلامهم, من أهل البادية لم تغيرهم الظروف ولم يغيروا ما في أنفسهم, وظلوا كذلك حتى خروجهم المحزن من الأندلس.

بعد مرور عام على ولاية يوسف الفهري, جاءت اليمانية تطلب تولي الحكم في العام الجديد, كما اتفقت عليه الأطراف (يكون الوالي عاماً من القيسية وعاماً من اليمانية), ولما كان الفهري يكره الفتنة آثر أن يترك الحكم خوفاً من وقوع ثورة تعمل على تفعيل العداوات بين الحزبيات[1] , فأبى الصميل ذلك وتولى قيادة المعركة ورتب جنوده وتقدم بهم إلى شَقُنده, – قبالة قرطبة – على الضفة اليسرى لنهر الوادي الكبير, وإلى جانبه يوسف الفهري[2], حيث التقى جيش ابن حريث وأبي الخطار في أوائل سنة 130هـ[3] أواخر 747م.

كانت المعركة شديدة وضارية, وقد وُصفت بأنها الأعنف بعد حرب الجمل وصفين[4], انهزم فيها اليمانية وهرب ابن حريث وأبو الخطار ولكن أدركهما العدو وأخذهما أسيرين فقتلهما الصميل ثم بدأ بإعدام باقي الأسرى, فلما بلغ عدد ضحاياه سبعين اعترضه قاسم بن فلان أبو عطاء بن حمد المري وقال له: "يا أبا جوشن أغمد سيفك", فلم يستجب, فناداه أبو العطاء ثانية: "يا أعرابي, والله إن تقتلنا إلا بعداوة صفين لتكفّن أو لأدعونّ بدعوة شامية"[5]. ومما هو لصالح الأندلس وأهلها أن الدعوة إلى الحرب كانت وقفاً على عرب جنوب الأندلس فقط, بينما بقي أهل باقي الجهات الأخرى خارج إطارها فلم تمسهم, إنما الذي مسّ الأندلسيين وأصابهم في الصميم هو المجاعة التي اجتاحت الأندلس بين العامين 131–136هـ/748–753م وشملت جميع النواحي باستثناء إقليم سرقسطة حيث كان تأثيرها فيه قليلاً لخصوبته[6] , فهاجر أمازيغ الشمال جماعات كبيرة عائدة إلى مواطنها في إفريقية[7], وكانت الحروب المتوالية التي دارت على الأراضي الزراعية الخصبة, في مناطق الجنوب والجنوب الشرقي قد خربت

---

1 ابن عذارى, البيان المغرب, ج2, ص36.

2 أخبار مجموعه, ص59.

3 أخبار مجموعه, ص61.

4 ابن عذارى, البيان المغرب, ج2, ص36. جرت موقعة الجمل في 10 جمادى الآخر من سنة 36هـ بين جيش علي بن أبي طالب ومجموعة المعارضة وعلى رأسهم عائشة أم المؤمنين, وجرت موقعة صفين في أول صفر من سنة 37هـ بين جيش علي بن أبي طالب وجيش معاوية بن أبي سفيان.

5 أخبار مجموعه, ص60–61.

6 حسين مؤنس, فجر الأندلس, ص393.

7 أخبار مجموعه, ص62.

الحقول وأتت على محاصيلها, فاستغل نصارى الشمال هذه الفرصة وأخذوا ينحدرون نحو الجنوب, فاحتلوا المناطق الواقعة بين نهري دويره وتاجه[1], فيقول صاحب أخبار مجموعة أن عدد سكان الأندلس تناقص وكاد الأسبان يتغلبون عليهم لولا تفشي الجوع فيما بينهم[2]. وهذا يؤكد انحدار نصارى الشمال نحو الجنوب, بحثاً عن لقمة العيش, ولا ينفيه لأن المجاعة بسبب الجفاف والقحط, كانت السبب الرئيس في هجرات الشعوب على مر التاريخ, وهذا يدعونا إلى ملاحظة أن حدود الأندلس الإسلامي الشمالية تراجعت نحو الجنوب, لخلو تلك المناطق من سكانها الأمازيغ بسبب هجرتهم منها, ففقد الأندلس من مساحته مقداراً كبيراً تكبد العرب لاحتلاله كثيراً من الجهد والتضحيات.

بعد ذلك استقرت الأحوال للقيسية الحاكمة, وساعد القحط وانصراف الناس لتأمين سبل عيشهم على انصياعهم لهم, فبقي أن نتعرف كيف آلت إليه العلاقة بين الفهري والصميل: لقد ضاق الفهري ذرعاً بالصميل المتسلط, الذي كان يسيّر شؤون الحكم من وراء الفهري, ويستبد دونه بتصريف الأمور, فأراد الفهري أن يتخلص منه بإبعاده عن قرطبة, فعرض عليه حكومة إقليم سرقسطة, فوافق الصميل لأسباب اختلف حولها المؤرخون, فقيل أنه قبلها لأنها كانت أقل تأثراً بالقحط من غيرها, وقيل بل أنه قبلها لأن اليمانية كثرّ فيها مما يتيح له فرصة طيبة للتنكيل بهم[3].

حالة الدولة الأموية في المشرق:

نشأت الدولة الأموية منذ تأسيسها على يد معاوية بن أبي سفيان[4] 41هـ/661م و حتى نهاية عصر هشام بن عبد الملك 125هـ/743م قوية راسخة البنيان وطيدة الأركان. وفجأة تداعى ذلك البنيان الشامخ و كأنه تلقى ضربة قاضية أطاحت بالعرش الأموي فماذا حدث؟ وكيف كان ذلك الانهيار السريع؟ تداخلت أسباب عديدة لسنا بصدد الوقوف على كل منها, عملت معاً على إضعاف الدولة الأموية وقادت, بالتالي إلى تصدع أعمدتها ثم سقوطها. بدأ الضعف يدب في جسم الدولة منذ أن أخل خلفاؤها بأسباب وجودها[5] أي منذ أن أخذوا يتوارثون الخلافة بقوة السيف و شراء الضمائر بالمال. حدث هذا عندما هدم

---

1 حسين مؤنس, فجر الأندلس, ص296.

2 أخبار مجموعه, ص62.

3 أحمد بدر, دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها, ص58.

4 في الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري (أحمد بن داود), ط. بيروت, ص 218. بايع الحسن بن علي معاوية بن أبي سفيان على الخلافة وفق عدة شروط.

5 يوسف العش, الدولة الاموية, ص 353.

معاوية قاعدة الشورى وأخذ البيعة لابنه يزيد, وحدث مثل ذلك حين أجزل يزيد الثالث العطاء والهبات لأنصاره اليمانية للوصول إلى الخلافة[1], فبويع له في جمادى الآخر, رجب من سنة 126هـ/نيسان 744م[2].

إن الذي أنهك الدولة الأموية هو صراع الحزبيات السياسية, هذا الصراع الذي نشب في المشرق العربي بين عرب الشمال وعرب الجنوب ثم انتقل إلى الأندلس واستشرى هناك وقد لعب الأمويون دوراً كبيراً في إذكائه. لقد عرفنا من سيرة خلفاء بني أمية اعتماد كل منهم باستثناء عمر بن عبد العزيز على حزبية قبلية خاصة به, فإذا وقف الحاكم إلى جانب القيسية ملأ وظائف الدولة بأفرادها كما جرى في عهد الحجاج القيسي حيث قرب جماعته القيسيين, وحذا حذوه يزيد بن عبد الملك فحابى القيسية لان زوجته, قريبة الحجاج, كانت منهم. وبالعكس, إذا قرب الخليفة اليمانية استبدت بالحكم وانتقمت من القيسية. حدث مثل ذلك عندما استخلف سليمان بن عبد الملك وكان يكره الحجاج فصب جام غضبه على آل الحجاج وعماله فأقصاهم من وظائفهم وسجن بعضهم وقتل بعضهم الآخر. على هذه الصورة ابتليت دولة بني أمية بصراع الحزبيات السياسية الذي رافق جميع مراحل تاريخها فأضعفها وقادها إلى نهايتها.

في ربيع الآخر من سنة 125هـ/شباط 743م توفي هشام بن عبد الملك في الرصافة فخلفه ابن أخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك[3], وكان من ظرفاء بني أمية: أديباً وشاعراً مجيداً امتاز شعره باللين والنعومة, والرقة العذبة[4]. ومن المدمنين على اللهو وشرب الخمر ومن أصحاب الخلاعة والمجون. وقد أفضت إليه الخلافة بناء على وصية أبيه يزيد بن عبد الملك الذي عهد فيها بالخلافة إلى أخيه هشام ومن بعده يكون ابنه الوليد بن يزيد وارث العرش. على أن الخلافة لم تغير شيئا في أحوال الوليد بل زادته انغماسا في الملذات وركوب المعاصي, فأهمل شؤون الحكم ولم يعد يلتفت إلى تسيير أمور الدولة مما اغضب عليه أهله فاجمعوا على قتله فقتلوه في أواخر جمادى الآخر من سنة 126هـ/نيسان 744م[5]. كان مقتل الوليد الثاني بداية النهاية في مشوار الدولة الأموية وسقوطها على يد العباسيين, وهو حادث خطير جداً لأنه جرى بتخطيط وتصميم الأمويين أنفسهم, وتبدو تلك الخطورة في أن الوليد الثاني رغم

---

1 أبو حنيفة الدينوري, الاخبار الطوال, ص350.

2 شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري, نهاية الأرب في فنون الأدب, ط. القاهرة 1976, ج2, ص 508.

3 النويري, نهاية الأدب في فنون الأدب ج2, ص 460 -463.

4 حنا الفاخوري, تاريخ الأدب العربي, ص 264.

5 المسعودي, التنبيه والإشراف, ج2, ص554. النويري, نهاية الأبواب في فنون الأدب, ج2, ص473.

سيرته القبيحة كان قد تولى الخلافة بسند شرعي وله في ذمة الناس عهد وبيعة فكان مقتله أمراً مخيفا فتح الباب على مصراعيه أمام أحداث من هذا النوع وراح يهدد نظام حكم بني أميه.

بعد مقتل الوليد الثاني اضطربت أمور الدولة الأموية وهاجت الفتنة[1]. فلقد اعتمد الحكم على فئات متباينة في أهدافها وطموحاتها فكثرت الفتن وعمت الفوضى جميع أنحاء الدولة وساد الفساد في إداراتها[2], ثم انحدرت أحوال الدولة إلى أسوا من ذلك في عهد يزيد الثالث بن الوليد بن عبد الملك الذي تلطخت يداه بدم الوليد الثاني وكان قد وعد الناس باقتفائه طريق العدل في الحكم, لكنه اخلف بوعده فاعتمد على اليمانية وبخاصة بني كلب وتعصب على القيسية فتمرد عليه نصر بن سيار, والي خرسان, ومروان بن محمد, والي الجزيرة وأرمينيا.

توفي يزيد الثالث بعد ستة أشهر من خلافته في ذي الحجة من سنة 126هـ/7تشرين الأول 744 م[3], فخلفه أخوه إبراهيم بن الوليد وكان ضعيفا جدا لم ينل مبايعة جميع الناس له, إلا أن جماعة القدرية[4] ساعدته على توليه الخلافة فبقي فيها حتى جاء مروان بن محمد فخلعه ونبش قبر أخيه يزيد الثالث. وقيل أن إبراهيم خلع نفسه بعد شهر ونصف من ولايته[5]. استولى مروان بن محمد على الحكم في صفر من سنة127هـ/كانون أول 744م[6]. وهنا تدخل الدولة الأموية في النزع الأخير من حياتها.

يعد مروان بن محمد من خلفاء بني أمية العظام في المقدرة والدهاء, ومن كبار قادتهم, وكان مهذباً وذا رأي سديد[7], وشجاعاً ذا مكر ودهاء[8]. وقد واجه منذ أن بويع بالخلافة مصاعب جمة فجابهها جميعاً بقوة وحزم, ويقول ابن الطقطقي, في المصدر السابق: "وكانت أيامه أيام فتن وهرج ومرج لما اضطرب حبل بني أمية, ثارت الفتن بين الناس, واختلفت كلمتهم, فكلٌ يرى رأياً ويذهب مذهباً". فعندما

---

1 النويري, نهاية الأدب في فنون الأدب, ج2, ص488.

2 زعرور, احمد, تاريخ العصر الأموي السياسي والحضاري, ص122-123.

3 ابن قتيبة الدينوري, كتاب المعارف, ج2, ص361. النويري, نهاية الأرب في فنون الأدب, ج2, ص504.

4 حركة عقلية داخلية تقول إن للإنسان قدرة على خلق أعماله. حنا الفاخوري, خليل الجر, تاريخ الفلسفة العربية, ط. بيروت 1957, ج1, ص183.

5 ابن قتيبة, المعارف, ج2, ص346.

6 المسعودي, التنبيه والإشراف, ج2, ص556. النويري, نهاية الأرب, ج2, ص508.

7 أبو حنيفة الدينوري, الأخبار, الطوال, ص350.

8 محمد بن علي بن طباطبا (ابن الطقطقي), الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية, ط. بيروت 1996, ص138.

نقل مروان مركز الخلافة من دمشق, حاضرة أجداده, إلى حران (في شمال ما بين النهرين) حيث يكثر أنصاره من القيسية, انصرفت عنه قلوب أهل الشام, وأسخط عليه اليمانية فثاروا عليه فأخضعهم, ثم أخضع من التفّ منهم حول سليمان بن هشام بن عبد الملك وبايعوه سنة 127هـ بقيادة الضّحاك بن قيس الشيباني فهزمهم أكثر من مرة وقتل قائدهم الضحاك في أواخر سنة 129هـ/747م.

تغلب مروان على جميع هذه الفتن وقضى عليها وكانت كلها قريبة من دار ملكه, وهذا ما شغله عن الولايات النائية كإفريقية والأندلس, فاضطربت فيها الأحوال وهاجت الحزبيات السياسية بين القيسية واليمانية كما ذكرنا من قبل, فأخذت سلطة الأمويين تنحسر عن تلك الأقاليم البعيدة.

إن الذي قدمناه حتى الآن ما هو إلا تمهيد لما آلت إليه دولة مروان بن محمد التي عاصرت أواخر عصر الولاية في الأندلس, وهي دولة مترامية الأطراف تمتد على ثلاث قارات في كل منها ما يكفيه ويزيد من الفتن والاضطرابات, في كل من الشام والعراق وخراسان وأرض الروم ومصر وإفريقية والأندلس. فكيف لمروان أن يستطيع إخماد كل تلك الفتن؟ لقد استطاع إخماد القريبة منها أما البعيدة ولا سيما خراسان الثائرة التي أطلقت منها رصاصة الرحمة على دولته, فمحال.

يرى الدكتور يوسف العش[1] أن هناك ثلاث مناطق ضعف في خارطة الدولة الأموية, وبالوقت نفسه هي أماكن حليفة للدعوة العباسية أولها خراسان, الإقليم البعيد الذي لاذ به الشيعة, المطالبون بالخلافة, خوفاً من ضربات الأمويين, وجمعوا فيها أنصاراً كثيرين من الموالي. وكان هؤلاء ناقمين على الأمويين لسياستهم العنصرية والاقتصادية[2]. تعاظمت النقمة في خراسان على الأمويين عندما جاء مروان مروان الثاني وقرب إليه القيسية فأسخط عليه اليمانية وكانوا كثاراً في خراسان, فتقربوا من الشيعة والموالي وأعلنوا الثورة على الأمويين, ثم استغل الشيعة نقمة الثائرين وانتفضوا على نصر بن سيار, والي خراسان لهشام بن عبد الملك, المتعصب على اليمانية[3] وكان في جيوشهم الموالي والعرب أيضاً وهذا يدل على زعزعة الأساس العربي, الذي بنيت عليه الدولة الأموية[4]. ومنطقة الضعف الثانية هي منطقة الكوفة المتشيعة, لكنها مراقبة من الأمويين لقربها منهم. أما المنطقة الثالثة فهي الحجاز مركز الدعوة العلوية.

---

1 الدولة الأموية, ص317-318.

2 عمر فروخ, تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية, ص200.

3 أبو حنيفة الدينوري, الأخبار الطوال, ص351.

4 عمر فروخ, تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية, ص200.

كانت خراسان هي المكان المفضل لنشر الدعوة العباسية, ففيها عدد كبير من الفرس والموالي المضطهدين وهي, بنفس الوقت, بعيدة عن مركز الحكم الأموي فلا تطالها أيدي بني أمية إلا بصعوبة قصوى, فمن الطبيعي أن يتخذ العباسيون من خراسان مكاناً أمثل لانطلاق حركتهم الأولى ضد الأمويين. ظلت الدعوة العباسية سراً حتى عام 129هـ/747م حين أعلن أبو مسلم الخراساني جهراً بداية الدعوة العباسية إلى (الرضا من آل محمد). استولت جيوش الثورة على مدن خراسان, مدينة بعد أخرى, بينما تراجع الأمويون نحو الغرب دون أن يستطيع خليفتهم مروان الثاني إنجاد نصر بن سيار الذي تقهقر إلى حاضرتها مرو فمات فيها في ربيع الأول من سنة 131هـ/تشرين الثاني 747م. تقدمت جيوش العباسيين إلى الغرب فبلغت العراق ودحرت جيش واليه يزيد بن عمر بن هبيرة ثم جرت المعركة الفاصلة على نهر الزاب الأكبر, جنوبي الموصل, بين العباسيين بقيادة عبد الله بن علي وبين الأمويين بقيادة مروان بن محمد في 11 ربيع الأول من سنة 132هـ/25 كانون الثاني 750م وهزم فيها مروان وفرّ إلى مصر حيث هلك فيها.

قلنا أن الدولة الأموية نشأت نشأةً قوية احتضنتها عصبية أهل الشام, دعامتها الأولى, لكن بنيتها القوية لم تكن خالصة وخالية من ثغرات ضعف رافقتها منذ ولادتها وحتى مماتها, تكمن تلك الثغرات في نظام حكم بني أمية البدوي البائد المستوحى من أعراف القبيلة حيث أن المجتمع الأموي كان مبنياً على التنظيم القبلي, والجيش الأموي كذلك كان مكوناً تكويناً قبلياً يجري القتال عنده تحت لواء القبائل, ليس هذا في شرق الدولة فحسب, وإنما في مغربها وفي أندلسها أيضاً, فلا يمكن لدولة أن تعيش وتنمو وتتطور وتزدهر وفي أنظمتها شيء من آثار البادية.

الفصل الخامس

عبد الرحمن الداخل ودور الحزبيات في وصوله إلى السلطة

أ- الحالة السياسية في الأندلس قبل مجيء عبد الرحمن:

لم تهدأ الاضطرابات والفتن الداخلية طيلة حكم الفهري 129-138هـ/747-756م, ولم يهدأ له بال إلى آخر يوم من ولايته, حتى أنه في مطلع سنة 138هـ - صيف 755م أرسل الفهري حملتين, من طليطلة, إلى البشكنس وجليقية[1] لأن أهلهما نقضوا الصلح[2], وكان العرب قد أكثروا من حملاتهم على جليقية لقمع حركة بلاي Pelayo الذي ثار في هذه المنطقة منذ الفتح ولكن دون جدوى لأن الثائر قد اعتصم في "ناحية الصخرة" الوعرة واستطاع أن يهزم العرب في موقعة كوفا دونجا Covadonga ويخرجهم من جليقة منذ 133هـ - 751م[3] ثم توفي بعد ذلك بقليل[4], وقد أتيح لهذه الحركة أن تعيش في تلك المنطقة النائية من اسبانيا, مستقلة عن سلطان المسلمين, ولتكون نواة للدولة الاسبانية التي ناوءت العرب جيلاً بعد جيل إلى أن أخرجتهم من البلاد.

تقدم الذكر أن الحزبية القبلية ضعفت في الأندلس في أواخر عصر الولاة, بسبب تغير ظروف المعيشة, وتحولت إلى حزبية سياسية قامت على أساس المصلحة المشتركة بين أفرادها بقصد المنفعة وحب البقاء, وفي عهد أبي الخطار, وحين اصطدامه بالصميل بن حاتم, اصطفت القبائل العربية في مجموعتين أو حزبين, حزب أبي الخطار وحزب الصميل, وتألف كل منهما من خليط من قيس ويمن, وكان يلحق بالكتلتين الكبيرتين: اليمانية والقيسية, حزبيات أخرى أقل أهمية, فالأمازيغ كانوا غالباً من حلفاء اليمانية, بينما كان موالي الأمويين يقفون على الأغلب بجانب القيسية بسبب نسب الأمويين القيسي.

مر الأندلس بحالة من الاضطراب والفوضى غطت كل نواحي البلاد في المدة الأخيرة من عصر الولاة وليس لنا أن نعزو ذلك إلى مؤثرات من داخل الأندلس أو خارجه, ولا إلى سوء سياسة الحاكم. أو إلى مطامع الطامعين في السلطة فقط, بل علينا ألا ننسى أن أهل الأندلس, أنفسهم هم نمط من الناس لا يقبلون السلطان, ولا يخضعون للحاكم إلا مرغمين[5], يضاف إلى ذلك أن الأندلس إقليم بعيد ظل خارجاً عن سيطرة الخلافة لأن سلطانها لم يكن راسخاً ولا مستقراً منذ أن تمّ فتحه, وليس أدل على ذلك من قيام القوى المحلية في الأندلس بعزل وال أو قتله أو

---

1 ابن عذاري, البيان المغرب ج2, ص44

2 أخبار مجموعة, ص76

3 أخبار مجموعة, 61

4 عن هذا الثائر انظر فجر الأندلس لحسين مؤنس - الصفحات 975 و377 و380.

5 عصمت عبد اللطيف دندش, الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين, ط. بيروت 1988, ص26.

تنصيب آخر دون أمر أو استشارة من المركز[1]. استمر الأندلس في سيره على هذا النحو, حتى بعد انتقال الخلافة إلى العباسيين, إلى أن خرج نهائياً, ومعه المغرب العربي, من قبضتها, يتضح لنا أن الأندلس, في هذه الفترة من عصر الولاية, قد أصبح أرضاً صالحة لأن تكون السيطرة عليه من نصيب شاب غريب عنه, كان يقيم في الشام في قلب أسرته الأموية الحاكمة, هذا الشاب هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الذي لم تطله سيوف العباسيين ففر إلى المغرب ثم دخل الأندلس ليضع حداً للفوضى القائمة, وليقيم دولة مستقلة عن خلافة بغداد دامت ما بين 138-422هـ / 756-1031م.

تنازع الحزبيات:

بعد إبعاد الصميل استبد يوسف الفهري, وهو قيسي, بحكم الأندلس, ولما طال حكمه أثار حفيظة اليمانية وأغضبها إذ هي أكثرية في البلاد فلم تسكت على حكم الأقلية, وظلت ناقمة تقاومه وتتحين الفرص للانقضاض عليه. فمن الطبيعي أن تجد اليمانية, ومن يدور في فلكها, في شخصية الأمير الأموي القادم, مخرجاً للتخلص من الحكم القيسي الذي طال أمده. لقد ثار اليمانيون في مناطق متعددة منها: ثورة عبد الرحمن بن علقمة اللخمي (يماني) بأربونه, فحاربه الفهري وتغلب عليه وقتله[2], وثار عليه ثائر آخر, اسمه عروة, في مدينة باجة, فبعث إليه يوسف من قتله[3]. لم يثر اليمانيون فقط على الفهري فلقد ثار عليه أيضاً جماعة من قومه القيسيين ووقفوا إلى جانب الدعوة العباسية في الأندلس في عهد الخليفة المنصور, وعندما لم تسفر عن شيء التفوا حول عبد الرحمن بن معاوية, وهذا يدل على أن رابطة المصلحة تقدمت على رابطة الدم والنسب.

وقام ثائر آخر في منطقة سرقسطة حيث يحكم الصميل, في سنة 136هـ/754م وهو الحباب بن رواحة الزهرى من بني زهرة[4] وحصر الصميل حوالي سبعة أشهر, وفي نفس السنة ثار تميم بن معبد من بني زهرة بن كلاب, ولكن لم تشغل هاتان الثورتان بال يوسف أو تقلقا الصميل. وقام في العام 137هـ, ثائر في قرطبة من الأقحاح في قريش ويسمى عامر بن عمرو العبدري من بني عبد الدار بن قصي[5] وكان من خيرة الفرسان ويلي الصوائف قبل ولاية يوسف[6] يوسف[6] وله مقام عال بين الناس, وعندما أحسّ بغيرة يوسف منه وبحسده له, أرسل إلى أبي

---

1 أحمد بدر, تاريخ المغرب والأندلس, ص151.

2 ابن عذارى, البيان المغرب, ج2, ص38.

3 المصدر السابق, نفس الصفحة.

4 ابن الآبار, الحلة السيراء, ج2, ص345. ابن عذارى, البيان المغرب, ج2, ص37.

5 ابن الآبار, الحلة السيراء, ج2, ص344. ابن عذارى, البيان المغرب, ج2, ص42.

6 أخبار مجموعه, ص36. الحلة السيراء, ج2, ص344.

جعفر المنصور يسأله الولاية على الأندلس, وكان عامر قيسي النسب يماني المشاعر فخاف أن يفعل الصميل بيمانيي سرقسطة كما فعل, هو ويوسف, باليمانية من قبل.

لم يجرؤ يوسف على قتال عامر, ففضل أن يستشير الصميل في أمره فنصحه هذا بقتله. أحسّ عامر بالمؤامرة التي تحاك ضده ففر إلى الشمال, إلى منطقة سرقسطة حيث يكثر فيها اليمانيون, وهناك كتب عامر إلى الحباب بن رواحة الزهري يدعوه إلى معاونته للتخلص من القيسية ويعلمه أن لديه سجل أبي جعفر المنصور. نهض الاثنان ومعهما نفر من قومهما وبعض اليمانية وحاصرا الصميل[1]. شدد الثائرون حصارهم على سرقسطة للإطاحة بالصميل, العقل المدبر لدى الفهري ومستشاره في كل قضية, فكتب الصميل إلى يوسف يسأله النجدة, لكن الوالي التعيس, والمقيم بعيداً في قرطبة, كان أعجز من أن يمده فقعد عن إغاثته لشدة ضعفه "وضعف سلطان يوسف حتى كان لا يركب معه خمسون رجلاً من حشمه"[2]. فإذا كان الفهري قد توانى عن نصرة الصميل فهو يرغب هلاكه ليستريح منه, لكنه اعتذر إليه متذرعاً بأن الناس في الأندلس في عوز وشدة بسبب المجاعة[3]. ولما تباطأ مدد يوسف, وازداد الحصار شدة, كتب الصميل إلى قومه في جند قنسرين ودمشق يستحثهم على إنجاده, فنهض عبيد الله بن علي الكلابي داعياً لنصرة الصميل فهب نفر من بني أمية وبعض مواليهم, بعد أن اجتمع لديهم نحو من أربعمائة فارس, وتوجهوا إلى سرقسطة لإنقاذ الصميل[4] ومفاوضته, من جهة ثانية, في شأن عبد الرحمن بن معاوية, وكان مقيماً في عدوة المغرب عند بني نفزة, وقد أوفد إلى الأندلس خادمه بدراً للوقوف على آراء زعمائه والقيام باتصالات مع بعض الأشخاص القادرين على تقديم العون له, فلم سمع عامر بن عمرو العبدري والحباب بن رواحة الزهري بقدوم المدد قطعوا الحصار عن الصميل[5].

موقف حزبيات الأندلس من عبد الرحمن:

لما كان عبد الرحمن هو موضوع بحثنا في هذا الفصل نرى من الضروري التعرف, ولو قليلاً, على سيرة هذا الرجل العظيم الذي صنع للأمويين, في الأندلس بعد أقل من نصف قرن على فتحه, دولة لا سلطان لأحد عليها غير أبنائها, ومجداً يفوق بكثير ما كانوا صنعوه من أمجاد في المشرق.

---

1 أخبار مجموعة, ص64-65.

2 أخبار مجموعة, ص63-64.

3 ابن عذارى, البيان المغرب, ج2, ص37.

4 ابن عذارى, البيان المغرب, ج2, ص42.

5 أخبار مجموعة, ص69. البيان المغرب, ج2, ص43.

في أعقاب معركة الزاب الفاصلة التي أدت إلى مصرع الدولة الأموية ومصرع الكثيرين من أبنائها بأسياف العباسيين, نجا القليل منهم فتفرقوا في أشتات الأرض, وكان بين هؤلاء الناجين عبد الرحمن بن معاوية المعروف بالداخل ومحيي دولة الأمويين في الأندلس بعد فنائها في الشام. إنه عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم[1], ولد في الشام سنة 113هـ/731م وقد أختلف المؤرخون حول اسم مكان ولادته والمرجح أنه ولد في كورة فنسرين[2] .

اشتهر والده معاوية بن هشام بفروسيته وشجاعته في حروبه ضد الروم إلا أنه قضى شاباً في حادثة صيد فحزن عليه والده الخليفة هشام الذي كان يرشحه لخلافته[3]. وكانت أمه واسمها راح من سبي قبيلة نفزة المغربية, وهي أم ولد أمازيغية4.

لقي عبد الرحمن كثيراً من العطف والرعاية, في طفولته, من جده هشام وأخيه مسلمة الذي تنبأ وكان يعرف بالحدثان, كما روى عبد الرحمن نفسه فيما بعد, بأن الدولة الأموية وقد اقترب حتفها في المشرق, ستحيا من جديد في المغرب على يد هذا الغلام! كثيراً ما نسمع بمثل هذه القصص المشوبة بالخيال لدى قيام رجال, من طراز عبد الرحمن, بتأسيس دول لهم القصد منها إضفاء الشرعية على حكمهم بإدخال أوامر القضاء المقدر[5] وهناك قصص أخرى كثيرة من هذا النوع مبالغ فيها رافقت هربه بدءاً من عبوره الفرات في المشرق, وحتى عبوره المضيق في أقصى المغرب.

كان انتقام العباسيين قاسياً جداً, فقد أفلت عبد الرحمن من بطشهم وفرّ من شمال الشام إلى جنوبه, فمرّ في فلسطين حيث وافاه في هذه المرحلة مولاه بدر وسالم أبو شجاع, مولى أخته أم الأصبغ, مزوداً منها بشيء من النفقة والجوهر ليستعين بها عبد الرحمن في هربه[6], ومن فلسطين اتجه نحو مصر ومنها تابع مسيرته غرباً متخفياً فمرّ ببرقة إلى القيروان حاضرة إفريقية (تونس الحالية) حيث واليها عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة الذي لم يعترف بعد بسلطة العباسيين, ولذلك فقد اتخذ كثير من الأمويين الهاربين بلاده ملاذاً لهم وملجأً.

---

1 انظر ترجمته في الجذوة, ص15. والبغية ص18 والمعجب ص15-16. والبيان المغرب, ج2, ص47. وأخبار مجموعه,ص46 وما بعد. والحلة السيراء, ج1, ص35. ونفح الطيب, ج1, ص312.

2 فقيل: (في "دير حنا" من كورة قنسرين في أخبار مجموعه, ص50 وكذلك في نفح الطيب "دير حنا" من أرض دمشق, و "دير حسينه" من دمشق عند ابن عذارى, البيان المغرب, ج2, ص49. ويرجح أن يكون دير حنا أو حنينياء, كما يقول الدكتور أحمد بدر, في كورة قنسرين حيث فيها منازل عائلة عبد الرحمن).

3 أحمد بدر, صقر قريش, ص15.

4 المقري, المصدر السابق, نفس الصفحة.

5 أحمد بدر, صقر قريش, ص18.

6 أخبار مجموعة, ص54.

كان عبد الرحمن بن حبيب ذا طموح شديد للسلطان, وله باع طويل في إثارة الفتن والاضطرابات في المغرب والأندلس خاصة, وكنا عرفنا من قبل إنه كان في جيش بلج الذي لجأ إلى سبته ثم تركه ودخل الأندلس فالتقى قريبه ابن قطن, والي الأندلس, وأوقع بينه وبين خصمه بلج وقيسيته. وعندما جاء أبو الخطار أمر بإخراجه من الأندلس مع جماعة مشاغبين من أهل الشام فعاد إلى إفريقية حيث انتزع ولايتها من حنظلة بن صفوان 127هـ[1] في وقت كانت فيه خلافة بني أمية تتداعى من نهايتها.

في البدء رحب ابن حبيب بالأمويين الهاربين وقربهم إليه وتمتنت العلاقات بين الطرفين لكنه, وفيما بعد صار يخشاهم لما هم عليه من رفيع النسب وعلو المقام, فجعل يراقبهم ويقتفي آثارهم ويلاحقهم وكان عبد الرحمن الداخل في جملة هؤلاء المستهدفين.

مضى عبد الرحمن بن معاوية يجوب إفريقية من أقصاها إلى أقصاها متنقلاً بين قبائلها سراً, وتقول الروايات أنه أقام أولاً في بني مغيث في القيروان ثم هرب باتجاه المغرب فوصل تاهرت, في المغرب الأوسط, واستظل برعاية بني رستم ثم لجأ إلى قبيلة مكناسة واحتمى عندها حيناً من الزمن لكنها طردته من أرضها فتركها إلى أن بلغ قاصية المغرب فحطّ رحاله في نفزة, قبيلة أخواله التي أمه منها وكانت تسكن على مقربة من سبتة, وبعد نفزة مكث عبد الرحمن عند قبائل مغيلة على ساحل طنجة بعد مرور أربع سنوات من التشرد. في هذه الأثناء كان سالم مولى أخته أم الأصبغ قد تخلى عنه وفارقه عائداً إلى المشرق بسبب إهانة تلقاها من سيده بينما ظل بدر إلى جانبه مخلصاً وفياً ومعيناً له في قادم الأيام.

عندما شعر عبد الرحمن بالأمان في هذا الموقع المتاخم للمضيق الفاصل بينه وبين البر الإسباني أخذ يفكر في العبور إلى الأندلس, لكن أما فكر عبد الرحمن, قبل الآن, أن يقيم لنفسه دولة في إفريقية؟ قد يكون أنه فكر لكنه لم يفعل ذلك لجملة أسباب:

أولاً: أن العباسيين على مقربة منه في فسطاط مصر وهم, كما يعتقد, على استعداد لتسيير جيش قادر على وأد دولته قبل أن يشتد عودها.

ثانياً: قد يخرج عليه الأمازيغ الذين ثاروا من قبل على الأمويين 122هـ/740م وما زالوا يذكرون ما حلّ بهم على يد والي إفريقية, لهشام بن عبد الملك, حنظلة بن صفوان عام 125هـ/743م. ثم أن البلاد واسعة جداً تمتد على آلاف الأميال ما بين مصر وحتى بحر الظلمات (الأطلسي) وهذا يعني أن عبد الرحمن لن يستطيع أن يجعل طاعته عامة بين الناس[2] حتى أنه لو أراد ولاية المغرب لما كان ذلك بالأمر اليسير لأن المغرب صار ولاية شبه مستقلة ولم تكن مؤهلة لقبول

---

1 ابن عبد الحكم, فتوح مصر وأخبارها, ص223. ابن عذارى, البيان المغرب, ج1, ص60.

2 عبادة عبد الرحمن كحيلة, صقر قريش, توزيع مكتبة الفن, ص30.

مغامر ما زال شاباً لا سيما وأن عبد الرحمن بن حبيب سيبذل كل ما لديه من أجل الحفاظ على مكان ناضل كثيراً للوصول إليه[1]. إذن لم يجد الشاب الأموي في إفريقية الأرض الصالحة لإقامة دولته فأسقطها من حسابه إذا كان قد فكر بذلك, وها هو ذا الأندلس أمامه وله فيه أشياع وأنصار, فراح يفكر الآن بمشروع دولته ولكن على الأرض الأندلسية حيث الفوضى قائمة والبلاد تمزقها الحرب الأهلية بسبب النزاع القبلي, بين قيس ويمن, والآخرَيْن العنصري والإقليمي, ما جعلها عرضة لهجمات النصارى في الشمال. لقد ترسخ في ذهنه دولة أموية أندلسية حيث علم أن في الأندلس جماعة أموية لا بأس بتعدادها في البيرة وجيان. عرف ذلك من سالم, مولى أخته أم الإصبغ, وكان قد حدثه بشيء من شؤون الأندلس إذ هو قد دخله مع موسى بن نصير أو بعده وغزا في صوائفه[2].

لم يبقَ أمام عبد الرحمن إلا أن يخاطب جماعته, من أمويين ومواليهم في الأندلس برسالة يستقرئ فيها رأيهم, وكان عام 136هـ/753م حين أوفد عبد الرحمن مولاه بدراً لهذه الغاية يحمل منه رسالة إلى زعماء موالي الأمويين ثم قام هؤلاء بالاتصال بزعماء باقي الحزبيات لاستطلاع آرائهم.

لقد صار معروفاً لدينا أن حزبية الأندلس السياسية في هذه الفترة تقسمتها كتلتان كبيرتان: كتلة أو حزب قيسي وآخر يماني, وكان يلحق بالحزب القيسي حزب صغير, لعب دوراً كبيراً في أحداث هذه الفترة, هو حزب موالي بني أمية تبنى قضية عبد الرحمن بعرضها على الساحة السياسية في الأندلس. فلنتعرف على أصل هذه الفئة أولاً ونترك موقفها ليأتي في سياق موقف الحزبية القيسية.

موالي بني أمية:

يرد ذكر هذه الفئة من أهل الأندلس في حديث لابن القوطية حول هزيمة بلج بن بشر في بقدورة 123هـ/741م وفراره إلى طنجة بعشرة آلاف من جند الشام منهم ألفان من الموالي وثمانية آلاف من العرب[3]. وكان في إفريقية نفسها عدد كبير من موالي البيت الأموي ذوي الأصول المشرقية كان الخلفاء يبعثونهم مع جيوشهم إليها, من ذلك أن جيش كلثوم بن عياض الذي خرج من الشام لقمع ثورة أمازيغ المغرب كان يتألف من ثلاثين ألفاً: عشرة آلاف من بني أمية –غالبيتهم من موالي بني أمية– وعشرين ألفاً من بيوتات العرب.[4]وتدل أخبارهم على أن عدداً كبيراً من أهل المغرب دخلوا في ولاء بني أمية وعمالهم ولا سيما موسى بن نصير وقد

---

1 ابراهيم بيضون, الدولة العربية في إسبانيا, ص169.

2 أخبار مجموعة, ص55.

3 ابن القوطية, تاريخ افتتاح الأندلس, ص81-82.

4 ابن القوطية, المصدر السابق, نفس الصفحة.

جمعت هؤلاء, حتى الأمازيغ منهم, رابطة الولاء للبيت الأموي, فكانوا يعتبرون هذه الرابطة أقوى من رابطة الحزبية القبلية[1]

لقد تزايد عدد هؤلاء الموالي في الأندلس زيادة ملحوظة بقدوم بلج على رأس جيش الشام وصار جيشه يتألف من الأمويين والشاميين[2]. ومما لا شك فيه أنه كان في الأندلس, قبيل هذا الوقت, جماعة منهم عدا عما لحق بهم فيما بعد, فتذكر الرواية أن موسى بن نصير بعث طارق بن زياد بسبعة آلاف من المسلمين جلهم من الأمازيغ والموالي[3] ونلاحظ بين هؤلاء الموالي, في الأندلس, قبيلتين من الأمازيغ: قبيلة بني وانسوس, موالي عبد العزيز بن مروان, وبني الخليع, موالي يزيد بن عبد الملك[4].

كان الموالي يعدون أنفسهم تابعين للبيت الأموي أو لمن تؤول إليه ولاية الأندلس حسب ما تمليه عليهم رابطة الولاء ولذلك لم ينضموا إلى عبد الملك بن قطن الفهري لاعتبارهم أنه اغتصب الولاية من سلفه عقبة بن الحجاج السلولي, بينما وقفوا إلى جانب بلج الذي تولى الأندلس بسند شرعي من الخليفة هشام بن عبد الملك, ثم اختفت أخبارهم في عهد أبي الخطار ويبدو أنه فرقهم في النواحي مع الشاميين[5]. وما أن أقبل يوسف الفهري وانتصر على أبي الخطار, حتى اعتبر نفسه الوالي الشرعي وراح يستميلهم إليه ويسميهم "مواليا" على اعتبار أنه صاحب حق الولاء عليهم بالنيابة عن خلفاء بني أمية, فاستطاع أن يكسبهم إلى جانبه إلى أن جاء عبد الرحمن الداخل. وسيكون لهذه الفئة دور عظيم على مجرى الأحداث فيما بعد ويمكن لعبد الرحمن أن يتخذ من هذه الفئة حزبية خاصة به مستعدة للتضحية في سبيله من أجل إيصاله إلى الحكم. وسنرى بعد قليل المساعي الطيبة التي قدمها الموالي تمهيداً لمجيء عبد الرحمن, أكانت تلك المساعي على شكل مشاورات فيما بين زعماء الموالي أنفسهم, أم اتصالات قاموا بها مع زعيم القيسية الصميل وسيده الفهري, أم جهود بذلوها مع خصمهم حزب اليمانية لكسب تأييدهم لعبد الرحمن.

---

1 حسين مؤنس, فجر الأندلس, ص473.

2 ابن القوطية, تاريخ افتتاح الأندلس, ص82.

3 أخبار مجموعة, ص6.

4 ابن القوطية, تاريخ افتتاح الأندلس, ص84 و 87.

5 حسين مؤنس, فجر الأندلس, ص438-439.

موقف الحزبية القيسية:

اتصل بدر أولاً باثنين من زعماء الموالي في جند دمشق النازل في كورة البيرة وهما عبيد الله بن عثمان وعبد الله بن خالد وأطلعهما على فحوى رسالة عبد الرحمن التي يشكو فيها سوء حالته, ومعاناته في تشرده على مدى خمس سنوات مطارداً من عبد الرحمن بن حبيب, ويُعظم حقه على موالي بني أمية في حمايته[1]لأن والي الأندلس, يوسف بن عبد الرحمن الفهري, يترقب مجيئه, إذ يراه منازعه على الولاية, فيقبض عليه, أفليس من حقه أن يطلب سلطان الأندلس وهو حفيد الخليفة هشام!؟ وفي آخر رسالته يعد مواليه بأعلى المناصب إن هم قدموا إليه ما يحتاجه من مساعدة.

تسلم زعيما الموالي المذكوران رسالة عبد الرحمن وناقشا محتواها مع يوسف بن بخت, زعيم موالي جند قنسرين, فتم الاتفاق على وجوب النهوض بالواجب من وجهة النظر العربية التي تفرض رابطة الولاء المقدسة بالإضافة إلى ما تقتضيه المصلحة الشخصية من أن الأمير وأقاربه ومواليه يشكلون أسرة واحدة يعم أفرادها مما يصيب الأمير من خير ونفع.

أجمع الزعماء الثلاثة على مفاتحة الصميل بن حاتم, وكان لا يزال محاصراً في سرقسطة وناقماً على يوسف الفهري الذي تقاعس ولم يتحرك لنجدته, وليظهر الموالي بمظهر من يهمه أمر الصميل وينشد له الخير, انخرطوا في صفوف جيش القيسيين الذي هب لنصرته ومن ثم فك عنه الحصار[2], ولذلك نال موالي بني أمية عند الصميل حظوة كبيرة لقاء جميلهم بمد يد العون له, وكان من زعمائهم الثلاثة عبيد الله بن عثمان وعبد الله بن خالد ويوسف بن بخت أن طلبوا لقاءه على انفراد فتم لهم ذلك عند رجوعهم معه إلى قرطبة. وفي الطريق عرضوا عليه الأمر بكل لطف وذكروه بأيادي بني أمية عنده, وحدثوه بأمر عبد الرحمن بن معاوية الموجود في عدوه المغرب مستتراً بين الأمازيغ وقد بعث إليهم وصيته بطلب الأمان في نفسه, وكان واثقاً بأن الصميل سيجيبهم إلى طلبهم أملاً بأنه سيجني من ورائه خيراً لما به من نزوع إلى السلطان, ثم تقدم عبيد الله بن عثمان وناوله الرسالة وقال له: "لا سخط إلا برأيك فإن ترضى أمراً رضيناه وإن تسخطه سخطناه" فرد الصميل: دعوني أتروى الأمر وأنظر فيه[3], ويبدو لنا أن الصميل كان متردداً وظل هكذا إلى أن دخل قرطبة.

---

1 أخبار مجموعة, ص67.

2 كان الحباب بن رواحة الزهري قد ثار على يوسف الفهري في منطقة سرقسطة حيث يحكمها الصميل, وظاهره على ذلك عامر بن عمرو العبدري, ثم اجابهما جماعة من اليمانية والأمازيغ وحاصرا الصميل حصاراً شديداً حتى يئس من الحياة. ابن عذارى, البيان المغرب, ج2, ص41-42.

3 أخبار مجموعة, ص70.

كان يوسف الفهري قد عزم على الخروج إلى الثغر الأعلى (سرقسطة) فجاءه موالي الأمويين ووعدوه باللحاق به في طليطلة ثم ودعوه وانتقلوا وداع الصميل الذي هم بالخروج إلى سرقسطة مستجيباً لإلحاح يوسف عليه بقصد إبعاده عن قرطبة والعودة إلى الثغر الذي انقض عليه اليمانيون. خرج الصميل عن تردده ودخل معهم في أمر عبد الرحمن ووعدهم بأن يقرع صلعة يوسف بسيفه إن هو خالفه[1]. ولا شك بأن الصميل, عند ذاك, كان بحالة نفسية منفتحة وراضية بعد إبعاد شبح اليمانية عنه, ومن جهة أخرى, كان يحسب أن عبد الرحمن ذاك الشاب المسكين الذي لا يطمح بأكثر من الانضواء تحت عباءة الصميل.

سر الزعماء من موقف الزعيم القيسي وشكروه على استجابته لمطلبهم ثم انصرفوا عنه, وما أن فارقوه مستبشرين إلى قومهم حتى بدأ الصميل يفكر في الأمر, وهنا أيقن مدى ما فيه من الخطورة فأدرك أن مجيء ابن معاوية معناه القضاء على أحلامه, وفي الحال غيّر رأيه ولحق بهم على ظهر بغله الأبيض "كوكب" ثم استوقفهم وقال لابن عثمان وابن خالد أن صاحبهما من قوم "لوبال أحدهم في هذه الجزيرة لغرقنا نحن وأنتم في بوله .. وأنا أعلمكما أنّ أول سيف يسل عليه فسيفي"[2]. وهكذا فشلت مساعي الموالي في الحصول على عون من عند الصميل, والقيسية عامة, يقدمونه لسيدهم عبد الرحمن.

موقف الحزبية اليمانية:

وبعد انصراف الصميل شعر زعيما الموالي بخيبة أمل مريرة فقال أبو عثمان: لقد فقدنا كل أمل نرجوه من مضر وربيعة ولم يبقَ أمامنا إلا الاستعانة باليمانية وإدخالهم في رأينا.[3] وفي طريق عودتهم إلى بلدهم البيرة جعلوا لا يمرون بمنازل يمانية إلا حدثوا زعماءها بالأمر ودعوهم إلى حمل السلاح لنصرة عبد الرحمن, لكن اليمانية لم تكن بحاجة إلى من يثيرها على القيسية لأنها كانت, منذ هزيمتها في شقندة, وإخفاقها في عصيان سرقسطة, تتأهب للثورة على القيسية عند أول إشارة للثأر منها.

ما كاد يصل دعاة الموالي إلى البيرة حتى اجتمع إلى دعوة عبد الرحمن جماعات كثيرة من اليمانيين, ولما كان الصميل والفهري منشغلين في الشمال, قرروا الإسراع باستدعاء عبد الرحمن فندبوا أحد عشر رجلاً منهم فيهم تمام بن علقمة الثقفي[4] وسلموه خمسمائة دينار[5] لافتداء

---

1 ابن القوطية, تاريخ افتتاح الأندلس, ص85.

2 أخبار مجموعة, ص73.

3 أخبار مجموعة, ص74.

4 ابن الآبار, الحلة السيراء, ج1, ص143.

5 هذه الدنانير هي بقية المبلغ الذي أنفقه الفهري لزعماء الموالي كي يصاحبوه في حملته على ثوار سرقسطة

عبد الرحمن من أمازيغ بني مغيلة الذين كان يعيش بينهم, واشتروا من هذا المال مركباً جازوا به البحر إلى العدوة للقاء عبد الرحمن وحمله إلى الأندلس.

عبد الرحمن أميراً على الأندلس:

بعدما اطمأن عبد الرحمن لما جاء به مولاه بدر من وافر التأييد, ودعم اليمانية له في الأندلس, انطلق مع مرافقيه فعبر المضيق على ظهر المركب إلى شاطئ الجزيرة ورسا في ميناء المنكّب[1] Almunecar حالياً, بين المرية شرقاً ومالقا غرباً, وذلك في ربيع الأول من سنة 138هـ/أيلول 755م[2] فاستقبله عبيد الله بن عثمان وعبد الله بن خالد ثم نقل إلى قلعة طُرُس Torrox القريبة في الغرب حيث استضافه شيخ موالي الأمويين أبو عثمان في منزله[3] فأخذ الناس وكبار الموالي يختلفون إليه, وجاءه يوسف بن بخت زعيم موالي الأمويين في جيان, وجدار بن عمرو المذحجي من أهل ريّة, وأبو عبدة حسان بن مالك من إشبيلية وغيرهم. وتقول رواية أخرى أن عبد الرحمن أراح في دار يوسف بن بخت وفيها جاءته الأموية كلها[4]. ومهما تكن الدار لمن فإن مؤيديه كانوا كثاراً وإن الدار أصبحت مركزاً لعمليات عبد الرحمن.

في هذه الآونة كان الفهري والصميل قد وصلا سرقسطة لقمع ثورة اليمانية, وقد استطاع الصميل أن يرغم الثائرين على التسليم, فاستنزل قادتهم, عامر العبدري وابنه وهب والحباب بن رواحة الزهري, على الأمان واحتفظ بهم كرهائن عنده, فحال بين هؤلاء الرهائن وبين قتلهم نفر من القرشيين على رأسهم سليمان بن شهاب والحصين بن الدجن, لذلك أراد يوسف بتخطيط من الصميل, أن يتخلص منهما[5] فأرسلهم في حملة يائسة لحرب البشكنس هزموا فيها وهلك ابن شهاب, فعاد الحصين بن الدجن بفلهم إلى سرقسطة حانقاً على الفهري والصميل اللذين غررا بهم ودفعا بقومه إلى الهلكة.

سر الصميل لدى سماعه بمقتل ابن شهاب, وراح يسوّغ ليوسف قتل رهائنه القرشيين "قدم هؤلاء واضرب أعناقهم" إلى أن حمله على قبول هذا الرأي فأمر بهم وقتلهم, ففرح الصميل واطمأن بعد أن تشفى من هؤلاء اليمنيين والقرشيين الذين كادوا يذيقونه طعم الموت حين حصروه في سرقسطة. أما يوسف فقد استولى عليه الندم لمقتل رهائنه ووقع تحت وطأة تأنيب ووخز

---

1 الحميري, الروض المعطار, ص186.

2 المصدر السابق, نفس الصفحة. ابن الآبار, الحلة السيراء, ج1, ص35.

3 ابن القوطية, تاريخ افتتاح الأندلس, ص86.

4 أخبار مجموعة, ص76.

5 د. روزي, تاريخ مسلمي إسبانيا, ص198.

ضميره, فخلا بنفسه وارتمى على فراشه وكان مقيماً بوادي شرنبة[1]وما أن أراح قليلاً حتى سمع حراسه يصيحون: "رسول رسول من قرطبة" يحمل رسالة للأمير من زوجه أم عثمان وفيها تقول أن ابن معاوية قد دخل الأندلس ونزل بطرُش عند عبيد الله بن عثمان "وأصفق بنو أمية معه" فهرع يوسف إلى الصميل واستشاره في الأمر كعادته فأحس الصميل بخطورة الموقف ونصح الفهري بضرورة الإسراع لمجابهة عبد الرحمن قبل أن يلتف حوله الناس ويشتد أمره.

كان أكثر جيش الفهري معارضاً لمشروع حملة ضد عبد الرحمن حيث كان أفراده متعبين من حملة البشكنس المشؤومة, كما أن الكثيرين منهم كانوا حانقين على يوسف والصميل فعلهما بأخوانهم القرشيين الذين غرر ببعضهم وتُشفى بالباقين فتلكأ أكثرهم عن الخروج وأخذوا يغادرون المعسكر نحو بيوتهم لا سيما وأن الشتاء قد أقبل بأمطاره وفيضانات أنهاره[2]. ورغم إصرار الصميل على تنفيذ خطته, فإن الفهري لم يستجب للقتال وأمر رجاله بالقفول إلى قرطبة إذ كان قد ترامي إليه أن ابن معاوية ما جاء إلى الأندلس طلباً للإمارة وإنما التجاءً والتماساً للعيش فيه.

ارتأى يوسف أن يلجأ إلى استخدام الوسائل السلمية مع عبد الرحمن طالما أن محاربته في هذه الظروف غير ممكنة, فنالت هذه الفكرة استحساناً لدى الصميل الذي عاد يقدم النصح من جديد للفهري بأن يعمل على إغواء عبد ارحمن بمكاسب مادية من شأنها الإيقاع به. انتدب الفهري لهذه الغاية سفارة منتقاة من خيرة أنصاره ترأسها عبيد بن علي الكلابي من كبار زعماء القيسية وخالد بن زيد مولاه وكاتبه وعيسى بن عبد الرحمن وهو من موالي بني أمية والمشرف على أرزاق الجند, وزودهم بكتاب بليغ, كتبه خالد بن زيد, يذكره فيه بأواصر القربى بين عائليتهما, ويعرض عليه الصلح والمصاهرة, وحمّل الوفد أيضاً هدية ثمينة لعبد الرحمن تشتمل على كُسى وجوادين وبغلين وعبدين وألف دينار[3].

سارت السفارة جنوباً حتى ذا بلغت "أرش" من كورة ريّة, رأى عيسى بن عبد الرحمن, بعد أن استشار مرافقيه, أن يمسك بالهدية فتبقى معه في هذا الموقع, ويذهب رفيقاه بالكتاب إلى معسكر عبد الرحمن ليريا موقفه من الصلح. كان المعسكر مزدحماً بالناس تتقاطر إليه وفود من أجناد شتى, فتقدما إليه وحدثاه بما جاءا من أجله من الصلح والسلم والمصاهرة, ودارت بين

---

1 أخبار مجموعة, ص77. وعند ابن الآبار في الحلة السيراء,ج2, ص345 وادي الرمل على بعد خمسين ميلاً من طليطلة.

2 أخبار مجموعة, ص79.

3 المصدر السابق, نفس الصفحة.

الأطراف مفاوضات انتهت إلى ملاسنات, في حديث طويل, جاءت بعكس ما كان يرومه الفهري[1]. وهكذا فشلت المساعي وعاد الكلابي, خالي الوفاض, إلى أرش ليجد رفيقه عيسى بن عبد الرحمن قد سبقه بالهدية إلى قرطبة. لم يبق أمام الفريقين المتنازعين إلا الشروع في القتال, وقبل أن نتحدث في هذا الشأن لنتعرف على مواقف حزبيات أهل الأندلس من كل من الطرفين المتصارعين:

كتب عبيد الله بن عثمان, وكان يدير عمليات عبد الرحمن, إلى زعماء العرب والأمازيغ يسألهم الخروج على الفهري فأجابه اليمانيون بأنهم على استعداد تام للوقوف إلى جانب الأمير, وانقسم الأمازيغ فيما بينهم, فانحاز بعضهم إلى الفهري ومال البعض الآخر نحو عبد الرحمن, أما القيسيون فقد وثق ستة منهم العهد لعبد الرحمن, ثلاثة منهم من ثقيف التي تتعصب للأمويين منذ عهد الحجاج بن يوسف[2], وأصفقت مضر بكاملها مع الفهري[3]

انتقل عبد الرحمن, بعد مرور حوالي نصف عام على نزوله أرض الأندلس, من موقعه في طرّش الذي أصبح معرضاً للهجوم, وأخذ يجمع من وعده من مؤيديه بالقيام معه, من مناطقهم, وفي أول أيام عيد الفطر من سنة 138هـ وصل أرشيذونة Archidona [4] حاضرة كورة رية مقر جند الأردن, وفي مسجدها الجامع تحمس شيخ عرب الأردن, جدار بن عمرو القيسي, وأمر شيخ الجامع أن يخلع يوسف بن عبد الرحمن ويخطب لعبد الرحمن بن معاوية بن هشام ففعل وبايع القوم عبد الرحمن عند انقضاء الصلاة[5].

كانت إقامة عبد الرحمن في أرشيذونة قصيرة لكنها مفيدة حيث كسب فيها عدة مئات من الأنصار, ووافته وفود من تاكرنا المجاورة, وحاضرتها رُندة إلى الغرب, أهمهم بنو الخليع الأمازيغ موالي يزيد بن عبد الملك الذين أضافوا إلى قوات عبد الرحمن أربعمائة فارس. ثم اتجه عبد الرحمن غرباً إلى شذونة حيث منازل جند فلسطين, وأغلبهم من اليمانية, عند طرفها فانضم إليه "سُراة القوم وحماة الجند" كما بايعه أهلها من بلديين وشاميين وعلى رأسهم غياث بن علقمة اللخمي, ثم دخل كورة مورور فبايعه عاملها ابراهيم بن شجرة البرنسي, إلى أن بلغ كورة إشبيلية,

---

1 ابن عذارى, البيان المغرب, ج2, ص45-46.

2 د. روزي, تاريخ مسلمي إسبانيا, ص206.

3 أخبار مجموعة, ص82.

4 شذونة في بعض المصادر.

5 ابن القوطية, تاريخ افتتاح الأندلس, ص87.

منزل جند حمص حيث خف لاستقباله زعيمان يمانيان وهما أبو الصباح يحيى بن يحيى اليحصبي وحيوة بن ملامس الحضرمي الأصل, وبعد ذلك دخل إشبيلية في منتصف آذار وأخذ البيعة لنفسه[1], وفي إشبيلية ارتسم لجيش عبد الرحمن شكله العام, فقد بلغ عدد فرسانه ثلاثة آلاف ومن حيث التنظيم كان يتألف من ثلاثة أجناد: ريه (الأردن) وشذونة (فلسطين) وإشبيلية (حمص)[2], وعندما وصل الجيش إقليم طشانة Tocina من كورة إشبيلية, لاحظ القوم أن لكل من هذه الأجناد الثلاثة رايته الخاصة به إلا الأمير فليس له راية فتدارك الأمر أبو الصباح اليحصبي بأن جاء بعمامة وعقدها على أحد الرماح واتخذها راية وقدمها للأمير[3]

في هذه الأثناء كان الفهري والصميل يحشدان قواتهما في قرطبة استعداداً للقاء عبد الرحمن المرابط بقواته عند طشانة, ثم انحدرا نحوه إلى هذا الموقع على الضفة اليسرى للوادي الكبير, وتقابل الجيشان وجهاً لوجه في أوائل ذي الحجة (أيار) يفصل بينهما النهر, وكانت مياهه في أقصى ارتفاع لها فيتعذر عبوره. بدأ القتال على شكل مناوشات بين الطرفين إلى أن التقيا عند المصارة في ضاحية قرطبة[4].

وكان يوم خميس 9 ذي الحجة من سنة 138هـ/13 أيار 756م[5] وهو وقفة عيد الأضحى, ومياه النهر آخذة بالانخفاض. استشار عبد الرحمن زعماء قياداته لأخذ رأيهم من الحرب ومن السلم, فوقف اليمانيون إلى جانب الحرب وجاراهم الأمويون, ولو كانوا يميلون إلى التراخي, فاستبشر عبد الرحمن خيراً وتمنى أن يكون يوم المصارة أخاً ليوم مرج راهط حين سيقت الخلافة لعائلة بني مروان, وقيل عن طرف القتال الآخر أن العلاء بن جابر العقيلي تقدم من الصميل وقد التقى الطرفان وقال له: "أبا جوشن! اتقّ الله, فوالله ما أشبه هذا اليوم إلا بيوم المرج .. وإن الأمور ليهتدى إليها بالأشياء والأمثال: أموي وفهري, وقيس ويمن ... ويوم عيد في يوم

---

1 ر. دوزي, تاريخ مسلمي إسبانيا, ج1, ص209.

2 أحمد بدر, صقر قريش, ص107.

3 أخبار مجموعة, ص84.

4 وهي منبسط من الأرض أجرد يقع إلى الشمال الشرقي من قرطبة ويتخذه أهلها مُصلّى للعيدين وميداناً لسباق الخيل وحشد الجيوش- أحمد بدر, صقر قريش, ص112. وفي هامش الصفحة 44 من الحلة السيراء, ج1, يقول محقق الكتاب حسين مؤنس: أما المُصارة Al-musara فكان قبل الفتح العربي ضاحية قريبة من قرطبة إلى جنوب غربي البلد على ضفة النهر, ثم اتصلت بها, وأصبحت جزءاً منها, لكنها ظلت خارج السور.

5 ابن الآبار, الحلة السيراء, ج1, ص35.

جمعة, ويوم المرج يوم عيد في يوم جمعة! الأمر والله علينا ما أشك فيه" فأبى عليه الصميل[1] وفي صباح الجمعة 10 ذي الحجة/14 أيار نشب القتال ولم يدم طويلاً ثم انتهت المعركة لصالح عبد الرحمن الذي استخدم فيها الدهاء والحيلة, ولاذ الصميل والفهري بالفرار, بينما أخذ اليمانيون المنتصرون يجمعون الغنائم من معسكر العدو ثم دخلوا قصر الفهري في قرطبة وانتهبوه, وهُرع الطائيون إلى قصر الصميل في شقندة واستلبوه[2]. وفي نفس اليوم المذكور آنفاً, الجمعة 10 ذي الحجة دخل عبد الرحمن مسجد قرطبة وصلى بالناس الجمعة وتلقى بيعتهم العامة, وخطب فيهم ووعدهم بالعدل والإحسان[3]

لقي عبد الرحمن عنتاً كبيراً من اليمانية عندما حاول كف يدها عن النهب, وأبدى قدراً عظيماً من كرم الأخلاق والنبل بتعففه عن حريم يوسف وإحسانه لهن مما لم ترض اليمانية عن هذا الصنيع, إذ كانوا يحسبون أن الأمير عبد الرحمن سيكون رهن إشارتهم ففاجأهم بوضع يده على كل أمر, فهم في تفكيرهم الضيّق هذا, والمحشو بمفاهيم الحزبية القبلية, لا يرون في سلوك عبد الرحمن, أو يفهموا منه سوى انحيازه لقبيلته باعتباره قرشياً وبالتالي قيسياً, وهنا تغيرت نفوسهم منه وراحوا يحيكون المؤامرات ضده ويشعلون الثورات عليه[4].

أتيح لنا الآن, في هذه المناسبة, أن نتعرف على مواقف الفئة المنتصرة أي اليمانية وهم أكثرية عرب الأندلس وبالتحديد الحضارمة منهم فقد كان هؤلاء الأكثر غضباً ونقمة على عبد الرحمن حتى أن كبيرهم, أبا الصباح اليحصبي, عرض على ثعلبة بن عبيد الجذامي, وهو من جند فلسطين, ضرورة متابعة القتال حتى النهاية ضد بقية القيسيين الممثلين بعبد الرحمن والأمويين ومواليهم ليستقر الحكم بيد اليمانية قائلاً: لقد استرحنا من يوسف الفهري! فلنسترح من هذا – أي عبد الرحمن – وتكون الأندلس يمانية, لكن دعوته لم تجد أذناً صاغية إذ أنكرتها قضاعة وفي مقدمتها كلب, وعلى الفور نقل ثعلبة الجذامي إلى عبد الرحمن أخبار هذه المؤامرة ونصحه بأن يحتاط لنفسه من الغدر والاغتيال فعمل بنصيحته[5].

---

1 ابن الآبار, الحلة السيراء, ج1, ص348-349.

2 ابن الآبار, الحلة السيراء, ج1, ص68.

3 ابن القوطية, تاريخ افتتاح الأندلس, ص90.

4 أخبار مجموعة, ص90ز

5 أحمد بدر, صقر قريش, ص121.

حاول الفهري والصميل أن يسترجعا ما فقداه من العز والجاه, فلحق الأول بطليطلة التي يحكمها قريبه هشام بن عروة الفهري[1] وله فيها عدد من الأنصار فحشد منهم ما استطاع واتجه بهم نحو الجنوب إلى جيان, مقر جند قنسرين, وموطن الصميل وقومه القيسية الذين انقسموا على أنفسهم, فوالى بعضهم عبد الرحمن وظل الباقي على ولائه للصميل, لم يستطع والي جيان, لعبد الرحمن, الحصين بن الدجن العقيلي, مدافعة القيسيين فانسحب من المدينة واتجه الفهري والصميل نحو الجنوب ودخلا البيرة, مقر جند دمشق, وكان واليها لعبد الرحمن قيسي آخر هو جابر بن علاء بن شهاب[2] الذي لمس في نفسه ضعفاً مقابل ما معهما من قوى فترك المدينة لهما وهرب إلى الجبال المجاورة. خشي الفهري أن يعاجله عبد الرحمن بهجوم سريع ومفاجئ, فدبر مع ابنه عبد الرحمن بن يوسف خطة ينفذها الابن بأن يهاجم قرطبة التي كان عبد الرحمن قد غادرها, بعد أن ضبط أمورها, تاركاً فيها نائباً عنه, عبيد الله بن عثمان, كبير موالي الأمويين, وسار مسرعاً لقتال الفهري والصميل في البيرة. نفذ الابن خطة أبيه وهاجم قرطبة وعجز حاكمها, نائب عبد الرحمن الداخل, عن صد الهجوم, فهرب, ولاذ بصومعة المسجد ثم استسلم فأخذه عبد الرحمن بن يوسف مكبلاً ودخل به قصر قرطبة.

وصل الخبر إلى عبد الرحمن الداخل فهب مسرعاً لاسترجاع عاصمته وكان عبد الرحمن بن يوسف الفهري قد غادرها نحو الشمال حاملاً أسيره عبيد الله بن عثمان وجاريتين لعبد الرحمن الداخل كان قد اختطفهما من قصر قرطبة فعابه الناس على فعلته التي تنم على انعدام مروءته وشهامته.

عاد عبد الرحمن الداخل إلى قرطبة, وضبط أمورها من جديد, وأقام على حراستها عامر بن علي وكان يثق به ثم مضى بجنده نحو خصميه في البيرة, وهنا أدركا أنه لا قبل لهما بحربه فنزلا معه على الصلح وفق شروط معينة فأجابهما عبد الرحمن إلى ذلك مقابل احتجازه ولدي الفهري, عبد الرحمن ومحمد, كرهينتين عنده, كما اتفق الطرفان على تبادل أسراهما: عبيد الله بن عثمان في مقابل خالد بن زيد كاتب الفهري[3], وقد كتبت وثيقة بهذا الشأن حددت شروط

---

1 أخبار مجموعة, ص92.

2 المصدر السابق, نفس الصفحة.

3 كان خالد بن زيد مولىً أندلسياً اصطنعه يوسف الفهري وجعله كاتباً له ثم أرسله في جملة الوفد لمفاوضة عبد الرحمن بن معاوية, وكان الفهري قد زوده بكتاب من إنشاء خالد. تسلّم عبد الرحمن الكتاب من خالد ثم ناوله لصديقه عبيد الله بن عثمان ليرد عليه بما يشاء, فهمّ هذا ليجيب على الكتاب وهنا تملك الغرور خالداً وقال لعبيد الله "يا أبا عبد

الاستسلام وأرخت في صفر 139هـ[1] . والذي يهمنا من الوثيقة نصوصها التي تقول بتنازل الصميل والفهري عن الحكم واعترافهما بسيادة عبد الرحمن على الأندلس وأن يقيما إلى جواره في قرطبة, فيقيم الفهري بمنزله بلاط والي الأندلس الحر بن عبد الرحمن الثقفي بشرق قرطبة, ويقيم الصميل بقصره في شقندة على أن يجيئا عبد الرحمن كل يوم وقيل كانا يركبان إلى القصر مرة كل أسبوع[2]. وهكذا أصبح عبد الرحمن بن معاوية سيد الأندلس غير المنازع. وأقام الرجلان على مقربة منه بكل كرامة وتوسعة.

عُرف عبد الرحمن بن معاوية بـ "عبد الرحمن الداخل" لأنه أول أموي دخل الأندلس حاكماً[3] وعُرف أيضاً بعبد الرحمن "الأول" لأنه الأول من ثلاثة حكام – أو أكثر – أمويين حملوا هذا الاسم, يليه باللقب عبد الرحمن الثاني, الأوسط 206–238هـ/822–852م ثم عبد الرحمن الثالث, الناصر لدين الله 300–350هـ/912–961م. كما لقبه أبو جعفر المنصور "صقر قريش" لأنه جاء الأندلس بمفرده من أقصى المشرق وغلب أهله على أمرهم وأقام فيه ملكاً بقوة شكيمته ومضاء عزمه[4].

ب– عبد الرحمن وتعامله مع الحزبيات:

إن الذي جاء بعبد الرحمن إلى حكم الأندلس هم أهل هذا البلد على اختلاف حزبياتهم السياسية وانتماءاتهم القبلية, فمنهم قيسيون كالأمويين ومواليهم وآخرين, كقيسية جيان, الذين انقسموا على أنفسهم إلى تابع لعبد الرحمن مثل قبائل كعب بن ربيعة كقشير وعقيل, وبني ثقيف الذين تعصبوا للأمويين منذ أيام الحجاج بن يوسف الثقفي[5], وباقٍ على ولائه للصميل, ومنهم أكثرية من اليمانية, تبنوا, منذ البداية, دعوة عبد الرحمن وضحوا من أجل إيصاله إلى كرسي الإمارة, يضاف إلى هاتين الكتلتين, القيسية واليمانية, كتلة أمازيغ الأندلس وهي كتلة صغيرة تعد ملحقة بالحزبية اليمانية مع أنها انقسمت فيما بينها فذهب بعضهم مع الفهري ومال الباقي مع

الرحمن لتعرقنّ إبطك قبل أن تجد فيه جواباً!" فاستطار عبيد الله غضباً بسبب هذه العبارة التافهة ولطم وجه خالد بالكتاب وسبه وأمر به فكبل بالحديد.

1 أحمد بدر, صقر قريش, ص124. ويذكر صاحب أخبار مجموعة ص93 أن كتاب الصلح جرى سنة 140هـ.

2 أحمد بدر, دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها, ص78.

3 المقري, نفح الطيب, ج1, ص309.

4 المقري, نفح الطيب, ج1, ص309. ابن عذارى, البيان المغرب, ج2, ص59.

5 أحمد بدر, صقر قريش, ص97و98و122.

عبد الرحمن, وقد مر بنا منذ قليل أن الأمازيغ من بني الخليع, في كورة تاكرنا, رفدوا جيش عبد الرحمن بقوة لا بأس بها من الخيالة مؤلفة من أربعمائة فارس.

كان عبد الرحمن باراً بكل هؤلاء الأنصار, ويقدر لكل فئة منهم صنيعها نحوه, ويعرف تماماً حقها عليه, وفعلاً كان كذلك كما تصفه لنا المصادر التاريخية, وعندما قورن بمعاصره أبي جعفر المنصور تقاسم معه كثيراً من الصفات التي تميز الحاكم الموهوب, وخالفه وتفوق عليه في كثير منها ولا سيما بكرمه وسماحته بينما كان أبو جعفر المنصور "بخيلاً شحيحاً بين الناس وطلاب الحوائج" لكن هؤلاء الأنصار, وخاصة اليمانية منهم, لم يستوعبوا مقدار حقهم عليه أو يفهموا نفسية هذا الرجل فظنوا أنهم, منذ انتصارهم في المصارة, ودخولهم قرطبة مع الأمير, استعادوا دورهم السابق المؤثر في تسيير شؤون البلاد دون أن يخطر ببالهم أن أميرهم عبد الرحمن هو حاكم من نوع آخر مختلف عن الفهري وما سبقه من ولاة الأندلس, فما أن تولى الحكم حتى وضع يده على كل أمر, فجاء جهادهم مع عبد الرحمن, وهو ليس من أجل عبد الرحمن بل من أجل الوصول إلى السلطة والثأر من القيسية, خلافاً لما كانوا يبتغون.

عندما أحس هؤلاء أنهم أصبحوا كغيرهم من سائر الناس, لا يملكون شيئاً من مظاهر الحكم, ضاقوا بأميرهم ذرعاً وشقوا عصا الطاعة وثاروا عليه واحداً بعد آخر مدفوعين بحب السيطرة والمصلحة الخاصة, لكن الأمير المستمسك بالسلطان كوسيلة أمان وضرورة من أجل البقاء له ولأسرته[1] كان ساهراً على حماية سلطته من الضياع, فلم يقعد عن مطاردة الثائرين وقمع تمردهم بأي وسيلة تؤدي إلى القضاء على ثوراتهم.

قضى عبد الرحمن معظم سني حكمه في صراع دائم مع حزبيات الأندلس كلها, وحتى مع حزبيته الخاصة, فحطمها جميعاً وأطاح بزعمائها بالقتل أو التشريد.

فكيف تعامل عبد الرحمن مع كل هذه الحزبيات؟

---

1 أحمد بدر, صقر قريش, ص132.

1- القضاء على الزعامة القيسية:

أقام الفهري إقامة جبرية, بقصره في قرطبة معززاً مكرماً من الأمير عبد الرحمن وكان يحضر مجالسه ويبدي رأيه إذا استشير, كمجاملة, في أمر من الأمور, مع أن الأمير ما كان ليرى فيه إلا رجلاً عادياً في حين يقدِّم الصميل عليه ويمتدحه لدماثته ولباقته.

لقد دخل الفهري, خلال الفترة الطويلة التي قضاها في الحكم, بعلاقات مع الناس متعددة الأوجه ظهرت له, بحكم موقعه, تعديات على حق الغير, وهذا ما شجع خصومه الخاسرين, بعد فقدانه السلطة, على إقامة دعاوى ضد اغتصابه أملاكهم عند قاضي قرطبة يزيد بن يحيى[1], ومع أن القاضي كان يمانياً, وقد أثبت نزاهته, إلا أن أحكامه أدانت الفهري الغاصب لحقوق الخصوم رغم تدخل عبد الرحمن لدى قاضيه للتغاضي عن تجاوزات الفهري[2]. ومع ذلك كان الفهري يدعي أن كل الدعاوى المرفوعة ضده هي من تدبير عبد الرحمن, خصمه الأول ومنازعه في كل حق.

شعر الفهري, وهو في موقعه بألم شديد وزاد في إيلامه تحريضات تلقاها من بيوتات لموالي بني هاشم وبني فهر وقبائل قرشية أخرى حيث كانت هذه الفئات تنعم, في عهد الفهري, بالنفع والجاه فزال ذلك عنهم, وكانوا يأتونه ويندمونه على ما كان[3], ورغم ما كان يوفره له عبد الرحمن من طيب الإقامة وسبل العيش الكريم كان يتململ من واقعه ويتبرم من هذا النمط في الحياة إلى أن لاحت له أخيراً فكرة التمرد والعصيان, فأخذ يراسل أنصاره القدامى ممن تضرروا من حكم عبد الرحمن, ولما رفض قومه القيسيون السير معه بهذا الاتجاه التفت إلى طليطلة وماردة حيث له أنصار كثيرون كانوا غادروا قرطبة بعد المصارة, وكذلك مغاربة وأسبان ناقمون على أي حكم للمشارقة.

اختفى الفهري فجأة من قرطبة فاقتفي أثره فإذا هو بين أنصاره الكثيرين, من العرب والأمازيغ, في ماردة, ثم انضم إليه معظم سكان الإقليم من البلديين وعدد عظيم من الشاميين[4] وخرج بهم من هناك ليخوض معركة, بدون الصميل هذه المرة, واتجه بهم جنوباً لمحاصرة إشبيلية[5]. انتهت محاولة الفهري الأخيرة إلى إخفاق ذريع, فقد انهزمت قواته في معركة مع والي إشبيلية, عبد الملك بن عمر المرواني يعاونه ابنه عبيد الله على رأس قوة من مورور, فهرب باتجاه طليطلة ليجد ملجأً عند قريبه, والي المدينة, هشام بن عروة الفهري, وقبل أن يصل

---

1 أخبار مجموعه, ص94.

2 أحمد بدر, دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها, ص79.

3 أخبار مجموعه, ص95.

4 ر. دوزي, تاريخ مسلمي إسبانيا, ص218.

5 جاء في أخبار مجموعه إنه اجتمع إلى الفهري ما يزيد على عشرين ألفاً.

طليطلة بأربعة أميال, أدركته جماعة كانوا قد تعرفوا عليه فقتلوه ليريحوا الدنيا منه[1], 142هـ/759-760[2] وحملوا رأسه إلى عبد الرحمن الذي استغل ثورة الفهري للقضاء على زعماء الحزبية القيسية. وكان, عند قيام الثورة, قد سجن الصميل وابني الفهري الرهينتين, وعندما قضى على العصيان أمر بقتل عبد الرحمن بن الفهري وأبقى أخاه أبا الأسود محمداً في السجن لصغر سنه[3] أما الصميل فقد وجد ميتاً في سجنه وليس غريباً أن يكون عبد الرحمن قد دسّ عليه من خنقه خشية أن يثور قومه من القيسية إذا طال سجنه[4].

تلاشت قوة الحزبية القيسية بعد مقتل الفهري والصميل ولم يبقَ منها سوى جيب صغير لبقايا الفهريين في طليطلة ذات الموقع الجغرافي المحصن على الضفة الشمالية لنهر التاجه, وكانت المدينة تعج بالأنصار الفهريين وفئات أخرى من الحزب القيسي, فاستغل واليها هشام بن عروة (عذرة) الفهري بن أحد ولاة الأندلس السابقين[5] هذه البيئة الملائمة وأعلن عصيانه فرد عليه عليه عبد الرحمن بهجوم على طليطلة وحاصرها ثم رفع حصاره عنها في مقابل اعتراف المدينة بطاعته على أن يقدم ابنه رهينة لدى عبد الرحمن[6], وعندما نكث الثائر بعهده مع عبد الرحمن وعاد إلى عصيانه مرة أخرى, عاجله الأمير بحملة خاطفة على طليطلة وشدد عليها الحصار ثم أعدم رهينته وألقى برأسها إلى داخلها, وهنا انقلب السكان على قادة التمرد وأعلنوا طاعتهم لعبد الرحمن بأن سلموا الثائرين لقائديه المولبين, بدر وتمام بن علقمة اللذين بدورهما قدماهم للأمير ليموتوا مصلوبين على خشب نُصبت في قرطبة 147هـ/764م[7].

أما أبو الأسود محمد بن يوسف الفهري الذي حكم عليه عبد الرحمن بالسجن مدى الحياة, فقد تظاهر بالعمى, وقام بتمثيل دوره بمهارة فائقة حتى وثق به سجانوه, فدبر أمر هروبه مع أحد مواليه وفرّ من السجن قاصداً طليطلة حيث دعا لنفسه واستمال الناس ثم سار بعسكره يريد "جيان" فخرج إليه عبد الرحمن بجيوشه وهزمه أكثر من مرة وكانت الأخيرة منها في قسطلونة 168هـ/765م, فمضى نحو الغرب حيث هلك 170هـ/767م[8].

2- صراع عبد الرحمن مع الحزبيات اليمانية:

---

1 أخبار مجموعه, ص99-100, وفيها إن قاتل الفهري هو عبدالله بن عمر الأنصاري.

2 هامش الصفحة 350 من الجزء الثاني للحلة السيراء.

3 أخبار مجموعه, ص100.

4 عبادة عبد الرحمن كحيلة, صقر قريش, ص71.

5 وهو عذرة بن عبد الله الفهري تولى الأندلس 107هـ وهناك خلاف بين المراجع حول مدة حكمه, ولم يذكره صاحب أخبار مجموعه ولا ابن خلدون.

6 أخبار مجموعه, ص101.

7 أحمد بدر, صقر قريش, ص144.

8 عن هذا الثائر راجع الحلة السيراء, ج2, ص351-352-353.

بعد أن قضى عبد الرحمن على الزعامة القيسية, التفت إلى الحزبية اليمانية فخاض معها صراعاً مريراً, طالت مدته, انتهى بتحطيم استقلاليتها وقتل زعمائها. لقد انحصر نشاط اليمانية في الأندلس, في مدة تأسيس الدولة الأموية وقبلها, في منطقتين اثنتين: الأولى في الجنوب الغربي حيث تقيم قبائل الحضارمة, والثانية في الشمال الشرقي في ثغر سرقسطة (الثغر الأعلى) الحافل بجماعة كبيرة من أنصار المدينة المنورة[1].

إنه لمن المعروف لدينا أن دولة عبد الرحمن قامت على تحالف أموي – يماني هدفه الرئيس القضاء على الحزبية القيسية أولاً, وتنصيب عبد الرحمن أميراً على الأندلس ثانياً, وسرعان ما نشب الخلاف بين طرفي الحلف بسبب التناقض في نظرة كل منهما تجاه الطرف الآخر, فبينما كان زعماء اليمانية يعقدون الأمل على عبد الرحمن كواجهة يحكمون البلاد من ورائها كما كان الصميل بالنسبة للفهري خلال ما يقرب العقد من السنين, كان عبد الرحمن, وهو سليل أسرة حاكمة استقى من مفاهيمها في اقتياد الشعوب وبناء الدولة , ينظر لهؤلاء الأنصار كرعايا وأبناء بلد ليس لهم أن يشركوه في السلطة لأنه, وحده, صانع القرار.

بعد معركة شَقُنده 130هـ[2] أخذ اليمانيون يتحينون الفرص للثورة على القيسية الحاكمة طلباً بثأر قتلاهم, وتسنى لهم أن اشتركوا في الثورة على الصميل في سرقسطة, وعندما أقبل عبد الرحمن هُرعوا للاستجابة لدعوته أملاً في أن يكون هذا القادم أداةً تتيح لهم الأخذ بثأرهم من القيسية, وكان عبد الرحمن, من جانبه, يعتبرهم مطية تحمله إلى كرسي الحكم. بسبب هذا التناقض في وجهات النظر بين الطرفين, وإن كلاً منهما لم يفهم الآخر ويقدره حق قدره إلا الصميل, وحده, الذي كان يعرف حقيقة عبد الرحمن وأسلوبه في الحكم, نشب الخلاف بعد الانتصار في المصارة مباشرةً, حيث حاول اليمانيون الانقضاض على خصومهم القيسيين للتشفي منهم كعادة القبائل في الحروب السابقة, فمنعهم عبد الرحمن من ذلك فاحتجوا عليه وادعوا أن حزبيته القيسية أملت عليه هذا الموقف, فيجب التصدي له ووضع السيف في وجهه فرفض القضاعيون, ومعهم جماعة من جذام, ذلك[3], لكن عبد الرحمن احتاط للأمر باعتماده على أفراد حزبيته وتعاونه مع من بقي من اليمانية موالياً له, ثم باستقدامه جماعات كثيرة من ذويه من بني أمية ومواليه, وترحيبه بمن جاء منهم إلى الأندلس لاجئاً فيجد فيه الطمأنينة والجاه والثروة.

---

1 أحمد بدر, دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها, ص81.

2 قتل فيها, بسيف الصميل, أبو الخطار وابن حريث وسبعون من أتباعهما اليمانيين.

3 أخبار مجموعه, ص91.

ثورات اليمانية في الجنوب الغربي:

قام اليمانيون بثورات عديدة في هذه المنطقة كان أخطرها على عبد الرحمن:

ثورة العلاء بن مغيث 146هـ/763م:

بعد أن تخلص الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور 136-158هـ/754-775م من خصومه السياسيين في المشرق, حوّل تفكيره نحو الأندلس عله يجد وسيلة للتخلص من خصمه البعيد الشاب عبد الرحمن فاتصل سراً, عن طريق واليه على إفريقية, محمد بن الأشعث الخزاعي, بأحد الزعماء العرب في مدينة باجه Beja, هو العلاء بن مغيث الجذامي[1] أو اليحصبي[2]. وقيل أن الخليفة المنصور قد أرسل إلى العلاء سجله بولاية الأندلس فثار 146هـ/763م ودعا إلى طاعة أبي جعفر المنصور[3] ونشر الرايات السود[4]فانضم إليه عدد كبير من السكان من حضرموت ولخم وطيء[5]

انطلق العلاء من باجه شرقاً باتجاه اشبيلية, وكان عبد الرحمن, بعد أن جاء من طليطلة, قد أمر مساعده بدراً بالخروج للقاء الثوار واستدراجهم في معركة جانبية ريثما تتسنى للأمير عملية الانقضاض عليهم من الخلف. غادر عبد الرحمن قرطبة بنخبة من المقاتلين الأشداء أعدهم لهذه المهمة الخطيرة, ففوجئ الأمير بالتفوق العددي لخصومه فتراجع إلى قرمونه Caramona, إلى الشرق من إشبيلية[6], حيث بقي محاصراً طيلة شهرين, وبالوقت نفسه أخذ معسكر العلاء يتخلخل, فتململ المقاتلة لطول الحصار وبدأوا يتركون أماكنهم فيه ويغادرونه. جمع عبد الرحمن حوالي سبعمائة من خيرة مقاتليه وشجعانهم, وأمر بأغمدة سيوفهم فأحرقت ودفعهم إلى القيام بعملية انتحارية بـ "خروج من لا يحدث نفسه بالرجوع". اندفعت هذه الجموع فجأة على أعدائها وفتكوا بهم وانجلت المعركة عن مقتل العلاء وسبعة آلاف من أتباعه[7]. وتقول وتقول الرواية أن عبد الرحمن انتقى رؤوس البارزين والمعروفين من قتلاه, وأولهم رأس العلاء بن مغيث, وكتب اسم كل منهم على جزازة قرّطت أذنه, ووضعت الرؤوس في أسفاط بعد تحنيطها وحملت إلى مكة, حيث صادف حضور الخليفة المنصور حاجاً إليها تلك السنة, وجعلت الأسفاط عند باب سرادقه, فلما أبصرها وتعرف على رأس العلاء قال: "إنا لله ! عرضنا بهذا المسكين

---

1 ابن عذارى, البيان المغرب ج2, ص51.

2 H.Coppee, CONQUEST OF SPAIN BY THE ARAB MOORS vol2. P 112.

3 المقري, نفح الطيب, ج1, ص311.

4 كان من المعروف أن السواد هو شعار العباسيين.

5 أحمد بدر, دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها, Ipid, p112

6 الحميري, الروض المعطار, ص158.

7 أخبار مجموعة, ص103.

للقتل! الحمد لله الذي جعل البحر بيننا وبين هذا الشيطان" [1], وتقول رواية أخرى, بل أرسلت الرؤوس إلى القيروان ووضعت في أحد أسواقها, فتفشى الخبر ووصل إلى أبي جعفر بالذات [2], ولو كانت الرواية الثانية أقرب إلى التصديق لقرب المسافة بين الأندلس والقيروان, فإن لهما مدلولاً واحداً وهو أن المؤرخين أرادوا من ذلك أن عبد الرحمن أحب أن يصرف نظر الخليفة عن التفكير في منازعته الأندلس[3]. لكن الخليفة تقديراً منه لكفاءة خصمه, أطلق عليه لقب صقر قريش.

ثورة سعيد اليحصبي (المطري) 149هـ/766م:

ازدادت نقمة اليمانية على عبد الرحمن بعد قضائه على ثورة العلاء, فأضرموا نار ثورة أخرى في مدينة لبلة Nielba[4] بزعامة سعيد اليحصبي, الملقب بالمطري, من قبيلة يحصب اليمانية, حيث دعا قومه إلى الثورة فلبوا وساروا معه إلى اشبيلية فاستولى عليها[5] ثم ارتد عنها حين علم بمسير عبد الرحمن من قرطبة, وتحصن في قلعة رعواق Alcala de Guadaira فحاصره عبد الرحمن, ولما طال أمد الحصار واشتدت وطأته, حاول المطري أن يجد لنفسه طريقاً بين الجنود المحاصرين لكنه قتل في المعركة وهلك معه الكثير من أصحابه ولحق الباقون منهم بالقلعة واعتصموا بها ثم قدّموا عليهم خليفة بن مروان اليحصبي, فعاد عبد الرحمن وحاصرهم من جديد حتى نزلوا على الصلح بشرط أن يسلموه القلعة فهدمها, وأميرهم خليفة فقتله, وبعد قضائه على المطري اتجه عبد الرحمن إلى شذونة لقمع حركة حاكمها غياث بن علقمة واستئصال بقايا الفتنة, فأجبر أهاليها على طلب الأمان منه فأمنهم ورجع إلى قرطبة 149 هـ.

ثورة أبي الصباح بن يحيى اليحصبي 149هـ-766م:

واجه عبد الرحمن فتناً أخرى لليمانية كان القائمون بأمرها من أعوانه ومن بين أصدقائه الذين عاصروه أيام محنته ثم انقلبوا عليه فيما بعد. لقد اتضح لعبد الرحمن أن عداءه مع اليمانيين قد استشرى واتسع, وأن خيوط مؤامراتهم لن ينقطع في مناطقهم من غرب وجنوب غرب الأندلس حيث قام زعيم يمني آخر, وهو أبو الصباح يحيى بن يحيى اليحصبي, فشق عصا الطاعة في السنة نفسها التي ثار فيها قريبه المطري.

مرت سنون وأبو الصباح على صفاء مع عبد الرحمن لكنه انقلب عليه بعد ذلك بدافع من تعصبه لأهله وقومه اليمانية, وقد يكون للوشاة تأثيرهم على العلاقة بينه وبين عبد الرحمن

---

1 ابن عذارى, البيان المغرب, ج2, ص52. المقري, نفح الطيب, ج1, ص311.

2 أخبار مجموعه, ص103.

3 ر. دوزي, تاريخ مسلمي إسبانيا, ج2, ص222.

4 تقع في غرب الأندلس, الحميري, الروض المعطار, ص168, أخبارمجموعه, ص105.

5 ابن عذاري, البيان المغربي ج2 , ص53.

فقد أثر عنه, بعد معركة المصارة, يوم تغلب عبد الرحمن على الفهري, قوله لثعلبة بن عبيد الجذامي بوجوب القضاء على الأمير ليخلص الأندلس للقحطانية. وصل الخبر إلى مسامع عبد الرحمن فسكت عنه واسترضاه بجعله والياً على اشبيلية, ولم يلبث الأمير أن قرر أخيراً الخلاص منه فاستفزه بعزله عنها ثم اتهمه بأنه مضطلع بتدبير ثورة عليه, فعمل على استقدامه إلى قرطبة بطريقة الحيلة, وأشرك معه في تنفيذها أحد اثنين, عبد الله بن خالد[1], في رواية أو تمام بن علقمة في رواية أخرى[2], وحمَّل المكلف بالمهمة كتاباً بعهد أمان منه لأبي الصباح, فاستطاع المبعوث أن يحمل أبا الصباح على زيارة عبد الرحمن في قرطبة, ليؤكد له طاعته, مع أتباعه البالغ عددهم أربعمائة فارس إمعاناً في الاحتياط[3].

وصل الزائر, مع جماعته, قرطبة, ودخل قصر الإمارة لمقابلة عبد الرحمن لكنه لم يخرج[4]وأغلب الظن أن الأمير بيّت أمراً لاغتيال أبي الصباح مع أن الرواية الواردة في المصادر تذكر القتل وكأنه مجرد مصادفة لا بخطة مرسومة سابقاً[5], وأيضاً ليس بغريب على عبد الرحمن إذا قلنا أن في هذا القتل شيئاً من سبق الإصرار[6].

كان اغتيال أبي الصباح نتيجة عدم ثقة عبد الرحمن وتشكيكه بإخلاص عرب الأندلس ولاسيما اليمانيين منهم, فلقد تبين له أن تحالفهم معه كان انتهازياً وقائماً على المصلحة فحسب[7]. فحسب[7].

ثورة حيوة بن ملامس الحضرمي:[8] 154 أو 156هـ[9]

عاد اليمانيون لعصياناتهم في الغرب والجنوب الغربي مستغلين انشغال عبد الرحمن بقمع ثورة أحد المغاربة الأمازيغ في منطقة شنت بريّة Santaver مطالبين بدم أبي الصباح. تزعم الثورة حاكم اشبيلية, حيوة بن ملامس الحضرمي, وكان من أعز أصدقاء عبد الرحمن, بمعونة اثنين من أشراف قبيلة يحصب اليمانية[10], وانضم إلى الثورة عدد من أقارب أبي الصباح في لبلة

---

1 هو صهر عبيد الله بن عثمان, أحد كبار زعماء الموالي في جند دمشق النازل في كورة إلبيرة, وكان الاثنان قد تبنيا دعوة عبد الرحمن في الأندلس.

2 أخبار مجموعة, ص105-106.

3 أخبار مجموعة, ص106

4 تذكرنا هذه الحادثة بأخرى مماثلة ومعاصرة لها جرت لأبي مسلم الخرساني على يد أبي جعفر المنصور الذي استدرجه إلى بغداد ثم قضى عليه 149هـ/766م.

5 أحمد بدر, صقر قريش, ص156

6 دوزي , تاريخ مسلمي اسبانيا, ج2 , ص225.

7 إبراهيم بيضون, الدولة العربية في الأندلس, ص195.

8 انظر ترجمته في بغية الملتمس ص234, رقم 672, وجذوة المقتبس , ص174 – 390.

9 هناك خلاف حول تاريخ حدوث هذه الثورة: أحمد بدر , صقر قريش , ص160.

10 H. Coppee HISTORY OF THE CONQUEST OF SPAIN vol2. P.116.

وباجة, ومغاربة من سكان المنطقة, سارع عبد الرحمن, دون تمهل, كعادته للتصدي للثائرين بعد أن أصبحوا على مقربة من قرطبة, فسيّر أمامه قعدد بني أمية[1], عبد الملك بن عمر بن مروان, على رأس جيش وعلى طلائعه ابنه معاوية, حيث تمكنوا من إيقاف تقدم الثوار, إلى أن وصل عبد الرحمن إلى منطقة القتال, والتقى جموع اليمن الغفيرة ومن شايعهم من الأمازيغ حيث لم يجد بداً من اللجوء إلى الحيلة, فاستدعى مواليه من العرب والأمازيغ, وكان فيهم بنو الخليع, وقال لهم أن يعظوا أبناء عمومتهم في صفوف الثائرين, ويفهموهم أنه إذا تغلب العرب – فلا بقاء لهم معنا, وعندما أقبل الليل تسللوا إلى معسكر العدو وأفهموا أقاربهم أن هزيمة الأمير, وفقدانه عرشه معناه زوالهم من الأندلس نهائياً لأنه الوحيد القادر على درء خطر العرب عنهم. انطلت هذه الخدعة على الأمازيغ الذين وعدوا بالتخلي عن اليمانية عندما ينشب القتال, وفعلاً برّوا بوعدهم لأن مصلحتهم تقتضي الانضمام إلى عبد الرحمن خوفاً من العرب[2] , وقالوا لليمانيين بأنهم لا يستطيعون القتال إلى على ظهور الجياد بينما يجيده اليمانية راجلين, وعندما نشبت المعركة تخلى اليمانيون عن خيولهم للأمازيغ فانضم هؤلاء, فرساناً, إلى فرسان الأمويين وأحدقوا باليمانيين وأعملوا فيهم القتل حيث ملأت جثث ثلاثين ألف منهم, وبينهم حيوة بن ملامس, ساح المعركة, وأفلت شريكه في الثورة, عبد الغافر اليحصبي, فركب البحر وفرّ إلى المشرق, ودفنت جثث القتلى في خندق ظلّ باقياً حتى أيام ابن القوطية, القرن الرابع الهجري والعاشر الميلادي[3].

حركات اليمانية في الثغر[4]:

كانت منطقة الثغر الأعلى وقاعدته سرقسطة على نهر الإيبرو Ebro, المنطقة الأكثر ازدحاماً باليمانية بعد منطقة الجنوب الغربي التي كانت مسرحاً لعدة ثورات قاموا بها على عبد الرحمن فقمعها جميعاً, ولذلك عمد المتمردون من يمانية الثغر إلى الاستعانة بقوى أجنبية يساعدهم على ذلك بعدهم عن قرطبة وقربهم من مواقع تلك القوى[5], ففي حوالي 160هـ – 776م 776م تعرض الأندلس لغزو خارجي مصدره افريقية استهدف منطقة تدمير على الساحل الشرقي (مرسية), قاد الحملة البحرية عبد الرحمن بن حبيب الفهري المعروف بالصقلبي[6], لاختلاف ملامحه عن العرب وشبهه الشديد بصقالبة أوربة ذوي القامة الطويلة واللون الأشقر والعيون

---

1 القعدد: أقرب الفروع إلى الأصل.

2 ر. دوزي, تاريخ مسلمي إسبانيا, ج2, ص227.

3 أخبار مجموعه, ص108. ابن عذارى, البيان المغرب, ج2, ص55.

4 نقصد ثغر سرقسطة في الشمال الشرقي ويدعى بالثغر الأعلى, بينما دعيت طليطلة بالثغر الأوسط, وماردة بالثغر الأدنى.

5 أحمد بدر, صقر قريش, 165–166.

6 وهو غير عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة الذي مر ذكره وهو مثله من أهل بيت يوسف الفهري وكان لا يزال يحمل عداوة مريرة لأمير الأندلس.

الزرق. ومن تدمير كاتب الصقلبي سليمان بن يقظان الأعرابي الكلبي في برشلونة ودعاه إلى الانضمام إليه[1] والدخول في طاعة الخليفة العباسي المهدي 158–169هـ/775–786م فأجابه ابن الأعرابي بما أثار غضبه, فحمل عليه بمن معه من جند مغاربة كان قد اجتلبهم على سفنه من افريقية, لكنه اندحر في تدمير قبل أن يباغته عبد الرحمن بهجوم ساحق دمّر سفنه ليقطع عليه طريق الهرب, فتقهقر الصقلبي أمام الهجوم وفر في قلال صحبه إلى ملاذ حصين بناحية بلنسية حيث اغتاله أحد المغاربة البرانس بدس من عبد الرحمن 162هـ[2].

لم تتوقف مؤامرات اليمانية للإطاحة بنظام عبد الرحمن, وهاهي تمتد إلى الشمال لتتخذ من سرقسطة مسرحاً لها حيث قام فيها تحالف سياسي عقده اثنان من زعماء اليمانية هما سليمان بن يقظان الأعرابي الذي كان يبحث عن شريك له في منطقة ثانية فوجده في والي سرقسطة الحسين بن يحيى الأنصاري, من ولد سعد بن عُبادة, ولو كان بعض المؤرخين يشيرون إلى دخول الصقلبي في هذا الحلف وإعطائه دوراً هاماً كصلة وصل بين بغداد والأعرابي, فإن المصادر لم تأت بما يحملنا على الاعتقاد بهذا الرأي, ومن المرجح أن المذكور الصقلبي ليس غير دعي انتحل صفة شرعية فأثار حوله ضجة بين الناس ليشدهم إلى الالتفاف حوله, لكنه أخفق[3].

اندلعت ثورة الشمال منذ حوالي 159هـ – 776م[4], يقودها الحسين بن يحيى الأنصاري وحليفه, المحرض الرئيسي على مقاومة سلطة عبد الرحمن, سليمان بن يقظان الأعرابي, لسلخ هذه المنطقة عن الدولة[5], فوجه عبد الرحمن حملة عسكرية بقيادة ثعلبة بن عبيد الجذامي لقمع الثورة لكنه أسر بأيدي الثائرين وتفرق جيشه[6], أراد سليمان بن يقظان[7] الاعتماد على قوة خارجية خارجية للوقوف بوجه عبد الرحمن فاستغاث بملك الفرنجة شارلمان 771–814م, فذهب إليه, وبمعيته أسيره قائد عبد الرحمن, ثعلبة بن عبيد الجذامي, ليؤكد صدق تعاونه مع الملك الكارولنجي[8], وكان شارلمان حينذاك في ساكس في مدينة Paderborn يعقد اجتماعاً سنوياً في

---

1 أخبار مجموعة, ص115.

2 أخبار مجموعة, ص111, ابن عذاري, البيان المغرب ج2, ص56.

3 ابراهيم بيضون, الدولة العربية في اسبانيا , ص197.

4 يذكر الدكتور أحمد بدر في صقر قريش ص168 أن الثورة اندلعت سنة 163هـ 779م وهو لا يغفل أبداً مجرى أحداثها لأن الروايات تقول أن الأعرابي, عندما استغاث بشارلمان 777م في بادربورن, اصطحب معه أسيره ثعلبة بن عبيد الجذامي, قائد عبد الرحمن المكلف بقمع الثورة.

5 H. Coppee HISTORY OF THE CONQUEST OF SPAIN vol2. P.119.

6 أخبار مجموعة , ص112–113

7 اختلفت المراجع بشأنه فمنها يجعله والياً على برشلونة وأخرى تجعله على سرقسطة, ويبدو أنه كان والياً على سرقسطة كما جاء في أخبار مجموعة ص113.

8 ابراهيم بيضون, الدولة العربية في إسبانيا, ص199

في أيار عام 777م/160هـ لكبار قادته ومستشاريه, بعد أن نجح في مشاريعه العسكرية في ما وراء الألب والراين[1] للتشاور في شؤون دولته, وليعرض عليهم نتائج أعماله الحربية[2] فقام الأعرابي بمقابلة شارلمان وعرض عليه أن يتحالف معه ضد أمير قرطبة, ونسق معه مشروع تسيير حملة لهذا الغرض يتولى الأعرابي تيسير مهمتها عند سرقسطة[3], وكانت قد خامرته فكرة بسط سيطرته على ما وراء البيرينيه, أو, على الأقل, إعطاء نفسه صورة الحامي للمسيحيين من مسلمي إسبانيا[4] بعد أن فرغ من قتال الساكسون Saxon الجرمن الوثنيين وأرغمهم على اعتناق المسيحية.

رحب شارلمان بالطرح الذي عرضه الأعرابي, فسار في ربيع 778م/161هـ بجيشه إلى إسبانيا, وعندما بلغ نهر الغارون قسم جيشه إلى قسمين, كل يسير بجهة إلى أن يلتقيا عند سرقسطة, فعبر الأول جبال البيرينيه الشرقية, وعبر الثاني, وكان تحت قيادته المباشرة, البيرينيه من ممرات رونسيفو أو رونسيفاليس Roncesvalles التي يسميها العرب باب الشيزري[5]. ثم عبر بلاد نباره وفي قاعدتها بامبلونة, قدم له زعماؤها من البشكنس والغاسكون طاعتهم له. التقى الجيشان أمام سرقسطة على أمل أن تفتح المدينة أبوابها لشارلمان حسب ما أكده ابن الأعرابي, غير أن الحسين بن يحيى الأنصاري, يسانده سكان المدينة الغاضبون على مواقف الخونة, رفض تسليم المدينة وأغلق أبوابها بوجه الغزاة, فضرب شارلمان عليها الحصار مؤملاً فتحها سريعاً لقلة مؤنها, لكنها قاومت أكثر مما كان ينتظر. وفي هذه الأثناء بلغه خبر ثورة قامت بها عليه قبائل السكسون حيث وجد أن الأخطار في الشمال أكثر خطورة من أي تهديد يمكن أن يلحقه من سرقسطة[6] ففك حصاره عن المدينة واتجه بقواته نحو بلاد الغال مصطحباً معه ابن الإعرابي أسيراً لاعتقاده إنه غرر به وتسبب له بإخفاق كبير وخسارة فادحة.

تراجع شارلمان وعاد خائباً بفلول جيشه, وعندما دخل بامبلونه دمّر حصونها حين وجد أنه لا سبيل إلى بقائه في نبارة. ولما عبر منعطفات الرونسيفال الضيقة والعميقة تعرضت مؤخرة جيشه لهجمات شنها مطروح وعيشون ابنا الأعرابي, ومن تعاون معهما من البشكنس والغاسكون[7]

---

1 كان شارلمان قد استولى على لومبارديا Lombardi وساكسونيا Saxoni في شمال ألمانيا.

2 Ibid, p.121.

3 Stanley Lane-Poole-Moors in Spain, p.33.

4 نور الدين حاطوم, العصر الوسيط في أوربا, ص165.

5 يقع هذا الممر في سفح جبل التابيسكار ومضيق ابانيتا الجبلي ثم ينحدر الطريق إلى إسبانيا عبر وادي نهر تشاريان تشاريان الصغير ليمتد حتى مدينة بامبلونة بطول قدره 17 ميلاً.

6 H.coppe'e HISTORY OF THE CONQUEST OF SPAIN VOL2. P.132.

والغاسكون[1] الحانقين على الفرنجة تخريبهم عاصمتهم بامبلونة[2], مزقتها وأسفرت عن إنقاذ ابن الأعرابي وقتل قائد جيش شارلمان ايجيهارد Eggihard وكونت البلاط انسلمو Anselmo وحاكم ثغر بروتانيا Brittany رولان Roland النبيل. وكان لهذه الكارثة التي حلت بشارلمان أثر كبير في النتاج الأدبي وشعر الملاحم, فبعد ثلاثة قرون على هذه الواقعة أصبح رولان بطلاً للقصيدة الفرنسية الذائعة الصيت (أغنية رولان) Chanco de Roland[3].

كان درس الرونسيفال قاسياً جداً, ذلك أن ملك الفرنجة لم يعد يغامر, إذ اعتزم القيام بحملة أخرى إلى إسبانيا, حتى العام 180هـ/796م[4], ومن ناحية أخرى ليست هذه الحادثة بذات أهمية كبيرة من وجهة النظر العسكرية, لكن النتيجة الأهم للحملة هي الإخفاق الذريع في الاستيلاء على سرقسطة[5].

عاد ابن الأعرابي إلى سرقسطة واستأنف سيرته في التآمر على عبد الرحمن الذي أدرك أن السبيل إلى التخلص منه يقوده إلى الإيقاع بينه وبين الأنصاري, فلما تسلم هذا عهداً من عبد الرحمن بتعيينه والياً على سرقسطة في حال قضائه على الخائن ابن الأعرابي سارع إلى تنفيذ الخطة يوم جمعة حيث اغتاله في جامع سرقسطة[6]. وعندما وصل عبد الرحمن, كانت الخطة قد نفذت فعين الحسين بن يحيى الأنصاري والياً على المدينة بعد أن قدم ابنه سعيداً رهينة ضماناً لطاعته[7]. وبعد يوم واحد هرب الابن ثم أعلن أبوه العصيان في سرقسطة في العام التالي فتولى أمره غالب بن تمام بن علقمة, ومع أن هذا قد تمكن من أسر جماعة من أصحابه بينهم ابنه يحيى حيث قتلوا في قرطبة 165هـ/781م, كما قتل عيشون بن سليمان الأعرابي مصلوباً على النهر عندما حاول اغتيال الأمير بسكين كانت معه, فإن الثائر الأنصاري ما زال يقاوم معتصماً بأسوار المدينة إلى أن جاءت سنة 166هـ/782م فاستخدم سلاح المنجنيق في حصارها وأرغم

---

1 محمد عبدالله عنان, دولة الإسلام في الأندلس, العصر الأول, ص178: يروي عنان عن العالم الإسباني بيدال Pidal أن المسلمين تعاونوا مع البشكنس في موقعة باب الشيزري (الرونسيفال) وعند عنان أن المسلمين هم الذين دبروا الهجوم على مؤخرة الجيش

2 نفس المرجع, ص176: هدم شارلمان حصون بامبلونة وأسوارها حتى لا تعمل على مقاومته ثانية ولكي يضمن لجيشه طريقاً مأموناً في عوده إلى فرنسا.

3 عن الانترنت, موقع ويكيبيديا.

4 Ibid, P. 147.

5 مونتغمري واط, في تاريخ إسبانيا الإسلامية, ص49.

6 أخبار مجموعة, ص114.

7 المصدر السابق, نفس الصفحة.

أهلها على الاستسلام وتقديم الأنصاري وابنه, فقتل الثائر ومعه رجل من أمازيغ البرانس[1] وفر ابنه سعيد فعادت سرقسطة طائعة إلى عبد الرحمن ثم انتهت مطامع الفرنجة وراء البيرينيه.

بقضاء عبد الرحمن على ثورة ثغر سرقسطة استعادت دولته هيبتها في غربي البحر الأبيض المتوسط بعد أن عملت على فقدانها الصراعات الداخلية بين الحزبيات السياسية ومنافساتها على الحكم. وبرز عبد الرحمن الداخل حاكماً مقتدراً لدولة إسلامية جديدة له مكانته واحترامه عند شارلمان. فساد الهدوء والسلام بين البلدين الجارين ولكن إلى حين, وقيل أن اتصالات جرت بين الطرفين لإقامة علاقات ود وصداقة, وحتى مصاهرة, بين العاهلين, ولو أنه لم يتم شيء من هذا, فقد أدت الاتصالات إلى خلق جو من المهادنة والاستقرار بين جانبي البيرينيه.

3- عبد الرحمن والحزبية الأمازيغية:

كان عبد الرحمن يتصدى للثائرين واحداً بعد آخر, وأحياناً كان يحاربهم على أكثر من جبهة, ورغم ذلك, استطاع إخماد تلك الثورات والقضاء على قادتها, وبذلك حقق نجاحاً باهراً في تطويع القبائل العربية من الحزبين, وأرغمها على الدخول في طاعته والاعتراف بسلطته.

كان الأمازيغ ناقمين على شركائهم العرب استئثارهم بالحكم في الأندلس, وكانوا قد ثاروا في المغرب متأثرين بأفكار المذاهب الخارجية, وعندما امتدت حركتهم إلى الأندلس انخرطوا في كل الثورات التي قامت هناك لسوء أوضاعهم وميلهم الشديد لإثارة الفتن.

ففي سنة 150هـ/767م ثار الأمازيغ بشَنت بريّة Santa Maria فسار إليها بدر وتقدم إلى ألبة Alaba فأذعنت ودفعت له الجزية[2]

وفي سنة 152هـ/769م ثار رجل من أمازيغ مكناسة Meknasa (Meguinez) ادعى أنه من نسل الحسن بن علي, اسمه شاقية بن عبد الواحد المكناسي, اشتغل أول أمره معلماً للصبيان في مبادئ النحو والعلوم الدينية والأدبية, ثم استغل الرجل اسم أمه, وكانت تسمى فاطمة فادعى أنه فاطمي من ولد فاطمة الزهراء, وتسمى بعبدالله بن محمد, ثم انتقل إلى شنت برية, إلى الشرق من وادي الحجارة, فقتل عاملها, حيث أن أغلبية كبيرة من قبائل الأمازيغ كانت

---

1 اسمه رزق في أخبار مجموعة, ص116.

2 ابن عذارى, البيان المغرب, ص54.

تقطن هذه النواحي ولا سيما مكناسة التي كان منها قائد الثورة شاقية[1] فاجتمع إليه الناس من كافة النواحي مخدوعين بهذا الفاطمي الدعي[2].

استطاع شاقية, عن طريق اعتناقه المذهب الشيعي, أن يستغل مشاعر الناس, في الثغرين الأوسط والأدنى[3], في تنظيم حركة سياسية دينية تعتبر الأولى من نوعها التي قامت في الأندلس في محاولة لإقامة دولة شيعية امتدت ثمانية أعوام 152هـ-160هـ/769-777م[4].

تحدثنا الروايات التاريخية عن قيام حملات عديدة وجهتها حكومات قرطبة للقضاء على هذه الحركة, لكن شاقية, الذي يتمتع بقدر كبير من الدهاء والمكر, كان يتخلص كل مرة من أخطارها بخطة ذكية تقوم على حرب العصابات, فكلما أرسل عبد الرحمن إليه من يقاتله لاذ بأعالي الجبال, وقد ساعدته على ذلك طبيعة المنطقة التي تكتنفها الجبال وتغطي فيها مساحات واسعة, فكان يروغ في وديانها وبين منعطفاتها, فلما استفحل أمره عهد عبد الرحمن إلى واليه على قرطبة, حبيب بن عبد الملك, فاستخلف على شنت برية سليمان بن عثمان بن مروان من ولد عثمان بن عفان, فنزل شاقية من الجبال واستولى على ماردة وقورية Coria والأراضي بين التاجة ووادي آنه.

بقي على عبد الرحمن استعمال الحيلة للإيقاع به وهي طريقته المعتادة في القضاء على خصومه, فعمل على شق صفوف الأمازيغ وتفريق كلمتهم, فعين على غرب الأندلس خصماً لشاقية هو هلال المديوني, كبير أمازيغ شرقي الأندلس, وعهد إليه بأمر الفاطمي فأدى ذلك إلى انفضاض الكثيرين من أتباعه الأمازيغ عنه والتفافهم حول زعامة المديوني, ثم اعتمد عبد الرحمن إجراءً آخر ضد شاقية ساعد على إبعاد أنصاره عنه بإنزاله أشد العقوبات بكل من يشايعه أو يدخل في شيء من أمره "ودوخ بلاد البربر وقتل منهم خلقاً كثيراً وأذلهم"[5]. عملت هذه الإجراءات على إنهاك قوى شاقية فالتجأ إلى قرية العيون في شنت برية حيث اغتاله اثنان من رفاقه هما أبو معن داود بن هلال وكنانة بن سعيد الأسود[6] فانتهت بذلك أخطر ثورات الأندلس

---

1 أخبار مجموعة, ص107.

2 عبد القادر قلاتي, الدولة الإسلامية في الأندلس, ص35.

3 انظر أعلاه ص116.

4 محمد سهيل طقوس, تاريخ المسلمين في الأندلس, ص159.

5 ابن عذارى, البيان المغرب, ج2, ص55.

6 أخبار مجموعة, ص211.

على الإطلاق حتى ذلك التاريخ إذ أنها سببت الكثير من المشكلات لدولة عبد الرحمن الفتية بانتشارها الواسع في محيط الأمازيغ, ومحتواها الفكري وما نجم عنه من التفاف منقطع النظير حول قائدها المثير للعديد من التساؤلات بشأن قدرته على استغلال الناس لجذبهم إليه وانصياعهم له بالمكر والشعوذة[1].

4- عبد الرحمن وحزبه الخاص:

لقد تشكل حزب عبد الرحمن الداخل من:

أولاً: موالي بني أمية, وهم من أصول عرقية مختلفة, كانوا قد جاؤوا إلى الأندلس, إما من إفريقية على شكل هجرات أو برفقة الولاة المكلفين بولاية هذا البلد, وإما من المشرق كجنود في الحملات العسكرية التي أرسلها خلفاء دمشق لحرب الخارجين على القانون, من أمازيغ وغيرهم, كما في طالعة بلج كما مر سابقاً, ولا يستثنى منهم جماعة من الأمازيغ, وبعض الإسبان فيما بعد[2] الذين دخلوا في ولاء بني أمية, وكان لهؤلاء الموالي اليد الطولى في دعوة عبد الرحمن وإقامة دولته على أرض الأندلس. وقبل ذلك كان لهم حظوة كبيرة عند يوسف الفهري والصميل حيث استغاثهم فأقبلوا في جملة المدد الذي أعانه على ثوار سرقسطة.

ثانياً: من الأمويين الأقحاح المنحدرين من جدهم الأعلى أمية بن عبد شمس, وعندما قضى العباسيون على دولتهم في الشام تفرقوا في أصقاع الأرض ناجين بأرواحهم, فما أن قامت دولة عبد الرحمن حتى تقاطر إليها الأمويون من هنا وهناك طالبين ملاذاً آمناً يستظلون تحت أفيائه, وقد رحب عبد الرحمن بأقاربه ويسر لهم الأمن وسبل العيش الكريم, والأكثر من ذلك أرسل في طلب من تخلف منهم ليكونوا بقربه على الرحب والسعة ولعبد الرحمن أبيات من الشعر نرى فيه نعرته الأموية الأصيلة حين جاءه أبناء عمومته فوصلهم وأكرمهم وقلدهم أسمى الوظائف.

كان بين هؤلاء الأمويين الوافدين إلى الأندلس من هم من أهل بيته كابنه سليمان وأخيه الوليد بن معاوية, ومن هم من أبناء عمومته الأبعدين مثل عبد الملك بن بشر بن عبد الملك بن بشر بن مروان المعروف بالبشري وقد أثرت عنه أشعار قالها في مقتل أبيه على يد العباسيين[3], وحبيب بن عبد الملك بن عمر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان, وكان أثيراً عند عبد الرحمن

---

1 محمد سهيل, تاريخ المسلمين في الأندلس, ص159.

2 عبدالله بن محمد (ابن الفرضي), تاريخ علماء الأندلس, ط. بيروت 1997, ص153, رقم 543 يذكر أن سعد بن ابراهيم كان مولى عتاقة للإمام عبد الرحمن.

3 ابن الآبار, الحلة السيراء, ج1, ص58-59.

وله دالة عليه ومقرباً إليه فولاه طليطلة وأعمالها, وكان حبيب من مستشاري ومن نقباء دولته وسائر أصحابه[1], وكان من أكثر هؤلاء بروزاً في المجال العسكري, قعدد بني أمية عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم صاحب الدور الكبير في توطيد دولة عبد الرحمن, بخوضه مع ابنه عبد الله[2], معارك كثيرة ضد الثائرين فكافأه عبد الرحمن بحكم إشبيلية, وابنه عبدالله بمورور, واستوزر ثلاثة من بنيه: عبدالله وابراهيم والحكم[3].

رغم أن عبد الرحمن كان باراً بأهل بيته وأقربائه كما كان كذلك مع أصدقائه فقد أثر عنه أنه قال "أعظم ما أنعم الله تعالى به علي بعد تمكني من هذا الأمر, القدرة على إيواء من يصل إليّ من أقاربي والتوسع في الإحسان إليهم, وكبري في أعينهم وأسماعهم ونفوسهم, بما يمنحه الله تعالى من هذا السلطان الذي لا منة علي فيه لأحد غيره" فإن هؤلاء الأقارب كانوا يرون أن عبد الرحمن اغتصبهم حقهم في مشاركته السلطة فهم مثله من ذرية هشام بن عبد الملك, بينما يرى عبد الرحمن أن السلطة من حقه وحده وهؤلاء الأقارب مجرد أتباع له.

لقد واجه عبد الرحمن في غابر أيامه غدر الأعداء, ثم واجه أيضاً غدر الأصدقاء, فإذا به الآن يواجه غدر الأهل والأقرباء, ففي عام 163هـ/780م حاك أول مؤامرة عليه عبيد الله بن أخيه إبان بن معاوية بن هشام الذي وقع بأيدي العباسيين وأماتوه ميتة شنيعة, واشترك معه فيها ابن عم لعبد الرحمن وآخرون من كبار القوم في قرطبة, واتهم معه زعيم موالي الأمويين عبيد الله بن عثمان, ذو السعي الحميد في سبيل دعوة عبد الرحمن وتوطيد دولته. تجسس أحد موالي عبد الرحمن على المتآمرين, وهم في منزل عبيد الله بن إبان, ونقل الخبر إلى بدر فأنفذه, بدوره, إلى عبد الرحمن فبادر إلى القبض عليهم وإعدامهم[4].

بعد مرور سنوات قليلة على هذه المؤامرة قامت على عبد الرحمن مؤامرة أخرى دبرها المغيرة ابن أخيه الوليد بن معاوية بن هشام الذي ما زال حياً يرزق, بالاشتراك مع هذيل بن

---

1 نفس المصدر, ص59-60.

2 اسمه عمر في نفح الطيب, ج1, ص308.

3 نفس المصدر, ص56-57. يذكر محمد عبدالله عنان في كتابه: دولة الإسلام في الأندلس, العصر الأول, ص197 أن عبد الرحمن لم ينشئ منصب الوزارة واستعاض عنها بأعوان وأشياخ من خاصته وأهل شوراه, بل أنشأ منصب الحجابة.

4 أخبار مجموعة, ص109-110.

الصميل الحانق على عبد الرحمن قتله أباه خنقاً في محبسه, ووشي لعبد الرحمن بالمتآمرين فأنزل بهم عقوبة الموت 168هـ/784م.

كان لهاتين المؤامرتين وقع شديد على عبد الرحمن من الناحيتين النفسية والمعنوية, فخاب أمله بأهله ولم يعد يأمن على نفسه منهم, وراوده شعور بفشله في كسب رضاهم وهو كبيرهم في بني أمية[1]. لقد تألم كثيراً ولفه الحزن بعدما أعمل السيف بابن أخيه إذ كان لا يملك غير ذلك, ولقد استغرب أن يلقى من هؤلاء الغدر على معروفه نحوهم, فبعد أن وفر لهم الأمن والنعمة أقبلوا عليه بسيوفهم كما يقول, وكيف تطيب له نفس بمجاورة أخيه بعد "قتل ولده وقطع رحمه", ثم طلب إلى أحد مواليه أن يخرج إلى أخيه الوليد ليعتذر له, وسلمه خمسة آلاف دينار ليدفعها إليه ثم يسأله الخروج من الجزيرة إلى حيث يشاء من بر العدوة, ففعل المولى ما أمره به سيده وخرج الوليد من الأندلس إلى غير رجعة.

وكان عبد الرحمن قد اعتمد على موالي الأمويين في إقامة دولته وفي تسيير شؤونها, فاتخذ منهم قادة وإداريين وقلدهم وظائف عليا في الدولة فظهر منهم رجال أكفاء يدين لهم عبد الرحمن بكثير من الفضل على توطيد دعائم دولته مثل مولاه بدر, وعبيد الله بن عثمان, وعبد الله بن خالد, وتمام بن علقمة, لكن علاقته مع مواليه الأعوان لم تدم كما كانت عليه, فلقد تعرضوا لسوء الظن ثم المساءلة فالمحاكمة الجائرة فالإعدام أو, على الأقل, التجريد من الوظيفة والنفي, وكان عبد الله بن خالد أول الذين هجروا عبد الرحمن, ورفضوا العمل إلى جانبه لأن هذا خذله عندما احتال على أبي الصباح باستقدامه إلى قصر قرطبة وغدر به وقتله على الرغم من عهد الأمان الذي أرسله إليه مع عبدالله بن خالد الذي أقسم ألا يدخل في خدمة عبد الرحمن بعد ذلك فانعزل عنه, وحذا حذوه كل من هو شريف. فحدث ذات يوم أنه اختار, لمنصب قاضي الجماعة في قرطبة, "مصعب بن عمران الحمداني" بناءً على مشورة خاصته, فامتنع مصعب[2], وكان رجلاً فاضلاً "ويقضي ما رآه صواباً"[3] لظنه أنه سيكون أداة لتمرير أوامر سيده, فغضب عبد الرحمن لمجرد الرفض ثم قال له: "نعم فعلى المشيرين بك لعنة الله وغضبه"[4].

---

1 أحمد بدر, صقر قريش, ص182.

2 الخشني, قضاة قرطبة, ص3.

3 ابن الفرضي, تاريخ علماء الأندلس, ص397, رقم 1432.

4 ابن القوطية, تاريخ افتتاح الأندلس, ص97.

أما شيخ موالي الأمويين, عبيد الله بن عثمان مستضيف عبد الرحمن في طُرّش ونصيره في معركة المصارة, فقد أحسّ أن شيئاً ما يبيته الأمير للقضاء عليه, ولذلك ورط ابن أخته, دحية الغساني[1] في فتنة الفاطمي ليثبت لعبد الرحمن عدم استغنائه عنه, وكان دحية قبل ذلك في جملة قواد عبد الرحمن الذين سيرهم لقمع الفتنة, ولكنه لم يلبث أن نكث بعهده ولحق بالفاطمي[2], ولما أخفقت فتنة الفاطمي لاذ دحية بحصون البيرة فوجه إليه عبد الرحمن شهيد بن عيسى بن شهيد فقبض عليه وقتله رغم توسلات عبيد الله بن عثمان[3]. وقبل هذا الوقت كان عبيد الله قد اشترك في مؤامرة دبرها اثنان من أقارب الأمير فقُتل المتآمران ونجا عبيد الله لأن عبد الرحمن لم يستطع إقامة الدليل على تورطه بالحجج الكافية فتراجع عن قتله وقال: "سأعتبه عتباً أشد من القتل" ثم أهمله ولم يعد يكترث به.

لم تتوقف الفتن والثورات في وجه عبد الرحمن حتى أخريات أيامه, حيث خرج عليه, وهو على مشارف الستين, بنو نفزة قبيلة أخواله, ولما افتضح أمرهم لم يرحمهم, فقد أوقع بهم وأعمل فيهم القتل والتشريد.

بقي من بين هؤلاء الأصدقاء – الأعوان, من نجا من بطش عبد الرحمن, واحد من أعز أصحابه وأكثرهم قرباً ونفاذاً إلى قلبه, بدر الأمين, رفيق الدرب والهرب والتشرد, الذي أتعبته الحروب, وأنهكته ملاحقة الثائرين من موقع إلى آخر, فأراد أن يستريح بعد طول عناء, فلقد أعطى أكثر بكثير مما أخذ, وها هو عبد الرحمن يأمره بالقيام بغزوة فأبى وقال: "تعبنا أولاً لنستريح آخراً". أثارت هذه الكلمات غضب عبد الرحمن الذي أخذت غيوم الشك والظنون تملأ عليه عقله وقلبه وتحوم حول قائده وفارسه النبيل بدر, وربما كان للوشاة دور في الإيقاع بين الاثنين, فلوحوا للأمير بما يعتزمه بدر للإقدام على خيانة سيده والتآمر عليه, وكل ما نعرفه عن العلاقة بين الاثنين, بحسب الروايات, أن بدراً لم يكن يولي سيده ما يستحقه من التقدير والاحترام وإن نفسه كانت تأبى الإذعان لأوامر سيده الظالمة[4].

---

1 اسمه وجيه في بعض المراجع.

2 محمد عبد الله عنان, دولة الإسلام في الأندلس, العصر الأول, ص186.

3 أخبار مجموعة ص111.

4 أحمد بدر, صقر قريش, ص187. دوزي, تاريخ مسلمي إسبانيا, ج1, ص233.

دبت البغضاء بين السيد ومولاه, فصادر عبد الرحمن أملاكه وأغرمه أربعين ألف دينار[1] وفرض عليه إقامة جبرية في منزله وعفا عنه, لكنه جافاه وأهمله ثم أقصاه إلى الثغر على الحدود ليعيش بقية حياته حسيراً مغموراً "فانتهى في عقابه لما سخط عليه أن سلب نعمته, وانتزع دوره, وأملاكه, وأغرمه على ذلك كله أربعين ألفاً صامتة ونفاه إلى الثغر, فأقصاه عن قربه .. إلى أن هلك". وبالمقابل لم يكن عبد الرحمن بأحسن حالاً من مولاه لأنه, كلما تقدمت به السنون كان يجد نفسه وحيداً فرداً لا من يأنس إليه, فقد ابتعد عنه الأصحاب وفارقوه, وانفضت عنه الزعامات العربية وغيرها, وانقطع حبل التواصل بينه وبين مواليه وأهل بيته, فبعد أن كان يمر بشوارع قرطبة وحيداً يكثر من الاختلاط بأهلها إذ كان قريباً من قلوبهم, نراه اليوم حبيساً في قصره محاطاً بجيش من حرسه الموالي[2].

إدارة عبد الرحمن:

ولو كانت الحروب ومطاردة الثائرين قد شغلت سحابة حياة عبد الرحمن, فإن أمر الأندلس قد آل إليه وأصبح سيده دون منازع بعد قضائه على خصميه الفهري والصميل اللذين يمثلان الفترة المظلمة المضطربة من تاريخ الأندلس, وبذهابهما اختفى الكثير من ثارات الحزبيات القبلية وتحول الأندلس, تحت إدارة عبد الرحمن, إلى دولة إسلامية مستقلة راسخة البنيان تديرها مؤسسات يشرف عليها عبد الرحمن إشرافاً مباشراً.

كانت سلطة عبد الرحمن ملكية مطلقة هي أقرب إلى الاستبداد والتفرد بالحكم منها إلى التقيد بمبادئ الشورى, وكانت إدارته مركزية إلى حد بعيد متأثرة بالنظام الإداري لدولة أجداده الأمويين, ورغم ذلك فقد أخضع نظم الإدارة إلى كثير من التعديل بما يتناسب مع مفهومه للحكم ويتلاءم مع الوضع الجديد للأندلس كدولة مستقلة, فجاءت إصلاحاته تخدم هذا الاتجاه, فارتقى بولايته من ولاية تعصف فيها الفوضى والخصومات الحزبية إلى دولة عصرية يحكمها النظام في إطار الشريعة والقانون.

تذكر المصادر التاريخية, في هذا السياق, أن عبد الرحمن كان يعقد مجلساً لمستشاريه يضم مجموعة كبيرة من مساعديه في تسيير دفة الحكم من وزراء وقادة وولاة وإداريين, مع العلم أن السلطة بكاملها كانت محصورة بيديه, فهو المرجع السياسي الأول والأخير, وهو القائد العام

---

1 ابن الخطيب, الإحاطة في تاريخ غرناطة, ص453.

2 دوزي, تاريخ مسلمي إسبانيا, ج1, ص235.

للجيش وصاحب القرار في كل القضايا الهامة إذ ما كان يعهد لأحد بشيء من شؤون الحكم فكان يديرها بنفسه[1].

اتخذ عبد الرحمن ولاته وعماله ومساعديه من أقاربه ومواليه المخلصين, وأوجد منصب الحجابة[2] وهي وظيفة عرفها الأمويون منذ قيام دولتهم, حيث أنشأ معاوية بن أبي سفيان منصب الحاجب لتنظيم مقابلات الناس مع الخليفة وحجبهم عن دخول بابه إلا عن طريقه, وجعل على شرطنة عبد الرحمن بن نعيم وعلى حراسته مواليه[3] واستعمل من هؤلاء وأولئك قادته المشهورين منهم عبد الملك المرواني والمولى بدر وتمام بن علقمة وغيرهم. وفي مجال القضاء جعل لمنصب قاضي قرطبة يحيى بن يزيد التحببي[4] وكان من اليمانية ومن أهل العدل[5]. وعندما توفي يحيى وكان قد وافق ذلك إقبال معاوية بن صالح من الشام, فولاه عبد الرحمن قضاء الجماعة في الأندلس[6]. كان القاضي طيلة فترة الولاة يُسمى قاضي الجند, وبعد مجيء عبد الرحمن صار يسمى قاضي الجماعة, فحسب ذلك يكون يحيى بن يزيد التحببي قد تلقب باللقبين: قاضي الجند قبل مجيء عبد الرحمن, وقاضي الجماعة بعد ذلك[7]. وفي هذا الاتجاه ولى عبد الرحمن "أرطباس بن غيطشة" قُماسة الأندلس[8] وهي وظيفة تناط بصاحبها, القومس comes, إدارة شؤون النصارى, وكمسؤول بينهم وبين الدولة, ويقيم إلى جواره في قرطبة, ويستشيره إذا اقتضت الحاجة.

عندما دخل العرب الأندلس وجدوا فيها تقسيماً إدارياً مستقراً ومناسباً, فأخذوه كما هو, ووضعوا إلى جانبه نظاماً مالياً جرى العمل بموجبه دون أن يتعرض أي من النظامين لشيء من

---

1 STANLEY LANE, POOLE MOORS IN SPAIN P.68

2 استحدث معاوية بن أبي سفيان منصب الحاجب عقب مؤامرة الخوارج لاغتيال بعض الخلفاء والولاة العرب التي راح ضحيتها الخليفة علي بن أبي طالب وأصيب فيها معاوية بجروح.

3 أخبار مجموعة, ص91.

4 ابن القوطية, تاريخ افتتاح الأندلس, ص97.

5 أخبار مجموعة, ص94-95.

6 ابن القوطية, تاريخ افتتاح الأندلس, ص97. الضبي, بغية الملتمس, ص400 رقم 1338. الحميدي, جذوة المقتبس, ص304 رقم 796. ابن الفرضي, ص400 رقم 1445.

7 محمد بن حارث بن أسد القيرواني (الخشني), قضاة قرطبة, الدار المصرية للتأليف والترجمة 1966, ص14.

8 ابن القوطية, تاريخ افتتاح الأندلس, ص94.

التغيير يستحق الذكر[1] حيث أن الشريعة الإسلامية تنتظم طريقة جباية الأموال وتحدد واردات بيت مال المسلمين في كل ديار الإسلام حينذاك.

عملت حكومة عبد الرحمن المركزية كأداة مكنته من إحكام قبضته على جميع أجهزة الدولة في العاصمة والكور (الولايات) حيث كان يتولى كل منها حاكم باسم أمير يقيم في أكبر مدنها (الكورة) ومن حوله جهاز إداري وقوة عسكرية جاهزة تحت الطلب[2].

اعتمد عبد الرحمن أول عهده, في إدارة الولايات, نفس الطريقة الموروثة عن عهد الولاة, وهي أن حكم الولاية يعطى لشيخ القبيلة الأكثر انتشاراً في المنطقة, وعليه فولاية طليطلة كانت للفهريين المهيمنين فيها, وإشبيلية لليمانيين الحضارمة, وأحياناً تعطى الولاية لشيخ قبيلة والت عبد الرحمن وناصرته في دعوته, وبعد ذلك أخذ يعتمد على أقربائه في حكم الولايات. وفي أواخر عمره, وعندما بلغ أولاده سن الشباب اعتمد عليهم في هذا المجال وفي قيادة الحملات[3].

قطع عبد الرحمن الداخل سحابة عمره بين جهاد مستمر وصراع دائم مع الخصوم, ولذلك فقد انصب اهتمامه على تكوين جيش دائم محترف, معتمداً على استقدام المتطوعين من الصقالبة[4] (السلاف) والأمازيغ والموالي دون العرب الذين طالما نافسوه حكمه "واستراب في آخر أمره بالعرب لكثرة من قام عليه منهم, فرجع إلى اصطناع القبائل من سواهم, واتخاذ الموالي"[5]. فجعل من هذا الخليط من الأقوام جيشاً نظامياً تطلب تكوينه ميزانية ضخمة توفر عليها عبد الرحمن بفرضه ضريبة على العرب لقاء إعفائهم من الخدمة العسكرية الإلزامية[6].

لقد أكثر عبد الرحمن من استخدامه للأمازيغ والعبيد والموالي ومن جاءه منهم من بر العدوة, وأدخلهم في الديوان حتى اجتمع لديه جيش عامل قوامه أربعون ألفاً[7]أشرف على تنظيمه

---

1 حسين مؤنس, فجر الأندلس, ص555. ج-س: كولان, الأندلس, ص83.

2 ابراهيم بيضون, الدولة العربية في إسبانيا, ص208.

3 أحمد بدر, صقرقريش, ص119 و 121.

4 أصل الكلمة SKLAVE وتعني العبد باللغة اللاتينية وصارت كلمة الصقالبة تعني جميع الأسرى من الشعوب السلافية وفيما بعد صارت تدل على جميع الذين يعملون في القصر من إسبان الشمال والألمان والفرنجة والطليان والصقليين, وكانوا يختارون من الجنسين ويأتي بهم قراصنة البحر وتجار الرقيق للعمل كمرتزقة في الجيش والخدمة في القصر.

5 المقري, نفح الطيب, ج1, ص312.

6 بسام عسلي, صقر قريش; دار النفاس, ص114.

7 أحمد بدر, صقر قريش, ص218.

بتقسيمه إلى ثلاثة أسلحة: الخيالة – الرجالة – ثم المنجنيق وأدوات الحصار وقد استعمل هذا السلاح في حصار سرقسطة إذ نصب على أسوارها ستة وثلاثين منجنيقاً[1].

وعليه, فعبد الرحمن بن معاوية, كما وجدنا, هو باعث الدولة الأموية في بلاد الأندلس, ومؤسسها الأول وواضع دعامتها, ومن أجل ذلك قضى ثلث قرن وهو في صراع مع الأقدار, لتحقيق ما ابتغاه, فجعلها على غرار دولة أجداده في المشرق, دولة عربية في بنيانها وتركيبها, مستقلة في حكمها وتسيير شؤونها. فصدق ابن حيان حين قال: "دوّن الدواوين, ورفع الأواوين, وفرض الأعطية, وعقد الألوية, وجند الأجناد, ورفع العماد, وأوثق الأوتاد, فأقام للملك آلته, وأخذ للسلطان عدته"[2].

سياسة عبد الرحمن ومفهومه للحكم:

عندما دخل عبد الرحمن قرطبة بعد معركة المصارة, وكان ذلك في يوم جمعة العاشر من ذي الحجة 138هـ, جاء مسجدها الجامع فصلى بالناس, ووعدهم بالعدل والإحسان فبايعوه أميراً على الأندلس وأحبوه من قلوبهم وأصبح أثيراً عندهم, فأكثر من اختلاطه بهم في قرطبة, وجعل يحضر الجنائز ويصلى بالناس في الجمع والأعياد, ويخطب على المنبر, ويزور المرضى, ويمشي في شوارع قرطبة وحيداً, فكانت هي عادته في أول عهده لكنه أقلع عنها فيما بعد حيث قيل له أن "عيون العامة تخرق تجلته, ولا تؤمن بوادرهم عليه, فليس الناس كما عهد, فترك يومئذ شهود الجنائز وحضور المحافل[3].

بما أن عبد الرحمن سليل أسرة ملكية لها خصوصيتها, فقد كان يعرف أن لمنصب الحاكم هيبة في النفوس, ومن مقتضيات ذلك التقيد بآداب مخاطبته, والمثول في حضرته, والسير برفقته, فحدث أنه عندما فتح سرقسطة بعد عناء جاءه أحد خواصه ليهنئه فرفع صوته, فغضب عبد الرحمن وقال له: "من تكون حتى تقبل مهنئاً رافعاً صوتك غير متلجلج, ولا متهيب لمكان الإمارة ولا عارف بقيمتها؟ حتى كأنك تخاطب أباك أو أخاك..."، فكان رفع الصوت في حضرته من قبيل التمادي في إهانته[4].

عندما تولى عبد الرحمن, بنفسه, حكم الأندلس, جعل من سلطته درعاً للحفاظ عليه وعلى حياته, لذلك فقد هدم قاعدة الشورى في الحكم بجعله وراثياً في ذريته, وكان قد سبقه إلى

---

1 أخبار مجموعة,ص 115.

2 المقري, نفح الطيب, ج1, ص310 عن رواية لابن حيان.

3 أخبار مجموعه, ص94.

4 أحمد بدر, صقر قريش, ص215.

ذلك جده معاوية بن أبي سفيان, أول المستبدين في تاريخ الإسلام[1] وهذه ظاهرة عند كل مؤسسي الدول, ولا نعرف واحداً منهم خرج عن هذه القاعدة.

كانت السلطة في عصر الولاة قبلية, وكانت كل قبيلة تأتمر بأوامر زعيمها, وهذا يعني أن القبائل عندما تتصارع على حكم الأندلس, تقوم المنتصرة منها بالانتقام من خصومها والتشفي منهم كما كانت عادة القبائل في القديم, لكن عبد الرحمن, المتحرر من التعصب, بدأ عهداً جديداً في هذا الاتجاه بقضائه على مخلفات التحزب القبلي, فلقد وجدناه, بعد معركة المصارة, يحد من جشع أنصاره اليمانية بكف أيديهم عن النهب ومنعهم من الانتقام من خصومهم القيسيين ثأراً لهزيمتهم في شقندة 130هـ/747م. فأوقف القتل والتعدي على النساء, لأن الغاية ليست قتل الناس وسلب ممتلكاتهم, بل الاستيلاء على السلطة وإخضاع الحزبية القيسية, وهذا ما أوحى لليمانية أن عبد الرحمن تعصب لقومه القيسية فحدثتهم أنفسهم بمحاربته والقضاء عليه لكي يصبح الأندلس خالصاً لهم كما عبر عن ذلك أبو الصباح, لكن عبد الرحمن كان الأسبق إلى التصدي لكل من تسول له نفسه التعرض لسلطته, حيث كان ينظر للآخرين, وحتى أقربائه المقربين, كأتباع لا شركاء, وللقبائل التي تعودت العيش حرة, كرعايا من أهل البلاد عليهم إطاعته والخضوع له كممثل لسلطة الدولة, ولتحقيق أهدافه السياسية ولينفرد وحده بالحكم, عمل على تأسيس جيش انتقاه من الفئات الموالية له, وأدخل فيها الأغراب من المرتزقة, مكنه من إخضاع القبائل وخضد شوكة زعمائها, فكانت سياسته هذه من جملة الأخطاء التي تُعد عليه وعلى من أتبعها بعده, وهو الخليفة عبد الرحمن الناصر ثم الحاجب المنصور بن أبي عامر, لأنه استغنى عن الزعامات العربية, وأذلّ كبار رجالها, واستعاض عنهم بولاء الرقيق من الصقالبة والمتطوعين من الأفارقة, وجميعهم ذوو ولاء مأجور, وإحساس بالوطن معدوم[2] خلافاً لما استنه في سياسته الاستراتيجية, منذ البداية, بحرصه على العنصر العربي – دعامة الإسلام –[3] حيث أمر أنصاره اليمانية حين لاح له النصر في معركة المصارة بقوله: "لا تستأصلوا شأفة أعداء ترجون صداقتهم واستبقوهم لأشد عداوة منهم".

لقد قضى عبد الرحمن معظم سني حكمه في حروب داخلية مع الأعداء والثائرين وما أكثرهم في هذا البلد الذي جاء ذكره في الحديث الشريف للرسول الكريم: "لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة"[4].

---

1 عمر فروخ, تجديد التاريخ في تعليله وتدوينه, ط. بيروت 1980, ص90.

2 الطاهر أحمد مكي, مقال في كتاب العربي – الأندلس – الملحق بمجلة العربي الكويتية, ص9.

3 بسام عسلي, صقر قريش, ص 188.

4 الحميدي, جذوة المقتبس, ص14. والضبي, بغية الملتمس, ص17.

اتبع عبد الرحمن في أول عهده سياسة اللين والتسامح في الحكم ظناً منه أنها كفيلة بأن تضع حداً للفتن الداخلية والخلافات بين الفرق الحزبية, فتنعم البلاد بالسكينة والأمن, وتعم الناس الطمأنينة والسلام. ولما كان عبد الرحمن ذا قلب حنون مطبوع بالرحمة[1] فقد احتوى أخطاء الناس, وتجاوز عن أعمالهم, وعفا عن ذنوبهم, لكن سياسة الرحمة قادته إلى نقيض ما كان يتمناه, فسرعان ما انقلبت إلى صراع دام وحروب طاحنة شغلته حتى السنين الأخيرة من عمره, فكان لا بد من أن يواجه الخارجين عليه بالعنف ويأخذهم بالشدة والإسراف بالقتل[2] إذ لا محل بعد الآن للتهاون معهم, أما الوجه الرحيم لعبد الرحمن فقد تمثل في جعله باب الأندلس مفتوحاً أمام الفارين من ضربات العباسيين, فتدفق على الأندلس المئات من قومه الأمويين حيث رحب بهم ووفر لهم الأمان, ومنحهم الامتيازات وخصص لبعضهم رواتب شهرية وأجزل لهم الأعطيات وقلدهم أرفع المناصب في الدولة.

دولة عبد الرحمن:

وبعد هذا السرد الطويل نكون قد تعرفنا على بعض من سيرة ذلك الرجل العظيم, عبد الرحمن بن معاوية بن هشام .. صقر قريش وأول الداخلين من بني أمية أرض الأندلس, وأول أمرائه العظام, وأحد كبار رجاله. كان أموياً قحاً نشأ في أحضان خلافة جده هشام بن عبد الملك, وترعرع في منازل السادة والأمراء, ولما هوت دولة أهله على يد العباسيين صار في جملة الفارين من قبضتهم, فبلغ الأندلس وحيداً شريداً, وأقام على أرضه دولة جديدة جعلها دولة عربية على نسق دولة أجداده في الشام تملك كل مقومات الدول العظمى, دولة موحدة مستقلة تتوفر فيها أجهزة مدنية وعسكرية, وذلك لأول مرة في تاريخ إسبانيا العربية عاشت ثلاثة أضعاف المدة التي عاشتها في المشرق.

إن أحداً لا يشك في عظمة هذا الإنجاز الذي حققه عبد الرحمن من عدم, ولكن هل كان بكامله من صنعه وحده؟ يتعذر على أي إنسان, مهما كانت قدراته الشخصية, أن يقوم بمفرده ببناء هذا الصرح الكبير, أما وأن عبد الرحمن, المحاط بطائفة واسعة من مساعديه الموالي, وجماعة من أنصاره ممن لهم تجارب في التنظيم وإدارة الأعمال, والتمرس في أمور الحكم والإصلاح من أمثال أرطباس القوطي[3] الذي ولاه عبد الرحمن منصب القماسة. ويذكر ابن القوطية أن حواراً جرى بين الاثنين حول الحكم في الأندلس أسدى أرطباس فيه النصح لعبد

---

1 STANELY LANE-POOLE THE MOORS IN SPAIN P.68.

2 محمد عبدالله عنان, دولة الإسلام في الأندلس, العصر الأول, ص194.

3 ابن الأسرة القوطية الحاكمة التي أزاحها لذريق عن الحكم.

الرحمن "ثم عرّفه بأشياء كان الناس ينكرونها عليه وبيّنها فَسُرّ بذلك عبد الرحمن[1]. وقبل ذلك كان أرطباس قد نصح أبا الخطار بتفريق جند الشام (طالعة بلج) على الكور "المجندة"[2].

يفهم من هذا كله أن ذلك العمل العظيم الذي تم في عهد عبد الرحمن يمكن أن ينسب إليه على أنه, كله, أنجز بفضله وتوجيهه[3].

عندما قامت دولة عبد الرحمن ظهرت للدول المعاصرة دولة قوية متماسكة اعترف بها ملوك تلك الدول, وكان أول هؤلاء أبو جعفر المنصور الذي خاب ظنه في محاولته للقضاء على عبد الرحمن عندما غرر بمبعوثه عليه العلاء بن مغيث وعرضه للقتل, ثم اعترف بأن عبد الرحمن أكثر جدارة منه بلقب صقر قريش, وهذا اعتراف صريح من أبي جعفر المنصور بالدولة الأموية التي أحياها عبد الرحمن في الأندلس. هذا في المشرق العربي, أما في بلاد المغرب فكانت دولة الفرنجة المجاورة على علاقة غير ودية مع أندلس عصر الولاة, وكانت تسعى دائماً لإضعافه بشتى السبل إلى أن باءت محاولة عاهلها شارلمان بالفشل حين أقدم على غزو سرقسطة فتغيرت سياسته تجاه دولة عبد الرحمن وأخذ يسعى لعقد معاهدة سلم وصداقة معها مما يدل على اعترافه بها, دولة نامية مرهوبة الجانب.

كما تميزت العلاقة بين الإمارة الأموية وبين مملكة أستوريش بالعداوة, ولما كان عبد الرحمن مشغولاً بإخضاع الثائرين عليه فقد ترك مهمة مهاجمة هذه المملكة إلى حين تسنح له الفرص المناسبة. لذلك كان يتصدى لها بين الحين والآخر في عهد ملكها فرويلة 140-151هـ/757-768م, وسعى خلفه أوريليو 151-158هـ/768-774م إلى التقرب من عبد الرحمن والتفاهم معه لإحلال السلام بعقد معاهدة صلح بينهما. جددت هذه المعاهدة أكثر من مرة بسبب سوء الأوضاع الداخلية في المملكة والتنازع على العرش بين أفراد الأسرة المالكة, وبالنسبة للأمير الأموي كان يرحب بالتجديد بقصد المهادنة ليتفرغ هو الآخر لتسوية مشكلاته وقمع خروج الثائرين عليه.

كان يقف وراء هذه الانجازات العظيمة جيش مطواع, كثير العدد, يخلو من التناقضات القبلية جمعه عبد الرحمن من العناصر الموالية له معظمه من الفئات الغريبة المأجورة, ولى قيادته إلى رجال من خيار ثقاته. فكان جيشه من الكثرة المسلحة, والجاهزية, بحيث مكنه من حماية ثغور الأندلس, وقمع الثورات, وفرض هيبة الدولة على خصومها في الشمال وفي ما وراء البرتات. ويوجد إلى جانب هذا الجيش, أجهزة ومؤسسات لكافة شؤون الحكم, ونظام قضائي

---

1 ابن القوطية, تاريخ افتتاح الأندلس, ص94ز

2 وعددها تسع هي:البيرة, رية, شذونه, لبلة, إشبيلية, جيان, باجه, أخشونبه, ومرسية. كتاب الأندلس, ص86, تأليف كولان.

3 أحمد بدر, دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها, ص93.

عادل, وتنظيم مالي مقيد بالشرع يؤمن للدولة جميع نفقاتها. وكانت كل هذه المؤسسات تعمل وفق العرف والعدالة الإسلاميين وبما رافق ذلك من تطورات اقتضته متطلبات العصر.

هذه هي مقومات وأركان دولة عبد الرحمن الأموية في الأندلس, وهي دولة في رجل كان حالة نادرة الحدوث في التاريخ شادها بقواه الخاصة على أسس راسخة ذابت فيها كل أنواع النزعات الحزبية والنعرات القبلية التي كانت مصدراً للفوضى والفساد والفتن الداخلية. وهذا ما أتاح لدولة عبد الرحمن أن تساهم في بناء أول لبنات الحضارة العربية على أرض الأندلس, ثم بلغت, في عهد أحفاده, ولا سيما سميّه عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله, أعلى درجات التقدم والازدهار, فكان عهده صفحة مشرقة من أبهى صفحات التاريخ الإسلامي في العصور الوسطى.

الخاتمة

لا يحسبن أحد أن الأندلس كتاب طويت صفحته وانتهى أمره بخروج العرب المسلمين منه, فما أحوجنا اليوم, رغم مرور أكثر من خمسمائة عام على تلك المأساة, إلى إعادة النظر في ذلك الكتاب وقراءته من جديد قراءة متأنية وجريئة بعيدة عن المجاملة والذهاب في تفسيرات نُحمل فيها الآخرين وزر أخطائنا.

يعد الحضور العربي والإسلامي في الأندلس ظاهرة لم يسبق لها مثيل في التاريخ, كما أن الحضارة العربية الإسلامية التي انبعثت على أرضه, وما زال بريقها يشع حتى الآن, لم تكن حضارة حجر ومعول وحسب, بل متعددة الجوانب والأغراض استلهمت العلوم جميعاً لتخلق نمط حياة جديداً في الأندلس.

إن تشرذم العرب هناك, فيما بعد, والنفور منهم بسبب التعصب الديني والعرقي, والدعوة والإلحاح على تهجيرهم, وأخيراً زوال حضورهم نهائياً من بلادهم, لأمر يدعو إلى الحيرة والاستغراب لأول وهلة, إذ كيف يزاح شعب برمته وبمئات ألوفه من أرض تغلغلت فيها جذوره خلال ثمانية قرون؟ إن التعصب الديني لدى الأسبان لا يكفي, وحده, لأن يدفعهم إلى تخلية الأندلس من الوجود العربي هذا إذا قبلنا بالإدعاء الديني سبباً علماً إن العرب المسلمين لم يدعوا مجالاً لكي يتولد عند الأسبان رد فعل سلبي على الإسلام الذي قدم نموذجاً في احترام الأديان حيث كان مع أهل الأندلس كريماً سمحاً منح النصارى كامل حرياتهم الدينية وأعاد الاطمئنان إلى نفوسهم فأحبوا الحكم الإسلامي وفضلوه على الحكم القوطي. إذن هناك أسباب أخرى عديدة تراكمت, وأخيراً دفعت بالعرب إلى تلك المحنة, فلنعد إلى الوراء إلى بداية الحكم العربي في الأندلس فنرى:

كان للحزبيات السياسية دور كبير في إضعاف الحكم العربي, فقد شهد الأندلس, في عصر الولاة, عداوات قبلية كالتي بين قيس ويمن كان لها عظيم الأثر في اضطراب ذلك العصر, وصراعات على الحكم أدت إلى مقتل عدد من الولاة أولهم عبد العزيز بن موسى بن نصير ومنهم عبد الملك بن قطن وبلج بن بشر وأبو الخطار الكلبي. وهكذا تبدو لنا الحزبية القبلية ظاهرة خطيرة تهدد وحدة المجتمع, وكانت من دواعي زوال دولة بني أمية, وما الشعوبية والطائفية والإقليمية إلا مظاهر حية للتعصب والحزبية المتطرفة, وعوامل هدامة أدت إلى التجزئة السياسية وتشتيت الهوى في الرأي العربي, ودول الطوائف في الأندلس نموذج حتمي لمخلفاتها.

تذكر النصوص التاريخية أن العرب سكنوا, عند دخولهم الأندلس, في المدن والأرياف مستقلين بأنفسهم ومنفصلين عن النصارى واليهود من أهل البلاد حيث تركوا لهؤلاء حرية حكم أنفسهم عن طريق رئيسهم قومس الأندلس, وكانوا على اتصال مباشر مع أهل الذمة وتعايشوا

معهم في كنف حكم إسلامي متسامح, وقامت بين الجانبين علاقات اقتصادية واجتماعية تقوم على الصداقة والاحترام المتبادل لا سيادة لجانب على آخر, هذا صحيح من حيث المبدأ, بينما يذهب أحد مؤرخي الجانب الآخر فيقول إن العرب كونوا أرستقراطية خاصة بهم كانت مترفعة عن غيرها في الأندلس, ويجيء الرد أن العرب لم يكونوا كذلك "وإنما كانت الارستقراطية الحقيقية في بيوت الموالي ولم يكونوا عرباً" ولكن هل كان الإسبان يميزون بين العرب وغيرهم من المسلمين؟ لقد نظروا إلى كل هؤلاء من عرب وموالي وأمازيغ على أنهم MOORS وهي كلمة تطلق على العرب وغيرهم من فاتحي الأندلس. الذي نريد أن نوضحه أنه لم يكن هناك اندماج تام بين العرب وأهل البلاد, حتى أن علاقات العرب مع هؤلاء لم تعدُ كونها مجاملات اجتماعية في الصداقة وحسن الجوار وقضايا البيع والشراء وأحياناً المصاهرات.

وعن المصاهرات وقضايا التزاوج, وهي أمور اجتماعية هامة في حياة الشعوب, مرّ بنا أن العرب دخلوا الأندلس رجالاً من غير نساء, ثم اتخذوا لهم نساءً من أهل البلاد. وكان عبد العزيز بن موسى أول من أقدم على ذلك بزواجه من إيجيلونا أرملة لذريق, ثم شجع على التزاوج بين الغالبين والسكان المحليين وهي خطوة حضارية من شأنها أن تأتي بدماء جديدة, إسلامية – أوربية إذا جاز التعبير, وهذا يؤدي إلى تمازج السكان وانصهارهم وبالتالي إلى تجانسهم في شريحة من أغلبية السكان هذا عدا عن أن المصاهرة تقطع الدم وتؤلف بين القلوب وتوحد بين شرائح المجتمع والأمثلة على ذلك كثيرة. إن مثل هذا لم يحدث وظل المجتمع الأندلسي خليطاً من أجناس عديدة مختلفة المذاهب والمشارب لا يجمع بينها عامل مشترك سوى المواطنة. لقد أجاز الشرع للرجل المسلم أن يتزوج من امرأة من أهل الكتاب بينما لم يأذن للمرأة المسلمة أن تتزوج من غير المسلم, نفهم من ذلك إن التزاوج, إذا وقع, فهو من جانب واحد.

قامت الدولة الأموية في الشام, كما نعلم, على أساس السيادة العربية لأن العرب كانوا مادتها, وهم الأمة الفاتحة صاحبة الحق في الحكم ومكتسباته, فمنهم الجند والقادة والحكام والولاة ..., وعلى هذا النحو سارت ولايتهم الأندلسية حتى قيام دولة عبد الرحمن الداخل الذي, لكي ينفرد بالأمر, ويستأثر بالسلطة, أتى على النفوذ العربي نهائياً, وأذل رجال القبائل واستبدلهم بمرتزقة من الرقيق والصقالبة, وسار على نهجه الخطأ, فيما بعد, عبد الرحمن الثالث ثم المنصور بن أبي عامر, وهذا يقودنا إلى القول أن العرب لم يعتمدوا على مواطنيهم الأسبان في شؤون الحكم وإدارة الدولة, ولا في وظائفها أو أي أمر من أمورها, بل تركوهم شريحة من السكان عليها الخضوع للحاكم الأموي الذي بيده مقاليد الحكم يساعده في ذلك جماعة من خاصته, والسؤال هنا لماذا استقدم عبد الرحمن الداخل أعداداً كبيرة من المرتزقة وأدخلهم في جيشه, وهم ذوو ولاء مأجور وإحساس واهن بالوطنية, ولم يمنح القاعدة العريضة من جماهير البلاد أي دور من هذا القبيل, بل مجرد مادة مشحونة على وشك الانفجار؟ قيل أن عبد الرحمن إنما استقدم هؤلاء الأغراب

وإحساس واهن بالوطنية, ولم يمنح القاعدة العريضة من جماهير البلاد أي دور من هذا القبيل, بل مجرد مادة مشحونة على وشك الانفجار؟ قيل أن عبد الرحمن إنما استقدم هؤلاء الأغراب لكي لا يبقى تحت رحمة العرب! فهل الأسبان والإيبيريون عرب؟!! فلا غرابة إذا أسخط هذا الإجراء المحكومين على الحاكم.

إذا تتبعنا التحولات الخطيرة التي عاشها الأندلس في المدد اللاحقة, وكان قد بلغ درجة عالية من النضج الاجتماعي والثقافي والسياسي, وجدنا أن الأندلس لم يعد يطيق أن يحكم بأقلية عربية ذات تراث مشرقي يعتمد أنظمة حكم فيها الكثير من أعراف البادية.

لقد دأب كثير من المؤرخين والكتاب في بحوثهم على إعادة قراءة تاريخ العرب والمسلمين في إسبانيا أكثر من مرة, إذ لا يوجد هناك حدث في التاريخ فيه ما يدعو إلى العظمة والمجد والفخار يعدل ما حققه العرب في شبه الجزيرة الايبيرية, حيث جعلوا من الأندلس ولاية عربية مرجعها دمشق ثم دولة عربية مستقلة سطع نجمها في سماء أوربة وظلت تقدم للعالم, على مدى قرون, مختلف الفنون والعلوم والآداب, ويضيف المؤرخون أن الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس لم تلبث شهوراً أو أعواماً أو عقوداً وحسب, وإن الإسلام, الحافز لتلك الحضارة, لم يبلغ أرضاً إلا واستقر فيها عدا منطقتين اثنتين من أوربة هما إسبانيا وصقلية. ومن حق المؤرخ أن يتساءل ويبحث عن أسباب ذلك, بينما نحن لا يهمنا الأسباب بقدر ما تهمنا النتائج. إن الإسلام لم يخسر شيئاً بخروجه من إسبانيا لأن الذين خرجوا منها استوطنوا في مناطق أخرى, ومن جهة ثانية ها هو الإسلام يعود من جديد, ليس فقط إلى إسبانيا, بل وإلى جميع أنحاء أوربة, فالإسلام ليس الخاسر إنما الحضارة هي الخاسر ولا سيما الحضارة الأوربية. لندع المؤرخين يبحثون عن أسباب ما حدث ولنذهب نحن لنبحث عن إجابة للتساؤل التالي: ما هو نوع الإسلام الذي اعتنقه الأسبان, كشعب أوربي, وقدر له أن يبقى في إسبانيا ديناً حتى اليوم؟ أهو إسلام الشرق نفسه؟ أم هو إسلام الغرب الأوربي, ربما كان هذا الأخير هو الذي يعنيه الداعية الفرنسي روجيه جارودي بقوله: هنا في أوربة يوجد إسلام ولا يوجد مسلمون, وفي الشرق يوجد مسلمون ولا يوجد إسلام!!

تلك هي بعض أسباب زوال الوجود العربي في إسبانيا, وما زال الباب مفتوحاً لقراءة تاريخ الأندلس مرات ومرات للعثور على أسباب أخرى خفية أو ظاهرة تضاف إلى التي بين أيدينا لتكون درساً وعبرةً لمن يعتبر, أما خروج العرب منه, وبتلك الصورة المحزنة, لا يفسره إلا أن

الأسبان, من غير سكان إقليم الأندلس, ما برحوا يقولون إن العرب المسلمين أو الـ MOORS, رغم مرور ثمانية قرون على وجودهم, كانوا دخلاء على إسبانيا وظلوا فيها غرباء.

أظنني الآن بلغت نهاية دراستي وهي من أجل العلم وحده لأن التاريخ عمل لا يتماشى مع العاطفة على حساب العقل, فيجب ألا يستسلم لغاية أو مصلحة بعيداً عن المطامع والمكاسب, فأرجو أني قلت الحق ولا شيء سواه.

الملاحق

ملحق رقم /1/

صورة عن كتاب الصلح الذي كتبه عبد العزيز بن موسى بن نصير لتُدمير بن غبدوش ملك تُدمير التي سُميت باسمه. عن بغية الملتمس للضبي – ص235 رقم 675

بسم الله الرحمن الرحيم: كتاب من عبد العزيز بن موسى بن نصير لتُدمير بن غبدوش أنه نزل على الصلح, وأن له عهد الله وذمته وذمة نبيه (ص) ألا يقدم له ولا لأحد من أصحابه ولا يؤخر ولا ينزع عن ملكه, وأنهم لا يقتلون ولا يسبون ولا يفرق بينهم وبين أولادهم ولا نسائهم ولا يكرهوا على دينهم, ولا تحرق كنائسهم, ولا ينزع عن ملكه ما تعبد ونصح وادى الذي اشترطنا عليه وأنه صالح على سبع مدائن: اوريوالة, وبلنتلة, ولقنت, وموله, وبقسرة, وأية, ولورقة. وأنه لا يؤدي لنا إبقاء ولا يؤوي لنا عدواً, ولا يخيف لنا آمناً, ولا يكتم خبر عدو علمه, وأن عليه وعلى أصحابه ديناراً كل سنة, وأربعة أمداد قمح وأربعة أمداد شعير, وأربعة أقساط طلاء, وأربعة أقساط خل, وقسطي عسل, وقسطي زيت, وعلى العبد نصف ذلك.

شهد على ذلك عثمان بن أبي عبدة القرشي وحبيب بن أبي عبيدة بن ميسرة الفهري, وأبو قائم الهذلي, وكتب في رجب سنة أربع وتسعين من الهجرة.

ملحق رقم /2/:

القبائل العربية في الأندلس وأماكن استقرارها

(مستخرجة من كتاب "جمهرة الأنساب" لابن حزم)

عن كتاب (مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين للدكتور ابراهيم القادري بوتشيش)

المدينة أو القرية	القبائل العربية المقيمة فيها	الصفحة
شذونة	بنو كنانة, بنو عرمرم, بنو خنثعم	365-189
	بنو جدام, بنو زياد اللخميون	423-421-292
سرقسطة	بنو عبد الدار, بنو كعب	365-127
	التجيبيون, بنو فوارتش	450-430
طلبيرة	بنو بعذلة	219-218
قلعة رباح	بنو حارثة	341
دلاية	بنو عذرة	450
دورقة	التجيبيون (فرع آخر)	500-430
قلعة أيوب	التجيبيون (فرع آخر)	430
قرمونة	قبائل نمارة	327
قبرة	بنو عمر بن أد	201
قرية اختيانة بقبرة	بنو قطنين	363
البيرة	بنو أسد, بنو مرة, بنو قشير	252-196
	آل عطيف, دار همذان,	291-290
	بنو خولان	418-397
	بنو خشين	455
مرسية	بنو ملكان	199
مورور	دار بلي	433
وادي الحجارة	بنو قتيبة	246
وادي آش	بنو خويلد (فرع من بني سعد)	408-292
بجانة	جرش	436
باجة	الزهريون , بنو منذر	267-132
	آل حفص بن أحمد بن عمار	333
تدمير	بنو أفصى, بنو منهب	383-240
	بنو جدام	241
بسطة	دار طيئ	404
بلنسية	آل جحاف	419 132

بطليوس	الزهريون من بني زهرة	390
أربونة	بنو نجبلة	
الجزيرة الخضراء	بنو كنانة, بنو جذام	421-189
	بنو لخم	424
جيان	فرع من بني ثعلبة, بنو عبد الخالق	246-192
	بنو الضباب, بنو قسير	290-287
	بنو خويلد, بنو منخل	419-292
	بنو عذرة, بنو خشين	450
إشبيلية	بنو عائشة وبنو سعيد	104
	(فرع من بني غطفان)	254-249
	دار بني مرة, بنو مالك	392
	بنو بشتغير وبنو يريم	412
	بنو مازن	
قلعة يحصب	بنو عنس بن مذحج	406
مالقة	الشعبانيون	433
لبلبة	بنو زيان (من أعقاب عمر بن عبد العزيز)	105
	بنو سلول	272
قرطبة	أعقاب العباس بن الوليد	
	(أحد حفدة الوليد بن عبد الملك الأموي)	89
	بنو سعيد الخير	
	(من أعقاب عبد الرحمن بن معاوية)	95
	بنو زيان (من أعقاب عمر بن عبد العزيز)	105
	ولد عمارة, بنو الحسين الطبنيون	220-115
قرطبة	بنو عك بن عدنان , بنو ربيع	333-329
	بنو هارون, بنو خولان, داربلي	443-418
أونبة (لبلة)	بنو سلول, بنو مطروح	327-321
	قبائل نمارة, بنو حراز	455-435
	بنو خشن	455
ريّة	أعقاب العباس بن الوليد	
	(أحد حفدة الوليد بن عبد الملك الأموي)	89
	بنو النمر, بنو عشيم	347-302
	بنو الأشمر, أعقاب زيد بن يحشب	419-398
	بنو زياد, ذي رعين	434-423
	بنو شهد, بنو قين	454-447

ملحق رقم /3/:

القبائل البربرية في الأندلس وأماكن استقرارها

(مستخرجة من كتاب "جمهرة الأنساب" لابن حزم)

عن كتاب (مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين للدكتور ابراهيم القادري بوتشيش)

القبيلة	بطونها	منطقة الاستيطان	الصفحة
	أوربة	أليشة	501
	زواوة	شقندة, البيرة, البونت	501
مصمودة	بنو طريف	أشونة	500
	بنو يحيى	قرطبة (استنتاجاً)	500
	بنو دانس	قلنبرية	501
	بنو سالم	مدينة سالم	501
صنهاجة	بنو الغليظ	بلكونة	501
	بنو عبد الوهاب	أشبونة	502
هوارة	بنو ذي النون	أقليش, وبذةالسهلة	500
	بنو رزين		500
	بنو جمهور المرناويون	قرطبة	499
زناتة	زوزة, بنو الليث	شنت برية	500-498
	بنو عرون, بنو هذيل	شنت برية	
	بنو الجزولي	لقنت	499
زناتة	بنو الزجالي	قرطبة	500
	بنو الحليع	تاكرنا	500
	بنو عميرة	شاطبة	500
	وزداجة	؟	498
	مغيلة بنو الياس	؟	498
	بنو زروال	؟	
	مكناسة	؟	498
	بني والنوس	؟	

ملحق رقم /4/

مصور شبه الجزيرة الإيبيرية بحسب التسميات العربية

عن كتاب العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي – الدكتور أحمد بدر

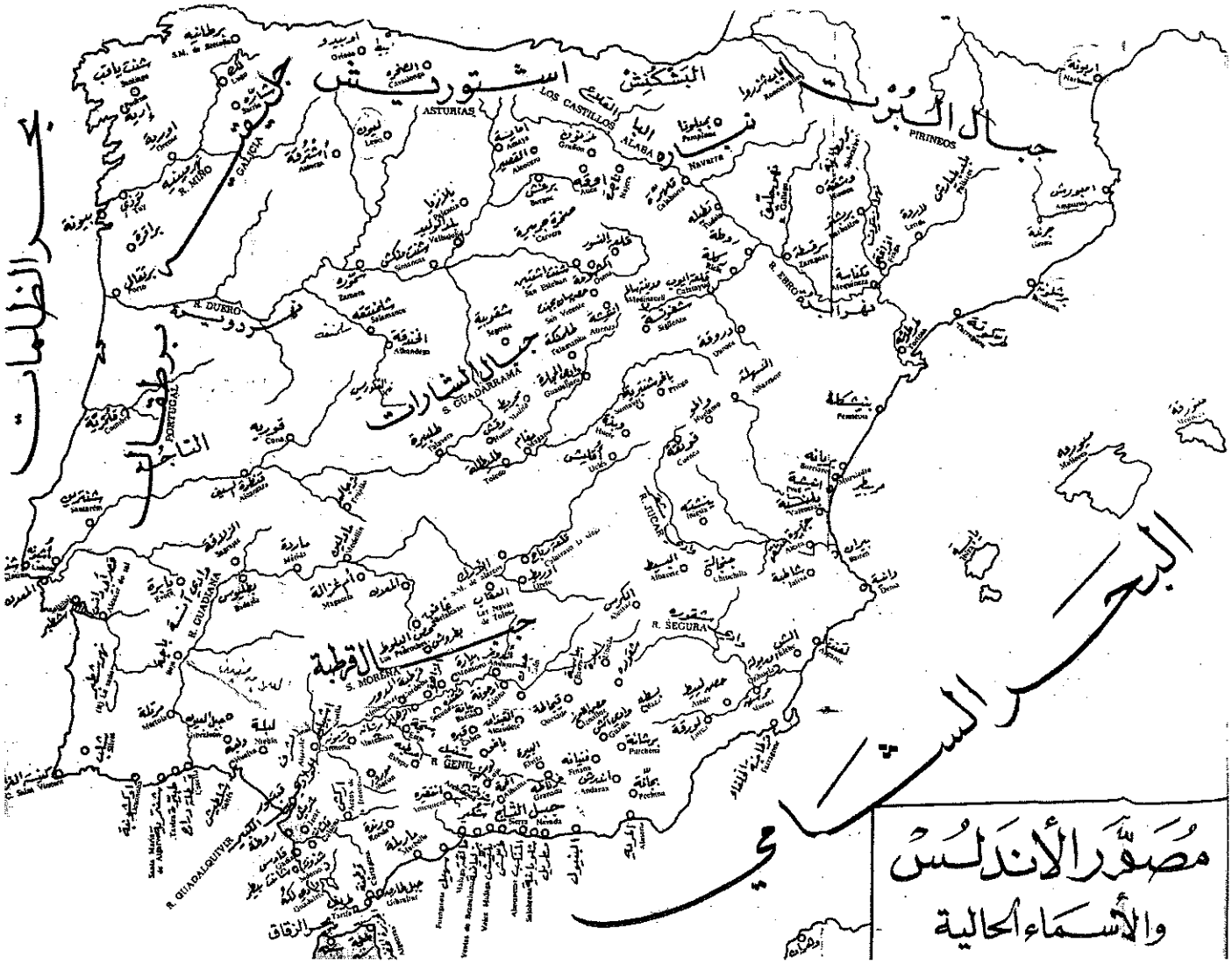

ملحق رقم /5/

صورة لجامع قرطبة

عن كتاب إسبانيا الإسلامية لـ ريتشارد فلتشر

ملحق رقم /6/

صورة لناعورة لرفع المياه

عن كتاب إسبانيا الإسلامية لـ ريتشارد فلتشر

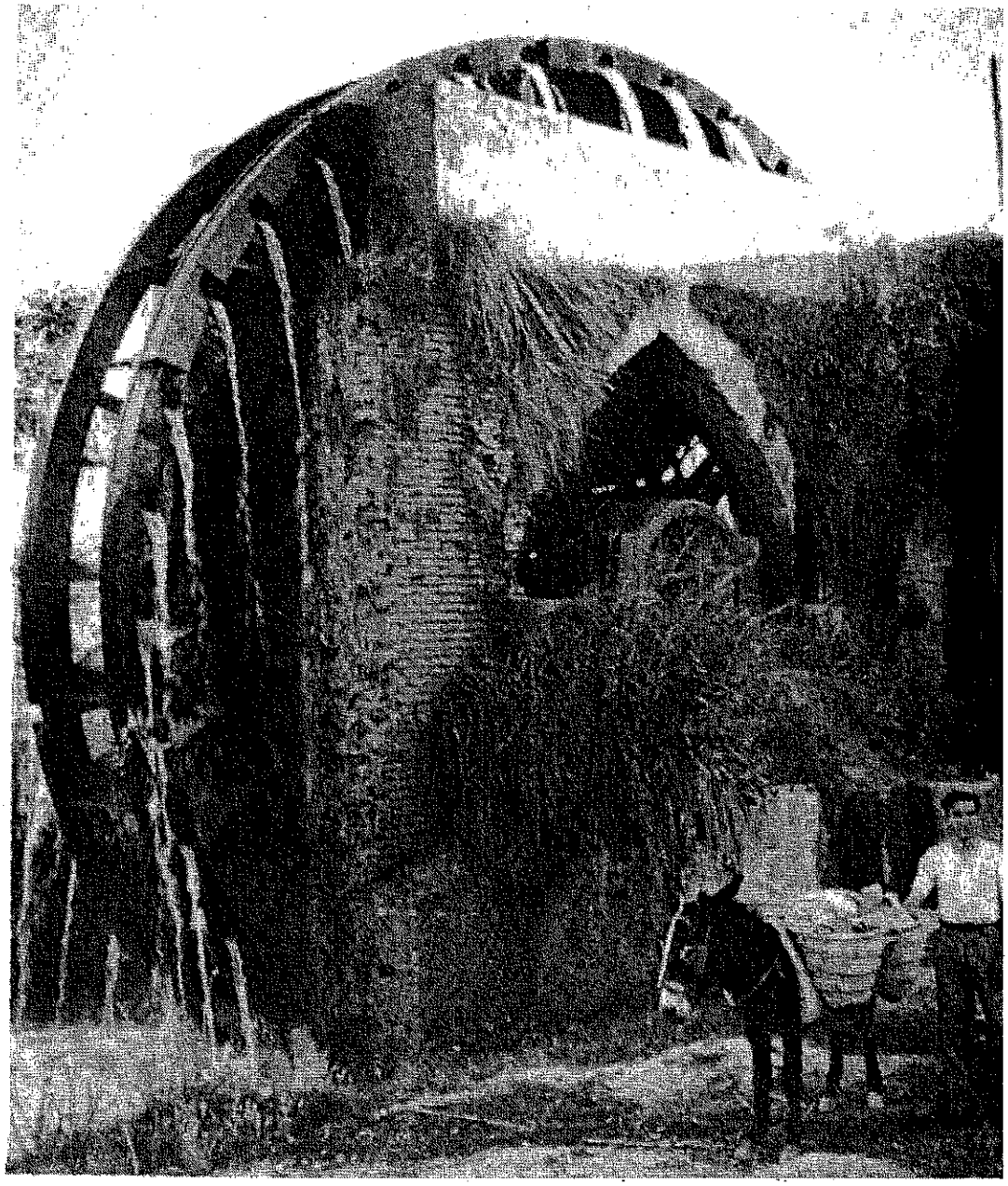

ملحق رقم /7/

صورة مستوحاة للأمير عبد الرحمن الداخل

عن كتاب (العرب المسلمون في إسبانيا لـ ستانلي لين – بول)

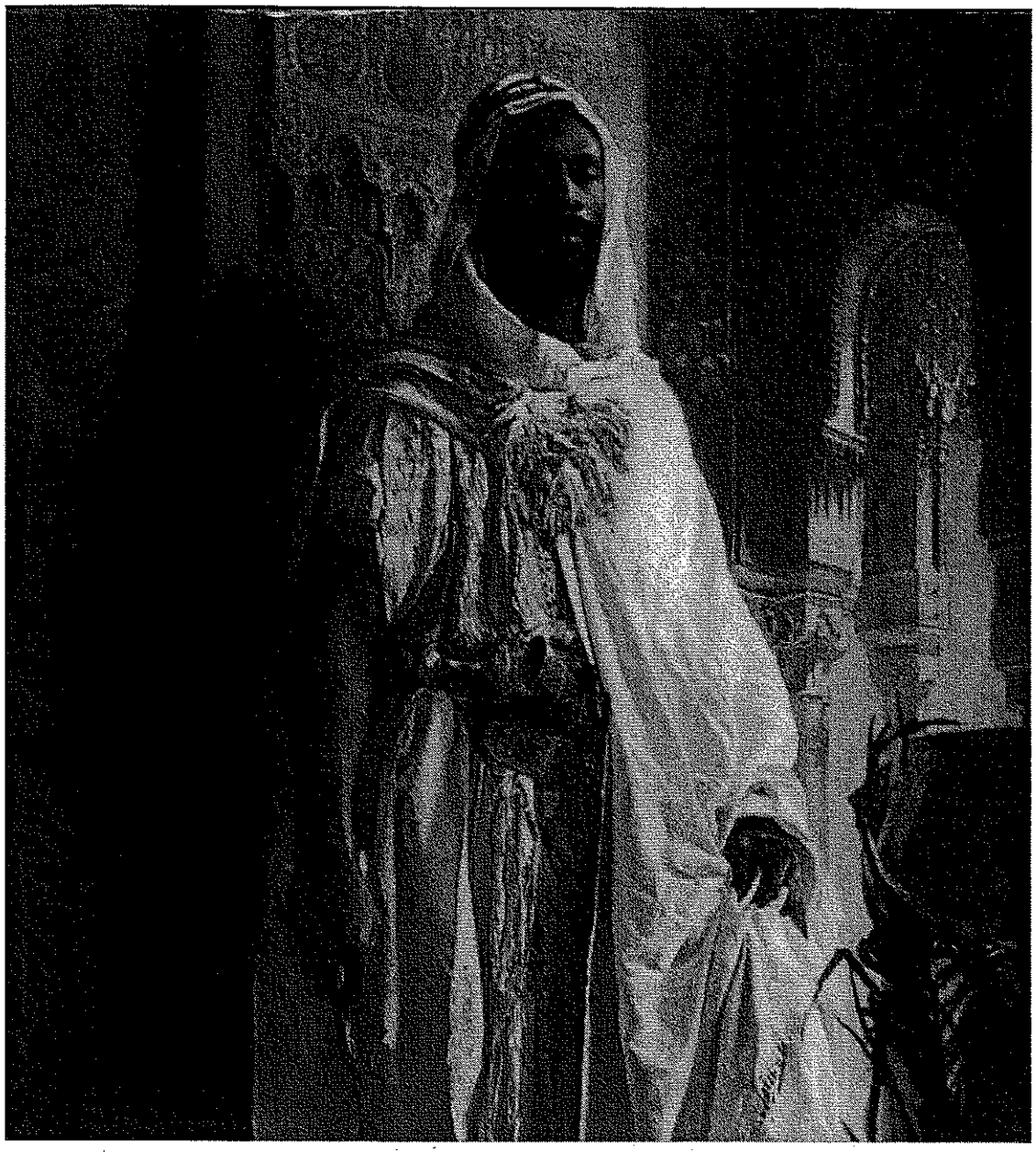

المصادر العربية

ابن الأبار: (محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي)

- الحلة السيراء: تحقيق حسين مؤنس – دار المعارف – ط2 – القاهرة 1985.
- كتاب التكملة – القاهرة 1956.

ابن الأثير: (علي بن أبي الكرم)

- الكامل في التاريخ: راجعه نخبة من العلماء – دار الكتاب العربي – ط2 – بيروت 1967.

ابن أبي أصيبعة:

- عيون الأنباء في طبقات الأطباء – ج2 – 1882.

الأصفهاني:

- خريدة القصر وجريدة العصر. قسم المغرب والأندلس – تحقيق محمد المرزوقي – محمد العمروسي المطوي – الجيلاني بن الحاج يحيى – تونس 1971.

ابن بسام: (أبو الحسن الشنتريني):

- الذخيرة في محاسن أهل هذه الجزيرة – تحقيق إحسان عباس – بيروت 1979.

ابن بشكوال: (أبو القاسم خلف بن عبد الملك, ت 1183م)

- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس – الدار المصرية للتأليف والنشر 1966.

البلاذري: (أحمد بن يحيى بن جابر) 279هـ–892م

- فتوح البلدان: تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد – مطبعة البيان العربي – القاهرة 1956.

البيدق: (أبو بكر الصنهاجي – القرن السادس الهجري)

- أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين – تصحيح وترجمة ليفي بروفنسال – باريس 1928.

ابن تغري بردي: (أبو المحاسن يوسف)

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة – القاهرة 1935.

ابن جبير (محمد بن أحمد الأندلسي, ت 1217م)

- رحلة ابن جبير – ط. القاهرة 1855.

الجوهري: (إسماعيل بن حماد).

- الصحاح: تحقيق أحمد عبد الغفور عطار – دار الكتاب العربي بمصر ط؟ – 1956.

ابن الحداد الأندلسي:

- ديوان ابن الحداد الأندلسي – تحقيق يوسف علي طويل – بيروت 1990.

ابن حزم: (على بن أحمد بن سعيد)

- جمهرة أنساب العرب: تحقيق ليفني بروفنسال – دار المعارف بمصر ط؟ – 1948

الحموي: (شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي)

- معجم البلدان – دار صادر ط2 – بيروت – 1995.

الحميدي: (محمد بن أبي نصر فتوح)

- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس: تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي – دار الكتاب العلمية – ط1 – بيروت 1417-1997.

الحِميري: (محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري)

- صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار: تحقيق ليفي بروفنسال

أبو حنيفة الدينوري: (أحمد بن داود)

- تحقيق عبد المنعم عامر – مراجعة جمال الدين الشيال – أعادت طبعة مكتبة المثنى ببغداد – دار المسيرة – بيروت

ابن حوقل: (محمد بن علي)

- صورة الأرض – ليدن 1928.

ابن خاقان: (أبو نصر الفتح محمد القيسي الإشبيلي, ت 1134م)

- قلائد العقيان في محاسن الأعيان – ط. القاهرة.

الخشني: (محمد بن حارث بن أسد العيرولي)

- قضاة قرطبة – الدار المصرية للتأليف والترجمة 1966.

ابن الخطيب: (لسان الدين محمد بن عبد الله)

- الإحاطة في أخبار غرناطة – تحقيق محمد عبد الله حنان – المجلد الأول – دار المعارف بمصر.

ابن خفاجة:

- ديوان ابن خفاجة تحقيق السيد مصطفى غازي.

ابن خلدون: (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون, ت 1405م)

- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر.

- مقدمة ابن خلدون – دار صادر بيروت – ط1 2000.

ابن خلكان: (شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد, ت 1282م)

- وفيات الأعيان وأنباء الزمان, تحقيق محيي الدين عبد الحميد – القاهرة 1950. ط. بيروت 1968.

ابن أبي دينار: (محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني, أواخر القرن الحادي عشر الهجري)

- المؤنس في أخبار إفريقية وتونس – تحقيق محمد شمان – تونس 1967.

ابن دراج القسطلي:

- ديوان ابن دراج القسطلي – نشر محمود مكي – دمشق 1961.

الرازي: (محمد بن موسى)

- من الرسالة الشريفة إلى الأقطار الأندلسية, نبذة من أخبار فتح الأندلس مأخوذة من الرسالة الشريفة – ملحقة بكتاب تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية.

ابن رشد: (أبو الوليد بن رشد – الجد– ت 1126م)

- مسائل أبي الوليد بن رشد – تحقيق محمد بن الحبيب التجكاني لنيل درجة الماجستير – الرباط 1977.

ابن رشيق القيرواني (الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي)

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده, حققه وعلق على حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد – دار الجيل للنشر التوزيع والطباعة ط5 – بيروت 1401هـ/1981م.

الزجالي: (أبو يحيى الزجالي, ت 1294م)

- أمثال العوام في الأندلس – تحقيق محمد بن شريفة – فاس 1971.

ابن أبي زرع الفاسي:

- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس – الرباط 1973.

الزيري: (الأمير عبدالله بن بلقين الزيري)

- مذكرات الأمير عبدالله المسماة بكتاب التبيان – تحقيق ليفي بروفنسال – القاهرة 1955.

ابن سعيد المغربي: (علي بن موسى)

- المغرب في حلى المغرب – تحقيق شوقي ضيف – القاهرة 1953.

السلاوي: (أبو العباس أحمد بن خالد الناصري)

- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى – الدار البيضاء 1954.

ابن صاحب الصلاة: (عبد الملك, ت 1102م)

- تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين – السفر الثاني – تحقيق غبد الهادي التازي.

الضبي: (أحمد بن يحيى)

- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس – تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي – منشورات محمد على بيضون – دار الكتب العلمية – ط1 – بيروت – 1417هـ/1997م.

الطبري: (محمد بن جرير)

- تاريخ الرسل والملوك: راجعه وصححه وضبطه نخبة من العلماء الأجلاء – مطبعة الاستقامة بالقاهرة – ط5 – 1358هـ/1939م

الطرطوشي: (أبو بكر محمد بن الوليد)

- الحوادث والبدع – تحقيق محمد الطالبي – تونس 1959.
- سراج الملوك – دار صادر بيروت 1995.

ابن الطقطقي (محمد بن علي بن طباطبا)

- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية – دار صادر – بيروت 1386هـ/1996م.

ابن عبد الحكم: (عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم)

- فتوح مصر وأخبارها – مكتبة مدبولي – ط1– القاهرة 1411هـ/1991م.

ابن عبد ربه: (أحمد بن محمد)

- العقد الفريد – تحقيق محمد سعيد العريان – القاهرة 1953.

ابن عبدون: (محمد بن أحمد التجيبي – القرن السادس الهجري)

- ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب – تحقيق ليفي بروفنسال – المعهد العلمي للآثار الشرقية – القاهرة 1955.

ابن عذاري المراكشي: (محمد)

- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب – تحقيق ومراجعة: ج.س. كولان و ليفي بروفنسال – دار الثقافة ط5 – بيروت 1418هـ/1998م.

ابن العربي: (أبو بكر محمد بن عبدالله بن العربي المعافري الاشبيلي, ت 1147م)

- العواصم من القواسم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي (ص) – تحقيق محب الدين الخطيب – القاهرة 1971.

ابن الفرضي: (عبد الله بن محمد)

- تاريخ علماء الأندلس: تحقيق روحيه عبد الرحمن السويفي – منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية – ط1–بيروت 1417هـ – 1997م.

ابن قتيبة: (عبد الله بن مسلم الدينوري, ت 276هـ/889م)

- من كتاب المعارف – اختار النصوص وعلق عليها منير عبد القادر حديد – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية – دمشق 2000م.
- الإمامة والسياسة (منسوب لابن قتيبة) – تحقيق خليل المنصور – منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية ط1 – بيروت 1422هـ – 2001م.

ابن قزمان: (أبو بكر بن عبد الملك بن قزمان, ت 1159م)

- ديوان ابن قزمان – نشره د.ف. كورينطي – المعهد الإسباني العربي – مدريد 1980.

ابن القرشي:

- معالم القربة في أحكام الحسبة – تحقيق محمد محمود شعبان – الصديق أحمد – عيسى المطيعي – الهيئة العامة المصرية للكتاب 1976.

ابن القطان: (حسن بن محمد بن عبد الملك بن يحيى الكتامي, ت 628هـ/1230م)

- نظم الجمان في أخبار الزمان – تحقيق محمود مكي – بيروت 1990.

ابن القلانسي:

- تاريخ دمشق – تحقيق د. سهيل زكار – دمشق 1403هـ/1983م.

ابن القوطية: (محمد بن عمر بن عبد العزيز)

- تاريخ افتتاح الأندلس – تحقيق عبد الله أنيس الطباع – مؤسسة المعارف للطباعة والنشر – ط1 – بيروت 1415هـ – 1994م.

ابن الكردبوس: (عبد الملك بن الكردبوس, القرن السادس الهجري)

- كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء – القسم الخاص بالأندلس – تحقيق د. أحمد مختار العبادي – مدريد 1971.

مار ميخائيل السرياني الكبير: (ت 1199م)

- تاريخ مار ميخائيل الكبير – ترجمه عن اللغة السريانية مار غريغوريوس صليبا شمعون – مطبعة ألف باء – الأديب ط1 – دمشق 1996م.

الماوردي: (علي بن محمد البصري البغدادي, ت450هـ/1058م)

- الأحكام السلطانية والولايات الدينية – تصحيح الغساني – القاهرة 1909.

المجليدي: (أحمد سعيد المجليدي)

- كتاب التيسير في أحكام التسعير – تحقيق موسى لقبال – الجزائر 1982.

المراكشي: (ابن عبد الملك, ت 703هـ/1304م)

- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة – السفران الرابع والخامس – تحقيق إحسان عباس – بيروت 1964).

المراكشي: (عبد الواحد بن علي المراكشي, ت 647هـ)

- المُعجب في تلخيص أخبار المغرب – وضع حواشيه خليل عمران المنصور منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية – بيروت 1419هـ/1998م.

المسعودي: (علي بن الحسين)

- التنبيه والإشراف: أعده للطبع وعلّق حواشيه قاسم وهب – منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية – دمشق 2000م.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر.

المقَّري: (أحمد بن محمد)

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب – تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – دار الكتاب العربي ط؟ بيروت.
- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض – تحقيق عبد السلام الهراس وسعيد أحمد أعراب – المحمدية 1980.

المكناسي:

- جدوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس – الرباط 1973.

ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري)

- لسان العرب: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر – مطابع كوستاتوماس وشركاه – القاهرة.

مؤلف مجهول:

- أخبار مجموعة – نشره إميليو لافوانتي ألكانترا – مطبعة رِبَدَ نَير – مجريط – 1867– أعيد نشره عن دار أسامة – دمشق.

مؤلف مجهول:

- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية – تحقيق د. سهيل زكار و أ. عبد القادر زمامة – الدار البيضاء 1979.

مؤلف مجهول:

- الذخيرة السَّنية في تاريخ الدولة المرينية – الجزائر 1920.

مؤلف مجهول:

- كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس – تحقيق امبروزيو هويس ميراندا – مدريد 1965.

مؤلف مجهول:

- مفاخر البربر – تحقيق ليفي بروفنسال – الرباط 1934.

ابن النديم: (ت 377هـ)

- الفهرست. دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت.

النويري: (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب)

- نهاية الأرب في فنون الأدب– تحقيق محمد علي البجاوي – الهيئة المصرية العامة للكتاب– القاهرة – 1396هـ/1976م.

الونشريسي:

- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب – نشر وزارة الأوقاف – المملكة المغربية 1981.

المراجع التاريخية

أرسلان, شكيب

- الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية – جزءان – القاهرة 1936.
- تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط – دار الكتب العلمية – بيروت.

أرشيبالد, لويس

- القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط – ترجمة أحمد عيسى وشركاه – القاهرة 1960.

أشباخ, يوسف

- تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين – ترجمة محمد عبدالله عنان – القاهرة 1958.

أعراب, سعيد

- مع القاضي أبي بكر بن العربي – بيروت 1987.

الأصيبعي

- الشرطة في النظم الإسلامية والقوانين الوضعية – دراسة مقارنة بين الشريعة والقانون – طرابلس 1990.

أمير علي, سيد

- مختصر تاريخ العرب – ترجمة عفيف البعلبكي – دار العلم للملايين – ط1 – بيروت 1961.

بدر, أحمد

- دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها – مطابع ألف باء – الأديب – دمشق 1969
- صقر قريش – دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ط1 – دمشق 1988
- تاريخ المغرب والأندلس – المطبعة الجديدة – دمشق– 1401هـ – 1981م.

البتنوني, محمد لبيب

- رحلة الأندلس – ترجمة محمود عبد العزيز سالم – القاهرة

بروفنسال, أ. ليفي

- الإسلام في المغرب والأندلس, ترجمة السيد محمود عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي – راجعه: لطفي البديع – دار نهضة مصر للطباعة والنشر – الفجالة – القاهرة 1956.

بوز, فارس

- الأوضاع الداخلية للأندلس وعلاقاتها بالمغرب في ظل المرابطين – رسالة ماجستير – دمشق.

بوتشيش, ابراهيم القادري

- مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين – دار الطليعة للطباعة والنشر ط1–بيروت 1997.

بيطار, أمينة

- تاريخ العصر العباسي – منشورات جامعة دمشق – ط6 – دمشق 1431هـ/2000م.

بيضون, ابراهيم

- الدولة العربية في أسبانية – دار النهضة العربية للطباعة والنشر – ط3 – 1406هـ/1986م.

التازي

- التاريخ الدبلوماسي للمغرب – المجلد الخامس – 1407هـ/1987م.

جب, هاملتون

- دراسات في حضارة الإسلام – ترجمة عربية

حاطوم, نور الدين

- تاريخ العصر الوسيط في أوربة – دار الفكر الحديث – ط1 – 1386هـ/1967م.

حاطوم, نور الدين وشركاه

- المدخل إلى التاريخ – مطبعة الإنشاء دمشق – 1384هـ/1964م.

الحجي, عبد الرحمن علي

- التاريخ الأندلسي – دار القلم – ط1 – دمشق – بيروت 1396هـ/1976م.

حسن, حسن ابراهيم

- تاريخ الإسلام السياسي – ج4 – القاهرة 1967.

خربوطلي, شكران

- سطور منسية في تاريخ الحجاز – دار رسلان للطباعة والتوزيع والنشر – ط1 – دمشق.

دندش, عصمت عبد اللطيف دندش

- الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين– دار الغرب الإسلامي – ط1 – بيروت 1408هـ/1988م.

دوزي, رينهارت بيترآن (1820 – 1883)

– تاريخ مسلمي أسبانيا – ترجمة وتعليق وتقديم حسن حبشي – مراجعة جمال محرز ومختار العبادي – مطبعة دار المعارف – القاهرة – 1382هـ/1963م.

ديورانت, وول

– قصة الحضارة – ج4 – ترجمة محمد بدران – القاهرة

رنسيمان, ستيفن

– تاريخ الحروب الصليبية, ترجمة السيد الباز العريني– دار الثقافة – بيروت 1967م.

زعرور – أحمد, ابراهيم – علي

– تاريخ العصر الأموي السياسي والحضاري– منشورات جامعة دمشق – 1417هـ/1996م.

زكار, سهيل

– التاريخ العباسي والأندلسي – دمشق 1401هـ/1982م.

زكريا, أحمد وصفي (1889–1964)

– عشائر الشام – دار الفكر المعاصر – بيروت – ط8 – دمشق 1426هـ/2005م.

سالم, سحر عبد العزيز

– مدينة قادس ودورها في التاريخ السياسي والحضاري – كلية الآداب جامعة الإسكندرية 1990م.

سالم – عبد العزيز ومحمد أبو الفضل

– تاريخ مدينة المرية الأندلسية – الإسكندرية 1981م.

الشيخ, محمد محمد موسى

– دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس حتى أواخر القرن العاشر الميلادي – الإسكندرية 1990.

طقوش, محمد سهيل

– تاريخ المسلمين في الأندلس– دار النفاس – ط1 – بيروت 1426هـ/2005م.

عاقل, نبيه

– تاريخ بني أمية– منشورات جامعة دمشق 1967/1966

– تاريخ الدولة العربية الإسلامية الأولى (بالاشتراك مع نجدة خماش) – منشورات جامعة دمشق – ط7 – 1422هـ/2001م.

- محاضرات في تاريخ العرب والإسلام – الجاهلية وصدر الإسلام – منشورات جامعة دمشق 1967/1966.
- دراسات في تاريخ الامبراطورية البيزنطية – ج1 – ط1 – 1967م.

العبادي, أحمد مختار

- في تاريخ المغرب والأندلس – دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت 1978.

عثمان, عبد العزيز

- تاريخ الشرق الأدنى القديم – دار الفكر الحديث – لبنان 1966م.

عسلي, بسّام

- صقر قريش – دار النفاس

العش, يوسف

- الدولة الأموية – دار الفكر – ط8 – دمشق 1419هـ/1998م.

عنان, محمد عبد الله

- دولة الإسلام في الأندلس – العصر الأول – مطبعة الخانجي – ط3 – القاهرة – 1408هـ/1988م.
- عصر المرابطين والموحدين وهو العصر الثالث من كتاب دولة الإسلام في الأندلس – القاهرة 1383هـ/1964م.
- نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين – العصر الرابع من كتاب دولة الإسلام في الأندلس – القاهرة 1386هـ/1966م.

العوّا, عادل

- التجربة الفلسفية – مطبعة جامعة دمشق – ط2 – 1384هـ/1964م.

عيسى, رياض

- الحزبية السياسية في العصر الأموي (رسالة دكتوراه) – مكتب الدراسات الطلابية– دمشق 1411هـ/1990م.

الفاخوري, حنا

- تاريخ الأدب العربي
- تاريخ الفلسفة العربية (بالاشتراك مع خليل الجر) – ج1 – دار المعارف – بيروت 1957

فروخ, عمر

- العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط – دار الكتاب العربي ط2 – بيروت 1401هـ/1981م.
- العرب والإسلام في الحوض الشرقي من البحر الأبيض المتوسط – دار الكتاب العربي ط3 – بيروت 1401هـ/1981م.
- تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية– دار العلم للملايين – ط4 – بيروت 1979م.
- تجديد التاريخ في تعليله وتدوينه – دار الباحث – ط1 – 1401هـ/1980م.

فيصل, شكري

- حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول – دار العلم للملايين – ط6 – بيروت 1982م.

قربة, صالح بن

- المسكوكات المغربية, الجزائر 1986م.

قلاّتي, عبد القادر

- الدولة الإسلامية في الأندلس– دار وحي القلم – ط1 – دمشق 1427هـ/2006م.

كحيله, عبادة عبد الرحمن

- صقر قريش: توزيع مكتبة الفن.

كرد علي, محمد

- خطط الشام – دار العلم للملايين – ط2 – بيروت 1389هـ/1969م.

كول, ماك

- الروايات التاريخية في تأسيس سجلماسة – دار الثقافة – الدار البيضاء.

كولان, ج.س.

- الأندلس – ترجمة ابراهيم خورشيد وشركاه – دار الكتاب اللبناني– دار الكتاب المصري – ط1– 1980م.

محمود, حسن أحمد

- قيام دولة المرابطين – القاهرة 1957م.

محمود, منى حسن

- المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة – القاهرة 1986م.

مكي, محمود علي

- محقق القطعة الاولى من كتاب المقتبس لابن حيان هامش الصفحة 366.

مؤلف مجهول

- المجتمع العربي – منشورات جامعة دمشق 1964–1965.

مؤنس, حسين

- فجر الأندلس – دار المناهل للطباعة والنشر – ط1 – بيروت 1423هـ/2002م.

النُّص, إحسان

- العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي – دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر – بيروت 1964م.

هويدي, محمد

- التفسير المعين للواعظين والمتعظين – دار الشجرة للنشر والتوزيع – ط8 – دمشق 1424هـ/2004م.

المراجع الأجنبية

COOPE'E , H.

HISTORY OF THE CONQUEST OF SPAIN BY THE ARAB-MOORS VOL.II GORGIAS PREES NJ. USA 2002.

FLETCHER, RICHARD

MOORISH SPAIN, UNIVERCITY OF CALIFORNIA PRESS. LOS ANGELOS, CA. USA. 1993.

LANE – POOLE, STANLEY

THE STORY OF THE MOORS IN SPAIN BLACK CLASSIC PRESS. BALTMORE, MD. USA. 1990.

ROGERS, L.B. AND COMPANY

STORY OF NATIONS, HENRY HOLT AND COMPANY, INC. USA. 1945.

المجلات

- كتاب العربي رقم (58)– تشرين الأول 2004 "الأندلس صفحات مشرقة" ملحق بمجلة العربي الكويتية– مقال بعنوان: خمسة قرون على الخروج من الأندلس بقلم الدكتور الطاهر أحمد مكي – ص9.
- مجلة العربي الكويتية– العدد: 292/ آذار 1983– مقال بعنوان "ابن خلدون وسيطاً بين العروبيين والإسلاميين في معنى قوله "العصبية ضرورية للملة" بقلم الدكتور محمد جابر الأنصاري – ص60

مواقع على الإنترنت:

1- http//en. Wikipedea / wiki Berber باللغة الإنكليزية

2– موقع ويكيبيديا باللغة العربية

Political Factionalism in Andalusia

From the Conquest to the End of Abdur-rahman Ad-dakhel`s[1] reign

92-172 A.H / 711 -788 A.D.

The Moors did not come to Andalusia as invaders,or to collect spoils and loots, and then to retrace their steps, as Goths thought. Since spoils were not their primary goal of Jihad, according to Islam`s point of view, but they were just incidental, material incentive. They came as conquerors, to stay there, and spread Islam`s flag over West Europe.

Those pioneer Mujahidin (holy fighters) – heralds of Islam -brought the new religion with them, spreading it beyond the borders of the Arabian peninsula, where it settled in vast areas; in Asia, North Africa , and in the far west of Europe, where the people there, embraced it, and it became the religion of the majority.Those soldiers, also, brought with them, their factional affiliation in the form of feuds , and tribal Retaliations, that rooted deeply in the Andalusian lands, and entered the arena of the political struggle, playing a great role in spreading disorder and confusion in the *welayah* (province) period, which lasted 42 years, to be ended with the arrival of an Umayyad young man, who was known as ***Abdur-rahman Ad-dakhel***, at whose hands, reprisals and factionalisms calmed down, disputes disappeared, and the Umayyad Andalusian state was established.

The era of the Andalusian history , I studied, from the conquest to the end of Abdur-rahman`s period, was an era of war, fighting and endless struggle , all of which were a threat to the Arab existence in the remote *welayah*, a thing that led some of the western researchers to see the tribal patriotism, or what we termed as political factionalism, as the main factor of the events in that period of the Islamic history. They drew an exaggerated picture of the historical, intense enmity between *Qaysites* and *Yemenites* (two Arab tribes), as if the history of the Umayyad period were only a conflict between *Adnanites* and *Qahtanites.*

The *Qaysi* - *Yemenites* conflict was renewed in Andalusia; The conquerors did not only conflict about power, but also about spoils. Disputes broke out because of the land division, and distribution of ownership among the triumphant Arabs and *Imazighen*(berbers).

The tribes were busy, settling their disputes on the Andalusian lands. Internal *fitnas* (riots) and turmoil spread, disorder prevailed all over the country. This state of disintegration was reflected on the Arab conquests

---

1 Abdur-rahman was surnamed Ad-dakhel because he is the first of his family who entered Andalus

in *Galia* , even *Belat* (palace) *of Martyrs`* battle (732 AD-114 AH) was not safe from its consequences.

After the wave of conquests had calmed down, the Arabs and *Imazighen* conquerors turned to wage a civil war, that broke out due to land division and the spreading of *Amazighen* revolt from north Africa, to Andalusia. But the *wali* (governor) of Andalusia, *Abdul Malek Ibn Qattan*, was able to suppress it with the help of the Cham soldiers led by *Balj Ibn Bishr ○Al- Qushiri*. As soon as the conflict between the Arabs and the *Imazighen* (*Berbers*) calmed down, another conflict between the *new Arabs* (from *Al Cham*) and the old native Arabs erupted, which ended with the defeat of the natives and the killing of the deposed *wali, Ibn Qattan,* and the successor *wali, Balj Ibn Bishr*. To put an end to this conflict, *Abu- l-Khattar Al-Kalbi* took power in Andalusia. He distributed *Cham* soldiers to enlisted districts, and started his job with the implementation of justice and equality. He was accepted by every one . conditions calmed down, but for a while. Once *Abu -l-Khattar* has sided with his peoples(*yamanites* tribe) against *Qaysites* tribe, led by *As-samil Ibn Hatem*, a new conflict between the tribal factions, broke out, the conflict which turned to political factionalism on the Andalusian lands, due to interest and co-existence in one home land . Since the tribal patriotism was not the main drive of those tribes; for many of them tried to forget their factionalism for interest or material gains. Another tribes were also considered to be neutral, not affiliating to either tribes, *Yemenite* or *Qaysite* tribes. They thought that it was in their interest to side with *Yemenite* or *Qaysite* tribe. Thus, there were no more factional groups, of pure tribal affiliation, save political parties, each of which became a mixture of *Adnanites* and *Qahtanite* tribes.

Regardless of their tribal affiliation, the Arab tribes sided with either *Abu-l-Kattar`s* party or *As-Samil`s* party , and factional fights broke out between the two parties, those fights which ended with the killing of the *Wali, Abu-l-Khattar*, and a large number of his party members in *Secunda* battle (747 Ad-130 AH), and appointing *Yusuf Al- Fehri* as a *wali* of Andalusia. This governor monopolized power, and favored his people, *Qaysites*, a thing that angered *Yemenits*. Then Andalusia witnessed a state of turmoil and disorder. That state of turmoil enabled *Abdur-rahman Ibn Muawiyah Ibn Hisham*, who escaped from the *Abbasid* swords. His ancestors` state in Cham country collapsed (750 AD-132 AH), and he fled to the far west of *Al-Maghreb*. From there, he crossed the strait (*Gibralter*) to Andalusia, where he was supported by the *Umayyad Mualis,* and welcomed by the *yamanite* faction which was indignant at *Qaysite*s people, who supported *Yusuf Al-Fehri .Abdur-rahman*, defeated his opponents in the battle of *Almasara* (756AD-138AH), and entered

Cordva triumphantly .He restored the Umayyad rule in Andalusia, and made it an independent Emirate from the *Abbasid* East. But since the Andalusian factions don`t know submissiveness; they all revolted against *Abdur-rahman*,after a short period, but he suppressed them all, one after the other. His opponents, the *Qaysites* , led by *Al-Fehri* and *As- Samil* revolted against him, but he killed them both. And when the *Yemenite* faction revolted against him, he killed its chiefs, one by one. He also confronted the king of the *Franks,Charlemagne* ,and compelled him to draw his army after failing to occupy *Zaragoza* .

Abdur-rahman has already confronted the *Imazighen* revolts, before. *Al Miknasi* revolt, which lasted 8 years(769 -777 AD) was the greatest and most dangerous one, for it was a political and religious movement aimed to establish *Shiite* state. *Abdur-rahman* crushed it when he killed its leader,*Shaqqia*. But this whole struggle led neither to stability in the country nor to *Abdur-rahman* `s peace of mind. He spent all his life waging continuous Jihad and permanent struggle against opponents, none of whom he exempted, even his relatives and household.

Abdur-rahman relied on his kinship and *Maulis* (devoted supporters) to run the state and monopolize power . He was the decision maker whenever an important issue is concerned . He used to consider others as followers not partners . All tribes had to obey his orders and submit to his will.

Abdur-rahman established, a sovereign ,independent and Umayyad state. He built it on deep-rooted principles , with his own efforts. A state in which all kinds of factional trends and tribal feuds, which were the source of disorder ,corruption and internal *fitnahs*, disappeared. But he was mistaken when he humiliated the Arab leaders and dispensed with their efforts on which the pillars of his state were set up. He replaced them with mercenaries of *Slavs (slavonian* nationality), and incoming Africans. When these people were given the opportunity later on, they didn't hesitate to attack the rule, putting an end to that reign , and consequently the fall of the Umayyad state while it was at the peak of its strength and glory.

Syrian Arab Republic
University of Damascus
Faculty of Arts and Humanities
Department of History

Political Factionalism in Andalusia From the Conquest to the End of Abdur-rahman Ad-dakhel`s reign 92-172 A.H / 711 -788 A.D.

A research for Master Degree in the history of Arabs and Islam

Supervised by:
Prof. FAYEZAH AL-KALLAS

Prepared by:
BAHIJ SHAHLA

2010 AD. 1431 AH